العرب
alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2016/03/13 – الموافق لـ 04 جمادى الثانية 1437
السنة 38 العدد 10213
Sunday 13/03/2016
38th Year, Issue 10213

وجوه

«العائد» سعد الحريري
فن اكتشاف «الأمير» ص 7 »
حسن الترابي
مسيرته تلخص ظاهرة الانتهازية السياسية ص 8 »
أنس العبدة
جيولوجي محنك يبحث عن مشروع وطني جديد ص 9 »
صموئيل شمعون
من ضائع في باريس إلى جسر للثقافة العربية ص 10 »

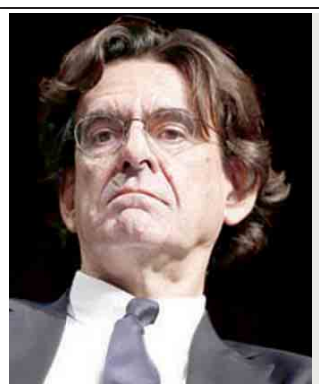

المفكر الفرنسي لوك فيري لـ«العرب»:
الفلسفة خلاص علماني

خلدون الشمعة: خرافة العصر الذهبي
أبو بكر العيادي: نقاش فرنسي ساخن حول مسألة العنف
أسعد فرزات: أنا ابن عشتار وأطرب لصوت أورنينا
أمير العمري: برغمان الباحث عن لغز الوجود
أسماء عزايزة: ذئب يحرس خرافي
عاشور الطويبي: قصيدة تدرارت ص11 إلى 16 »

جنيف3 يوسع الهوة بين الروس والأسد

• تصريحات المعلم أقرب للخط الإيراني وأبعد عن الخطة الروسية

❑ **دمشق** – وصف مراقبون تصريحات وزير الخارجية السوري وليد المعلم حول مفاوضات جنيف التي تبدأ الاثنين بأنها تكشف عن خلافات روسية سورية عميقة بشأن الهدف من جنيف3، وأنها تبدو أقرب للخط الإيراني وأبعد عن المخطط الروسي في سوريا.

وقال المراقبون إن الرئيس السوري بشار الأسد كان يعتقد أن مفاوضات جنيف ستنتهي إلى تثبيت وجوده في السلطة بفضل التدخل الروسي، لكن خطة وزير خارجية روسيا سيرجي لافروف ونظيره الأميركي جون كيري للحل في سوريا يبدو أنها فاجأت الأسد والمسؤولين في دمشق، وهو ما عكسته تصريحات المعلم السبت.

وأكد المعلم في مؤتمر صحافي في دمشق أن الأسد "خط أحمر وهو ملك للشعب السوري".

وكرر مرات عدة أن الوفد الحكومي في جنيف لن ينتظر أكثر من 24 ساعة لوصول المعارضة إلى مبنى الأمم المتحدة للمشاركة في الجولة الثانية من المفاوضات المرتقبة الاثنين.

وقال المعلم "نحن لن نحاور أحدا يتحدث عن مقام الرئاسة وبشار الأسد خط أحمر وهو ملك للشعب السوري، وإذا استمروا في هذا النهج لا داعي لقدومهم إلى جنيف".

ويعتبر مصير الأسد نقطة خلاف محورية بين طرفي النزاع والدول الداعمة لكل منهما، إذ تتمسك المعارضة بأن لا دور له في المرحلة الانتقالية، بينما يصر النظام على أن مصير الأسد يتقرر فقط من خلال صناديق الاقتراع.

وتطرّق المعلم إلى تصريحات موفد الأمم المتحدة إلى سوريا ستافان دي ميستورا الجمعة والتي أعلن فيها أن الانتخابات الرئاسية والتشريعية ستجري خلال 18 شهرا، إذ قال إن "الانتخابات البرلمانية هو نص موجود في وثائق فيينا، أما الرئاسة فلا يحق له ولا لغيره كائنا من كان أن يتحدث عن انتخابات رئاسية (...) فهي حق حصري للشعب السوري".

وخاطب المعلم الموفد الدولي قائلا "لن نقبل بعد الآن خروجك عن الموضوعية لإرضاء هذا الطرف أو ذاك"، مؤكدا رفض وفد بلاده "لأيّ محاولة لوضع هذا الأمر على جدول الأعمال".

وبدا المعلم منزعجا بشكل لافت من تصريحات دي ميستورا، ومن أجندة لافروف وكيري بشأن المفاوضات، ما يعني أن الحل السياسي الذي يتبناه الروس والأميركان هو انتقال كامل في السلطة وليس تهيئة الأوضاع لاستمرار النظام مع تعديلات جزئية كما كانت توحي تصريحات سابقة لمسؤولين روس بارزين.

هل تغير الروس

وانتقدت الهيئة العليا للمفاوضات السورية تصريحات المعلم. واعتبر المتحدث باسم هيئة المفاوضات المنبثقة عن مؤتمر الرياض، منذر ماخوس، قوله إن كلام المعلم ما هو إلاّ "وضع مسامير في نعش المفاوضات"، لا سيما أن المطروح اليوم إلى جانب فكّ الحصار وإدخال المساعدات الإنسانية هو هيئة الحكم الانتقالية.

ويبدو أن النظام صدم بأن الروس لم يأتوا لإنقاذه عسكريا بشكل كامل بمقدار ما جاؤوا لأجل حل سياسي توافقي يمهد لانتقال سلس للسلطة ويحفظ مؤسسات الدولة وليس شخصيات النظام، والمفاجئ هنا هو أنّ روسيا تضع مسافة بين مصالحها في سوريا ومصالح الأسد ومن ورائه إيران.

ومن الواضح أن ما استفز دمشق في تصريحات الموفد الدولي هو حديثه عن انتخابات رئاسية برعاية دولية، وهو ما يعني أن الحل في سوريا ربما يشمل رأس النظام عبر انتخابات ترعاها الدول الكبرى أو تراقبها، فضلا عن أن الانتخابات البرلمانية التي يستعد النظام لإجرائها في أبريل القادم صارت بلا قيمة ولا شرعية.

وعزا محللون حدة تصريحات الوزير السوري إلى عامل المفاجأة، حيث تسود شكوك في أن روسيا لم تخبر المسؤولين السوريين بمضمون خطتها لجنيف3، وأنها علمت بذلك على لسان دي ميستورا ما يكشف وجود شرخ حقيقي بين موسكو ودمشق على عكس ما يظهر في الصورة من تقارب في الرؤى.

وقد بدا الخلاف الروسي السوري أكثر وضوحا بعد أن أعلنت موسكو أنها لا تمانع في تقسيم سوريا تحت مظلة الخيار الفيدرالي، ما أعطى الانطباع بأن هدفها هو استرضاء الأكراد من جهة، وطمأنة دول الخليج من جهة ثانية على أن الأسد ليس هو هدف خطتها من التدخل العسكري.

ما يجمع البعث وحزب الله
خيرالله خيرالله
ص 5 »

دول الخليج.. مواجهة أذرع إيران لم تعد معركة كلامية

❑ **القاهرة** – أكد محللون أن السعودية، ومن ورائها دول الخليج، نجحت في الحصول على دعم عربي أوسع لخطتها في محاصرة التمدد الإيراني عبر ضرب أذرعه الميدانية في المنطقة، وآخر قرار في ذلك هو تصنيف الجامعة العربية لحزب الله اللبناني كمنظمة إرهابية، ما يسهّل متابعة أنشطته وتفكيك الشبكات المرتبطة به.

يأتي هذا فيما قد تتسع دائرة إجراءات التضييق على الأنشطة العدائية لإيران وأذرعها في المنطقة لتطال مختلف الأنشطة والشبكات السرية التي تنشر التشيّع وتستقطب الشباب عبر ضخ الأموال وتقديم الإغراءات المختلفة.

وأضاف المحللون أن القرار العربي يهدف إلى كبح جماح تنظيمات محلية تعمل لحساب دول خارجية تموّلها وتسلّحها لاستهداف الأمن القومي العربي، ومن بين هذه الدول نجد إيران وتركيا.

ومن الواضح أن المسؤولين الخليجيين قرروا البدء بتحركات عملية لمواجهة الدور التخريبي لإيران في المنطقة بعيدا عن الأسلوب التقليدي المبنيّ على الشكوى وانتظار الدعم الخارجي من دوائر غربية أثبتت الأزمات الأخيرة أن ما يهمّها هو مصالحها فقط.

وفيما يبدو أنه رسالة إلى الجميع، بدأت الرياض تستعمل كل الأوراق التي تمتلكها، بما في ذلك الدعم المالي الذي تقدمه لبعض الدول لفرض واقع يخدم مصالحها، ومصالح حلفائها الإقليميين، وهو ما تجسد في الإجراءات الخليجية ضد لبنان الذي يراهن جزء من الطبقة السياسية فيه على عدم الاصطدام بحزب الله وفي نفس الوقت يريدون الحصول على الدعم الخارجي.

وقال رئيس تيار الولاية اللبناني، علي نايف شمص، إن "حزب الله لعب دوراً في زعزعة الأمن الداخلي للدول الخليجية عن طريق خلايا أمنية تعمل لصالحه".

وذكر أن "الدول الخليجية اتخذت قرارها الأخير لإيقاف حزب الله عند حدّه ومنعه من التدخل الضار بشؤون دُولهم ومجتمعاتهم".

وكشف السياسي اللبناني أن "الشيعة اللبنانيين لديهم مصالح متشابكة في دول الخليج العربي، وهم قلقون من احتمالات ترحيلهم بعد القرار الخليجي الأخير"، مستبعدا أن تتبنى إيران موقفا مساندا للبنان، الذي ستنعكس نتائج القرار الخليجي على "وضعه الاقتصادي الداخلي".

وقال جمال مظلوم، المدير السابق لمركز الخليج للدراسات السياسية والاستراتيجية، في تصريح لـ"العرب" إن قرار جامعة الدول العربية بتصنيف حزب الله تنظيما إرهابيا سبقه قرار مماثل من وزراء الداخلية العرب ومجلس التعاون الخليجي، ويعود لكون الحزب أصبح ميليشيا تستخدم السلاح للإضرار بمصلحة لبنان وإعاقة المسار السياسي به لدرجة تعطيل اختيار رئيس للجمهورية منذ عامين.

وكان مجلس التعاون الخليجي اعتبر في بيان أصدره في 2 مارس الجاري أن "ميليشيا حزب الله (اللبناني)، منظمة إرهابية، مع شمول التصنيف لكافة قادة الحزب، وفصائله، والتنظيمات التابعة له، والمنبثقة عنه".

وجاء القرار على خلفية اتهامات دول الخليج للحزب، بالضلوع في "إثارة الفتن، والتحريض على الفوضى والعنف، في انتهاك صارخ لسيادة دول المجلس وأمنها واستقرارها".

يضاف إلى ذلك استهداف حزب الله لأمن عدد من الدول العربية، بينها السعودية واليمن، عبر دعم ميليشيا الحوثي وتدريب خلايا وشبكات للتجسس.

ولا يحتكم التحرك العربي ضد الحزب لأيّ خلفية طائفية، فقد سبق لدول عربية مؤثرة أن صنّفت حركة الإخوان المسلمين منظمة إرهابية، وواجهتها بحملات أمنية وسياسية وفكرية، وهي طرف فاعل كذلك في الحرب الإقليمية والدولية على داعش والقاعدة، وهكذا فالهدف هو ضرب الحركات التي تستهدف الإضرار بالأمن القومي العربي.

ورأى الباحث اليمني في الشؤون الإيرانية، علي البكيري، أن القرار العربي بحظر حزب الله كان استباقيا للحد من التفسير الغربي، الذي يرى في الإرهاب ظاهرة تقتصر على السُنّة فقط.

وأضاف البكيري، أن "الغرب يسعى لاستهداف الحركات السُنّية في العراق وسوريا وتصفيتها"، مشيرا إلى أن تشكيل "التحالف الإسلامي ومن ثَمّ القرار الخليجي بتصنيف حزب الله كمنظمة إرهابية يأتي في إطار مغاير للمفهوم الغربي للإرهاب".

وأشار الباحث اليمني، أن القرار سيكون له "تأثير كبير على الشعب اللبناني، حيث يشكل اللبنانيون نسبة مهمة من الجالية العاملة أو المقيمة في دول الخليج".

وعبّر عن اعتقاده بأن القرار الخليجي حول حزب الله سيعمل على "تصعيد الأزمة بين إيران والسعودية". وقال، إن "دول الخليج بحاجة ملحة لتبني استراتيجيات جديدة قادرة على تمييز الأعداء والأصدقاء".

ويرى صابرة القاسمي، الخبير في شؤون التنظيمات الدينية المسلّحة، أن تصنيف حزب الله كتنظيم إرهابي صائب وإن تأخر.

ودعا في تصريحات لـ"العرب" إلى إصدار قرار مماثل بحق 52 فصيلا لميليشيات مسلحة تعمل بالعراق، بينها الحشد الشعبي، كون الحرب ضد داعش والتنظيمات ذات المرجعية السنية سمحت بفراغ تمددت فيه التنظيمات ذات المرجعية الشيعية، وهي لا تقل خطورة عن سابقتها، لأن مواجهة الإرهاب تؤتي ثمارها عندما تكون شاملة.

حبيبتي 14 آذار
أحمد عدنان
ص 5 »

اليمن.. كسر الحصار عن تعز يغير وجه المفاوضات

❑ **صنعاء** – نجح التحالف العربي وقوات الشرعية اليمنية في فك الحصار عن مدينة تعز الاستراتيجية (جنوب غرب) في خطوة ستغير وجه المفاوضات التي بدا أنها أصبحت خيارا لا محيد عنه في اليمن.

وسيعطي الحسم العسكري المفاجئ في تعز ورقة تفاوضية قوية للحكومة اليمنية وللتحالف العربي الداعم لها، كما أنها تقدم صورة حقيقية عن حالة التراجع التي أصبح يعيشها المتمردون الحوثيون وقوات حليفهم الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح.

وقال المتحدث باسم قوات التحالف العربي، العميد أحمد عسيري إنه "تم تحرير مدينة تعز بالكامل من ميليشيا الحوثي"، مشيرا إلى أن العمليات لا تزال جارية للقضاء على بقية جيوب المتمردين.

وأضاف في تصريح تلفزيوني أن "قوات الشرعية والتحالف أصبحت الآن تسيطر على المدينة ومداخلها بشكل كامل، الأمر الذي سيساعد في رفع المعاناة عن المواطن اليمني، والأولوية الأولى لقوات التحالف الآن هي إدخال المساعدات الغذائية والطبية ورفع المعاناة عن المواطنين في تعز.

وكانت قوات الجيش الوطني والمقاومة الشعبية سيطرت في الانطلاق على معسكر الدفاع الجوي وعدد من المواقع الهامة شمال مدينة تعز في خطوة تهدف لكسر الحصار حول المدينة الاستراتيجية.

وقالت مصادر طبية وعسكرية إن القوات الموالية للرئيس اليمني عبدربه منصور هادي استعادت السيطرة على المدخل الغربي لمدينة تعز الاستراتيجية في محاولة لفك حصار يفرضه المقاتلون الحوثيون المتحالفون مع إيران على المدينة.

وقال مسعفون ومقاتلون محليون إن ما لا يقل عن 48 شخصا قتلوا في اشتباكات عنيفة في ثالث كبرى المدن اليمنية وأصيب 120 شخصا على الأقل. وقال شهود إن الجثث متناثرة في الشوارع.

ويحاول منذ شهور مؤيدو الرئيس هادي وبدعم من تحالف عربي تقوده السعودية كسر الحصار على المدينة الواقعة في جنوب غرب البلاد وفتح طرق إمدادات رئيسية.

وأشاد موقع لوكالة الأنباء اليمنية (سبأ) تديره الحكومة باستعادة المدخل الغربي للمدينة ووصفه بأنه "انتصار كبير". وقال إن هادي ونائبه خالد بحاح (رئيس الحكومة) اتصلا بقائد الجيش في المدينة لتهنئته على هذا الانتصار.

وقال بحاح في مؤتمر صحفي بمدينة عدن إن الحكومة اليمنية تجهز قافلة مساعدات إلى تعز ستغادر قريبا لكنه لم يذكر مزيدا من التفاصيل.

وأبلغ بحاح الصحافيين بأن الحكومة جهزت ألف رجل لتولي مهمة الأمن في تعز فورا لتجنب تكرار حالة الفوضى وانعدام الأمن التي حدثت في عدن بعد سيطرة القوات الحكومية عليها من قبضة الحوثيين في يوليو من العام الماضي.

وما تزال حكومة بحاح تسعى لتركيز وجودها في الداخل عبر النجاح في إدارة عدن، لكن ذلك لم يتحقق خاصة في ظل أنشطة لافتة لداعش والقاعدة، فضلا عن اختراق القوات الحكومية من عناصر مناوئة لها.

وتشهد عدن التي تتمركز بها الحكومة اليمنية حاليا منذ العام الماضي هجمات بالقنابل والأسلحة تستهدف مسؤولين حكوميين بارزين وشخصيات أمنية.

واتهمت الأمم المتحدة الحوثيين بعرقلة وصول المساعدات الإنسانية للمدنيين في تعز وقالت إن السكان يعيشون تحت "حصار فعلي".

وقال التحالف الذي تقوده السعودية الأربعاء إنه تبادل أسرى مع الحوثيين ورحّب بتوقف القتال على الحدود. وهناك وفد للحوثيين في السعودية في مهمة وصفها مسؤولان بأنها محاولة لإنهاء الحرب المستمرة منذ عام.

وسعى قياديون حوثيون لتأكيد رغبتهم في التفاوض، خاصة بعد تصريحات تحث إيران على رفع يدها عن الملف اليمني.

وتؤكد الأمم المتحدة أن النزاع اوقع أكثر من 6 آلاف قتيل نصفهم من المدنيين، وهو ما زاد من حجم الضغوط الدولية على المتمردين للقبول بحل على أساس القرار 2216.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

هجوم بنقردان يعكس إصرار داعش على التمدد صوب تونس

المؤسسة العسكرية تدفع بالمزيد من الأسلحة الثقيلة إلى الحدود

أثبتت القوات العسكرية والأمنية التونسية جاهزيتها في التصدي لأيّ تهديد على الحدود وسط التفاف شعبي منقطع النظير، ولكن رغم ذلك يبقى الخطر قائما في ظل إصرار داعش على التمدد صوب البلاد.

حماة الديار

تونس – عكس الهجوم الأخير الذي شنه تنظيم الدولة الإسلامية على مدينة بنقردان التونسية على الحدود مع ليبيا، رغبة التنظيم المتطرف في إيجاد موطئ قدم له في تونس أسوة بمصر وليبيا وسوريا وغيرها من دول المنطقة.

وشن عشرات من عناصر تنظيم الدولة الإسلامية (تضاربت الأرقام بشأنهم) هجوما غير مسبوق على منشآت أمنية وعسكرية في وقت متزامن الاثنين ببنقردان، تمكن الجيش والأمن التونسيين من التصدي له خلال أقل من ساعات.

ونجحت القوات التونسية في القضاء على 49 إرهابيا وإلقاء القبض على 8 آخرين. وقتل خلال الهجوم 12 من قوات الأمن والجيش، وسبعة مدنيين.

وشكلت سرعة دحر المجموعة الإرهابية، التي يبدو أنها كانت تسعى لإقامة إمارة إسلامية في المدنية الحدودية، ضربة موجعة للتنظيم، وانتصارا معنويا كبيرا للجيش وأجهزة الأمن التونسية.

وكان الهجوم امتحانا عسيرا للجيش التونسي أمام مقاتلين منظّمين بعد هجمات سابقة هزت صناعة السياحة التي توفر حوالي نصف مليون فرصة عمل وتساهم بنسبة سبعة بالمئة من إجمالي الناتج المحلي الخام للبلاد.

ويبدو أن القوات التونسية استخلصت عدة دروس من أربع سنوات من الكرّ والفرّ وحرب بلا هوادة ضد مسلحين إسلاميين في مناطق جبلية محاذية للحدود الجزائرية، وأصبحت أكثر نضجا وجاهزية في التعامل مع أيّ هجمات متوقعة.

وقال المحلل الأمني علي الزرمديني "ما حصل في بنقردان هو فشل ذريع لداعش التي حاولت اعتماد المباغتة مثلما اعتمدتها في العراق لكن الجيش كان جاهزا وأصبح يمتاز بفاعلية كبرى نتيجة التنسيق مع الأمن وأيضا نتيجة التدريبات التي خضعت لها قواتنا على يد قوات بلدان لها خبرات كبرى".

ويشرف فريق من العسكريين البريطانيين على تدريب القوات التونسية لمساعدته على ضبط الحدود. كما ينتظر أن يبدأ مدربون من الولايات المتحدة وألمانيا دورات للجيش التونسي لوضع نظام مراقبة إلكتروني للحدود.

وقال الزرمديني إنه رغم بعض الخلل الاستخباراتي في رصد المقاتلين الذين هاجموا بنقردان فإن جهاز الاستخبارات يتعافى بشكل تدريجي مستفيدا من التنسيق الكبير مع دول الجوار ومنها الجزائر ومع الدول الغربية.

وأضاف "قواتنا اليوم أصبحت مهيأة حتى نفسيا لخوض أيّ حرب بعد سنوات من الكرّ والفرّ مع مجموعات إرهابية في الجبال. وعملية بنقردان تثبت أن القوات التونسية أصبحت في منعطف جديد وعلى مستوى من الجاهزية غير مسبوق".

ولقيت قوات الجيش والأمن مساندة قوية من قبل أهالي بنقردان حيث ساهموا في تعقب المقاتلين ما بدا مؤشرا قويا على فشل رهان الجهاديين على الحاضنة الشعبية في المنطقة المعروفة بتدينها الوسطي ونبذها للعنف.

وأججت هجمات بنقردان غضب غالبية التونسيين على الحكومات التي تعاقبت على الحكم منذ انتفاضة يناير 2011 مشددين على أنه ما كان لتقوى شوكة الجهاديين في البلاد لو توفّرت إرادة سياسية قوية تحشد مختلف القوى السياسية والمدنية في إطار جبهة وطنية واحدة تسند الجهود العسكرية والأمنية.

وتشدد اتجاهات الرأي العام التونسي على أن تساهل الحكومات خلال السنوات الخمس الماضية، إضافة إلى انتشار الفكر الجهادي الدخيل عن التدين الوسطي للمجتمع، كثيرا ما ساعد الجهاديين على "استضعاف تونس دولة وشعبا".

ويرى محللون أنه وعلى الرغم من هذا الانتصار المعنوي والالتفاف الشعبي.. ستبقى القوات التونسية محل امتحان متكرر على الأرجح في ظل إمكانية شن هجمات جديدة تحضّر في ليبيا وقد تنفذ في تونس.

فمعركة الاثنين الماضي تكشف مدى الخطر المحدق بالبلاد من طرف الجهاديين القادمين من سوريا والعراق وخصوصا من ليبيا والذين هددوا عدة مرات بنقل الحرب إلى بلدهم تونس.

> القوات التونسية استخلصت عدة دروس من أربع سنوات من الكر والفر وحرب بلا هوادة ضد مسلحين إسلاميين في مناطق جبلية محاذية للحدود الجزائرية

الترويكا الذي قادته حركة النهضة الإخوانية، لاستقطاب وتجنيد المزيد من الشباب التونسي.

وتعتقد الجهات الرسمية في تونس أن حوالي ثلاثة آلاف مقاتل تونسي سافروا إلى سوريا للمشاركة في الحرب الدائرة هناك وأن جزءا كبيرا منهم عاد إلى ليبيا بينما عبرت أعداد كبيرة من الجهاديين التونسيين الحدود للانضمام لتنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا.

ويلعب كثير من المقاتلين التونسيين أدوارا قيادية في صفوف تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا ويشرفون على معسكرات تدريب وقيادة قريبة من الحدود التونسية.

وحجم هجوم يوم الاثنين لم يسبق له مثيل في تونس.. فالمقاتلون كانوا منظمين ضمن مجموعات تحاصر المقرات الأمنية والعسكرية وكانوا يوزّعون الأسلحة لعناصرهم من سيارة متنقلة في المدينة التي يعرفون أرجاءها بشكل جيد.

ورغم أن تونس كسبت هذه الجولة ضد داعش إلا أنها لم تكسب الحرب، كما قال رئيس الوزراء التونسي الحبيب الصيد، وبناء عليه، لا بد للأجهزة التونسية من الاستعداد وتلافي بعض الأخطاء والثغرات الأمنية.

ودفعت تونس بالمزيد من الأسلحة الثقيلة على حدودها الجنوبية الشرقية بعد أن أظهرت هجمات بنقردان أن المنظومة الدفاعية التي ركزتها غير كافية لقطع الطريق أمام تسلل الجهاديين.

وتناقلت وسائل الإعلام التونسية السبت عن مصادر مطلعة أن السلطات دفعت خلال الأيام الثلاثة الماضية بالمزيد من القوات العسكرية والأمنية على حدودها مع ليبيا بشكل غير مسبوق برا بحرا وجوا.

وشملت التعزيزات استنفار آليات حربية ثقيلة من طائرات وراجمات صواريخ ودبابات ونشر بوارج بحرية في المياه الإقليمية.

ولا تزال السلطات التونسية تحقق بهجوم الاثنين الدامي لكن التفاصيل تشير إلى أن أغلب المهاجمين تونسيون ومن أبناء المنطقة مع آخرين تسللوا من ليبيا. وبدا واضحا أنه جرى تخزين أسلحة في عدة مخابئ بالمدينة قبل الهجوم بفترة.

وقال صبري بن صالح، وهو أحد سكان المدينة، "الإرهابيون من بنقردان. نحن نعرف ملامحهم. كانوا يعرفون بيت رئيس جهاز مكافحة الإرهاب والذي قتلوه أمام بيته. كانوا يقودون سيارة ممتلئة بالأسلحة لتوزيعها على عناصرهم".

وتسعى السلطات التونسية لتحديد إن كان المقاتلون قد سافروا لسوريا أو العراق أو ليبيا سابقا، رغم أن وجود عدد كبير من المقاتلين المتطرفين والأسلحة بالأراضي التونسية ليس أمرا مفاجئا.

فبعد انتفاضة 2011 التي أطاحت بالرئيس السابق زين العابدين بن علي ظلت تونس تعاني انتشار التطرف الإسلامي والجماعات التكفيرية التي استغلت مناخ الحرية الجديد وغض الطرف عن أنشطتها خاصة خلال حكم

مساندة خليجية غير مشروطة للمغرب في قضية الصحراء

محمد بن امحمد العلوي

الرباط – أبدت دول مجلس التعاون الخليجي دعما واضحا وصريحا للمغرب في قضيته المركزية الصحراء المغربية.

يأتي ذلك في وقت تشهد فيه العلاقة بين الرباط والأمم المتحدة توترا على خلفية ما أسمته الحكومة المغربية انحياز المنظمة "غير المسبوق" لحركة البوليساريو وداعمتها الجزائر.

وعبّر بيان ختامي صدر عقب الاجتماع الوزاري المشترك الخامس بين وزراء خارجية دول الخليج، والأردن والمغرب، الأربعاء 9 مارس الجاري في العاصمة السعودية الرياض، عن تأكيد دعمهم لـ"مبادرة الحكم الذاتي، الجديّة وذات المصداقية، التي تقدم بها المغرب، كأساس لأيّ حل تفاوضي لإنهاء النزاع الإقليمي حول إقليم الصحراء".

وهذا الموقف الخليجي متوقع لإيمان دول مجلس التعاون بالطرح المغربي القائم على تمكين البوليساريو من حكم ذاتي موسّع تحت السيادة المغربية.

وكان لدول الخليج وخصوصا السعودية ودولة الإمارات، الأثر الكبير في إبطال مشروع قرار في مجلس الأمن تقدمت به الولايات المتحدة في العام 2013 لتوسيع مهمة قوات الأمم المتحدة المكلفة بمراقبة وقف إطلاق النار بالصحراء إلى مراقبة حقوق الإنسان، وهو أمر مرفوض بالنسبة إلى الرباط.

وأكد سعيد الصديقي، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة العين بأبو ظبي، في تصريحات لـ"العرب"، أن دول الخليج من أكثر الدول العربية دعما للموقف المغربي من الصحراء.

وأضاف الصديقي "على المستوى السياسي يحظى المغرب بمساندة غير مشروطة من حلفائه الخليجيين سواء في المنظمات الدولية، وعلى رأسها منظمة الأمم المتحدة، إلى جانب المؤسسات العربية الإقليمية، أو على مستوى علاقات دول الخليج الثنائية مع الفاعلين الدوليين المؤثرين في الساحة الدولية من خلال التدخل لديها لدعم الموقف المغربي". وتربط المغرب ودول الخليج العربي، وفي مقدمتها الإمارات والسعودية، علاقات استراتيجية، تدعّمت خلال السنوات الأخيرة في ظل التحديات الكبيرة التي تواجهها المنطقة.

واعتبر المحلل السياسي المغربي محمد بودن، في تصريح لـ"العرب"، أن دول الخليج بالنسبة إلى المغرب دائرة حيوية، وعلى الأخص المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، موضحا أن التقارب بين دول مجلس التعاون، والمغرب بات يأخذ بعدا فوق متطلبات الشراكة جعل المواقف تأخذ طابع العلنية بشأن مختلف القضايا المصيرية والاستراتيجية.

وأكد بودن على أن فلسفة العلاقات بين الطرفين، خاضعة لمنطق دولتي، بالإضافة إلى العلاقات المتينة بين الأسر المالكة والأميرية، معتبرا أن هذا ترجمة لاستمرارية تطابق وجهات النظر بشأن عدة قضايا، وربط للماضي بالحاضر، وهنا يستحضر المشاركة المكثفة لدول الخليج في المسيرة الخضراء سنة 1975.

ونظرا إلى أن لغة الاقتصاد وتدفق الاستثمارات تعدّ من وسائل القوة في العلاقات الدولية، فإن المملكة المغربية تعوّل على الاستثمارات الخليجية وخصوصا الإماراتية والسعودية للارتقاء ببعض القطاعات الحيوية في الأقاليم الجنوبية المغربية، خصوصا التصنيع وتوليد الطاقة والنقل الجوي للركاب والبضائع وصيد الأسماك والنفط والغاز الطبيعي.

وفي إطار تلك العلاقات الممتازة وعلى عدة محاور والتي تجمع المغرب ودولة الإمارات العربية المتحدة، قال محمد سيف السويدي المدير العام لصندوق أبوظبي للتنمية، بهذه المناسبة، إنّ تمويل مؤسسته لمشاريع تنموية بالمغرب يعد "ترجمة عملية للتأكيد على الروابط الوثيقة والعلاقة الممتدة التي تجمع بين دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة المغربية على كافة المستويات".

من جهته عبّر وزير الخارجية السعودي، عادل الجبير، عن رغبة بلاده بالاستثمار في الجنوب المغربي، وبأنها ستوجّه رجال أعمالها لاكتشاف المنطقة وضخ رؤوس أموالهم في مشاريع متنوعة، وهذا التوازي بين الدعم السياسي لقضية الصحراء المغربية والدعم الاقتصادي بالاستثمار في الأقاليم الجنوبية للمغرب لم يرق للجزائريين الذين اعتبروا أن "السعودية تريد الاستثمار في مناطق متنازع عليها دوليا".

ولكن يبدو أن السعودية لا تلقي بالا لما تقوله الجزائر فقامت ببعث وفد من رجال الأعمال السعوديين بقيادة محمد بن فهد الحمادي، رئيس مجلس الأعمال السعودي المغربي نحو الأقاليم الجنوبية المغربية في بحر هذا الأسبوع، للوقوف على الفرص الاستثمارية التي تقدمها المنطقة.

واعتبر سعيد الصديقي، في حديثه لـ"العرب"، أن الرأس المال الخليجي لا يميّز بين شمال المغرب وجنوبه، ولا يتحفظ كما تفعل بعض الشركات الدولية من الاستثمار في الأقاليم الصحراوية المغربية، وهذا في حد ذاته دعم مهم للمغرب.

ولا يمكن إغفال الدور الإعلامي المهم والأساسي في إبراز مصداقية الموقف المغربي في سيادته على أرضه، وفي هذا الجانب المهم يقول سعيد الصديقي "إنه إذا استثنينا قناة الجزيرة التي تحاول أن تمسك العصا من الوسط، فإن مختلف وسائل الإعلام المؤثرة في المنطقة تعكس دوما وجهة النظر المساندة للتصور المغربي من قضية الصحراء".

وفي إطار العلاقات المتميزة التي تربط دول الخليج بالمغرب، تم عقد اتفاقية شراكة جيواستراتيجية متنوعة، وذات أسس راسخة، منها اتفاقية الدفاع المشترك التي تهم الجانب الاستخباراتي، والجانب العسكري في مجال التدريب والمساعدة اللوجستيكية.

واعتبر المحلل السياسي، محمد بودن، أن المغرب ما فتئ يؤكد أن أمن الخليج، هو جزء من أمنه القومي، والعكس حاصل أيضا، وأن الدعم اللامشروط، ما هو إلا تكريس لأهمية العلاقات بين الطرفين.

تحالف استراتيجي

تصنيف التنظيمات المسلحة «إرهابية».. عقيدة دفاعية عربية جديدة

هل تلحق ميليشيات الحشد الشعبي بحزب الله على القائمة السوداء

يؤشر القرار الذي اتخذته جامعة الدول العربية بإدراج حزب الله ضمن قائمة التنظيمات الإرهابية، على وجود إصرار عربي على عدم التساهل مع الجماعات الموالية لإيران في المنطقة، وسط توقعات بأن يشمل هذا القرار ميليشيات الحشد الشعبي بالعراق في مرحلة مقبلة.

الولاء لإيران قبل الوطن

□ **القاهرة** – تتخوف بعض الدوائر العراقية من أن تطال سياسة الحزم العربي تجاه أذرع إيران ميليشيا الحشد الشعبي المتهمة بارتكاب جرائم قتل وسلب وتهجير بحق عراقيين، على أسس مذهبية.

وقال إبراهيم الجعفري وزير الخارجية العراقي في تصريحات لـ"العرب" على هامش حضوره اجتماعات وزراء الخارجية العرب إن"حزب الله والحشد الشعبي حركات مقاومة، داعمة للقوات المسلحة في حفظ الأمن، سواء في العراق أو لبنان".

وفي محاولة لتبرير وجود الحشد بالعراق اعتبر الجعفري أن ظاهرة الإسناد الشعبي المقاوم معروفة في العالم تاريخيا وجغرافيا. وزعم أنهما "ظواهر تقتضيها الضرورة، ولدت من رحم المجتمع، وليست إرهابية أو طائفية، وهدفها الحقيقي توطيد عرى النظام، وحفظ الأمن إلى جانب القوات المسلحة".

وتعكس تصريحات وزير الخارجية العراقي مخاوف حقيقية من إمكانية وضع ميليشيا الحشد الشيعي ضمن قائمة التنظيمات الإرهابية.

وتأسس الحشد الشعبي وعدد من الحركات المسلحة في العراق على أسس مذهبية، إثر فتوى للمرجع الديني الشيعي على السيستاني في يونيو 2014، لمواجهة تمدد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق.

وتحظى هذه الميليشيات بدعم قوي من إيران التي وفرت لها الدعم اللوجستي والتسليحي، في سياق محاولاتها تكريس نفوذها في هذا البلد العربي.

وقاتل حزب الله اللبناني في العراق تحت مظلة الحشد باعتراف أمينه العام حسن نصرالله.

وتتهم ميليشيات الحشد الشعبي بارتكاب أعمال قتل وتنكيل استهدفت أساسا الطائفة السنية بدعوى محاربتها لتنظيم داعش.

> تحركات جماعة الإخوان وحزب الله وميليشيا الحشد الشعبي والحوثيين أدوات لمشاريع إثارة الفوضى في المنطقة العربية

وفي خطوة لتوفير الحماية لهذه الميليشيات من أيّ محاسبة، اعتبرت الحكومة العراقية الحشد جهازا يعود بالنظر لرئيس الحكومة حيدر العبادي الذي يتولى أيضا منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة العراقية.

ويرى متابعون أن هذا الغطاء القانوني (المثير للجدل) لن يثني الدول العربية عن إدراج الحشد الشعبي ضمن الجماعات الإرهابية، فحزب الله على سبيل المثال موجود في الحياة السياسية اللبنانية ومشارك في الحكومة بوزيرين كما له حضور داخل البرلمان.

ويستمد حزب الله سطوته في لبنان من سلاحه، وكذلك الحال بالنسبة إلى الحشد الشعبي الذي أثبت أنه بات هو الآخر فوق الدولة ونواميسها.

وأكد خبراء سياسيون، أن قرار جامعة الدول العربية، اعتبار حزب الله تنظيماً إرهابياً، يمثل خطوة هامة في مواجهة التنظيمات المسلحة، التي تتخذ من الدين والمذهبية مطية للوصول إلى أهداف سياسية تنال من وحدة الدول، وتخلق قوى موازية للمؤسسات الرسمية، داخل الوطن الواحد لزعزعة استقراره.

وأضاف الخبراء أن القرار العربي بداية لكبح جماح تنظيمات خارجة على الثوابت الوطنية لحساب دول تموّلها وتسلحها لاستهداف الأمن القومي العربي، عبر تضخيم عضلات تلك الميليشيات والاستقواء بها على المؤسسات الشرعية للدولة.

وقال جمال مظلوم المدير السابق لمركز الخليج للدراسات السياسية والاستراتيجية لـ"العرب"، "لقد تحول حزب الله إلى ميليشيا تستخدم قوة السلاح للإضرار بمصلحة الدولة اللبنانية وإعاقة المسار السياسي بها لدرجة أعاقت تنصيب رئيس للدولة منذ عامين، فضلاً عن استهداف الحزب للأمن القومي لعدد من الدول العربية، ومن بينها السعودية واليمن، عبر دعم ميليشيا الحوثي، ومن ثم فهو ينطبق عليه وصف التنظيم الإرهابي، خاصة أنه يخدم أجندة إيران في المنطقة".

وأضاف جمال مظلوم "وضع تنظيمات مثل الإخوان في مصر وحزب الله على قوائم الإرهاب خطوة مهمة هدفها الحد من تحركاتهم وقصقصة أجنحتهم المتمددة، لأنها تخضعهم لضغوط وتحاصر قادتهم سياسياً".

واستدرك الخبير الأمني المصري قائلا إنها "لن توقف تحركاتهم لما تتلقاه تلك التنظيمات من دعم من قوى إقليمية، ويجب العمل عربياً على محاصرة الدول المحركة دبلوماسياً لتقليص التمويل والتسليح بقدر الإمكان، وإن كان ذلك أيضاً قد لا يكون سهلاً، ويتطلب تضافر الجهود على مستويات مختلفة".

وسبق قرار جامعة الدول العربية بتصنيف حزب الله تنظيماً إرهابياً، قرار من الحكومة المصرية بوضع جماعة الإخوان على قوائم الإرهاب إثر ارتكابها أعمال عنف واستهداف لرجال الجيش والشرطة عقب ثورة 30 يونيو 2013 التي أطاحت بالتنظيم من قمة السلطة بعد عام واحد.

وهناك محاولات جارية (غير رسمية) بإعادة وضع حركة حماس الفلسطينية على اللائحة المصرية للتنظيمات الإرهابية، بعد اتهام قيادات فيها بالتورط في عملية اغتيال النائب العام المصري السابق هشام بركات في يونيو 2015.

كما اتخذت المملكة العربية السعودية خطوة متقدمة تجاه العديد من التنظيمات الإسلامية المتشددة، وقامت دولة الإمارات العربية المتحدة باتخاذ حزمة صارمة من الإجراءات ضد الحركات المتشددة.

ويرى متابعون أن موقف الدول العربية من حزب الله والذي من المرجح أن يمتد أيضا إلى الحشد الشعبي بالعراق هو رسالة مفادها أن الإرهاب لا طائفة له.

وتوقع بعض الخبراء أن تلجأ إيران خلال الفترة المقبلة إلى خطاب تعبوي طائفي، وهو الخطر الذي قد يجرف المنطقة إلى فخ الصراع المذهبي الذي تريده طهران.

فكري سليم رئيس قسم اللغة الفارسية بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر، قال في تصريحات لـ"العرب"، "على الدول العربية أن تضع في اعتبارها أهمية توضيح الأبعاد السياسية لقراراتها، وتوعية الرأي العام العالمي بأن مواجهة تلك الكيانات لكونها إرهابية، لا لكونها تنتمي لمذهب ديني مغاير، فتحركات حزب الله المناهضة للمصلحة الوطنية ومحددات الأمن القومي العربي، وضعت الحكام العرب في موقف لا بديل فيه عن المواجهة".

وأوضح سليم "يجب الاستناد إلى أراء العقلاء من الشيعة العرب الرافضين لسياسات حزب الله واستخدام إيران له في شق الصف العربي، مثل الشيخ علي الأمين في لبنان والشيخ جواد الخلقي في العراق، فالصراع ليس مذهبيا، كما يراد له، فهناك شيعة عرب متمسكون بقوميّتهم العربية في مواجهة الأطماع الفارسية وهو ما يجب التأكيد عليه".

وأكد الخبير في الشؤون الإيرانية أن النظام الحالي في طهران والذي يدعي أنه إصلاحي لا يختلف عن سابقيه، وسيواصل العمل على محاولة استهداف السعودية ودول الخليج، عبر الشيعة الموالين له، ما يستوجب الحذر واتخاذ إجراءات احترازية لمواجهته.

الإعلام الإيراني المفلس

د. سالم حميد
كاتب إماراتي

❑ منذ أسابيع، بدأ الإعلام الإيراني يصعّد من نبرة صوته في توجيه إساءات إلى الدول العربية عموما، ودول الخليج العربي خصوصاً، بعد أن وجد "نظام الولي الفقيه" نفسه في مأزق، لا سيما بعد التقدم الحاصل في اليمن الشقيق من قبل قوات التحالف العربي لدعم الحكومة الشرعية هناك، وإعلان مجلس التعاون لدول الخليج العربية "حزب الله"، الذي يعتبر أحد أهم أيدي إيران الملطخة بالدماء في العمق العربي، "تنظيما إرهابيا".

موجة محمومة يشنّها الإعلام الإيراني في الوقت الذي يفتقر فيه إلى ما يقوله، ولأنه لا يستطيع مطلقاً تبرير تدخله في شؤون الدول العربية ابتداء من لبنان الذي قسّمه ليس إلى شطرين فحسب، بل جزّأه إلى أقسام صغيرة، انتقالاً إلى سوريا التي تساند فيها إيران نظام بشار الأسد بقوات من الحرس الثوري الإيراني، وهو ما أدى إلى مقتل أكثر من 300 ألف شخص منذ اندلاع الأحداث السورية عام 2011، وأخيراً وليس آخراً، ما يقوم به نظام الولي الفقيه في العراق بواسطة قوات الحشد الشعبي، التي تعمل على تغيير الخارطة الديموغرافية لصالح إيران بإفراغ المناطق المُسلمة السُنية من سكانها الأصليين، وتوطين الشيعة الإيرانيين هناك.

والناظر في الشأن الإيراني، كان يلحظ سابقاً، تصريحات "استفزازية" ممزوجة بالحقد والحنق، لكنها اليوم تحوّلت إلى إساءات علنية ممزوجة بالابتذال ورداءة الأخلاق، بما يخالف كل المواثيق والعهود الدولية والأعراف الدبلوماسية والأخلاق المهنية أيضاً، ويشي بأن النظام الإيراني يعيش حالة من التخبط، والانهيار القيمي والأخلاقي في سياساته، كما يسعى إلى الدفاع عن نفسه باستخدام وسائله الإعلامية لألفاظ "خارجة" لا ترقى أن تصدر عن إعلام دولة، تزعم أنها تحترم نفسها، في حين تتواطأ السلطات الإيرانية بشكل واضح مع وسائلها الإعلامية بإسفاف بيّن وتراجع مهني وأخلاقي منقطع النظير.

ومن هنا، كان لزاماً على النظام الإيراني، بدلا من أن يتجه إلى محاولات تصدير ثورته الوهمية في البلاد العربية، والتدخل في شؤونها، والإسفاف في إعلامه، إلى تغيير استراتيجيته التي لم تجلب له سوى النظرة السلبية في محيطه الإقليمي، بسبب ما جرّه على الدول العربية من ويلات وحروب ودمار بواسطة التنظيمات الإرهابية التي يدعمها ابتداء من حزب الله الإرهابي، وليس انتهاء بتنظيم داعش الدموي، الملتزم بتنفيذ الأجندة الإيرانية بحذافيرها، على الرغم من الحرب الكلامية بينهما، والهادفة إلى تضليل الإعلام.

فقد دأبت إيران، منذ زمن العزف على وتر العدوّ "المتربّص" من أجل إرهاب الشارع الإيراني، الذي بدد نظام الولي الفقيه أمواله في تسليح ميليشياته في العديد من الدول العربية، وها هو اليوم عندما وجد نفسه غير قادر على مواجهة الشعوب الإيرانية بالحقائق الحاصلة على الأرض اتجه إلى الإعلام المفلس من أجل تصدير الشتائم، الأمر الذي بات الشباب الإيراني يلحظونه وينتقدونه علنا، من خلال شعاراتهم التي طرحوها في الشارع مؤخراً، وأبرزها "لا غزة ولا لبنان.. روحي فداء إيران"، ما يغض نظام الولي الفقيه الطرف عنه للسير في سياساته إزاء العرب والتدخل في شؤونهم.

> إيران دأبت منذ زمن العزف على وتر العدو المتربص من أجل إرهاب الشارع الإيراني، الذي بدد نظام الولي الفقيه أمواله في تسليح ميليشياته في العديد من الدول العربية

في المقابل، نأت دول الخليج العربي، عن سياسة الإساءة عبر وسائلها الإعلامية، إلى إيران ونظامها، ليس لأنها عاجزة عن الرد، وإنما لأن ذلك لا يليق بمكانتها كدول، والتزاماتها بالعهود والمواثيق الدولية والأعراف الدبلوماسية والأخلاقية، ولأنها لا تكرر إسطوانات مشروخة وقديمة، مثل تلك التي تستعملها وسائل الإعلام الإيرانية، التي لم ترتق في مفرداتها، حتى إلى مستوى الصحافة الصفراء.

الإعلام الإيراني يغطّ في سبات عميق، ولا يستيقظ إلا عند توجيه الشتائم والإساءات، ما يستدعي استراتيجية إعلامية للرد على هذه الإساءات بمهنية وأخلاقية عالية كالتي عرف بها الإعلام الخليجي، الذي لم يعتد اتخاذ أسلوب الردح، وسيلة من أجل تحقيق أهدافه، كإعلام إيران "المُبتذل"، وصحافته التي تعمل في عدة محاور؛ أولها توجيه السباب والشتائم، واستخدام الإعلام كأداة ترهيب لشعوبها، فضلاً عن الترويج لأهدافها وأذرعها، ونشر معلومات كاذبة عن دول الخليج العربي واعتمادها على الاقتصاد الإيراني، العاجز أصلاً، واللعب على وتر الإحباطات العربية ممثلة بالقضية الفلسطينية لكسب تأييد الشارع العربي.

وبالتالي، يتضح أن الإعلام الإيراني، بدعم نظام الولي الفقيه، لا يملك سوى التخبط، دون استراتيجية محددة، مستخدماً الابتذال بصورة تُعرّي الصورة الحقيقية للنظام الإيراني، وهي التي بات يعيها العالم العربي، ويعرف تماما أن "فلسطين القضية" ومحاربة إسرائيل "كلاميا" ليست سوى تصريحات تهدف منها إيران إلى استقطاب الشارع والتعاطف معها ومع وسائلها الإعلامية التي تنفّذ من خلالها أجنداتها في العالم العربي، بعدما مدّت أذرعها في لبنان وسوريا والعراق وأخيراً اليمن الشقيق، من أجل خلق "هلال إيراني" من أجل الدخول إلى "العمق العربي" وفرض الأجندة الإيرانية.

> لزام على النظام الإيراني، بدلا من أن يتجه إلى محاولات تصدير ثورته الوهمية في البلاد العربية، والتدخل في شؤونها، والإسفاف في إعلامه، إلى تغيير استراتيجيته التي لم تجلب له سوى النظرة السلبية

ويأتي ذلك كله، في الوقت الذي تواجه فيه إيران حراكاً شعبياً ينتقد السياسات الحالية والمشكلات التي عجز النظام وحكوماته عن حلها، لا سيما حسن روحاني، الذي وعد عند تسلمه زمام الرئاسة الإيرانية، بحلّ مشكلة البطالة، التي تتزايد يوما بعد يوم، فيما يغرق المجتمع في آفات اجتماعية وأخلاقية يقف أمامها النظام الإيراني عاجزاً، أبرزها انتشار آفة المخدرات، والاعتداءات الجنسية والجرائم.. الخ، أما نظام الولي الفقيه فهو مشغول بدعم الجماعات الإرهابية هنا وهناك وتوجيه وسائل الإعلام الإيرانية من أجل مهاجمة دول الخليج العربي وتلفيق اتهامات لا أساس لها من باب الإسقاط والتضليل.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

وزير خارجية السودان: تدخلات رئاسية حسمت الموقف لصالح أبوالغيط

إبراهيم غندور: المشاركة في رعد الشمال تؤكد عودة السودان إلى مساره العربي

أرجع إبراهيم غندور، وزير خارجية السودان موافقة بلاده على اختيار أحمد أبوالغيط أمينا عاما لجامعة الدول العربية، بعد أن أعلنت في البداية تحفّظها، إلى عدم رغبتها في التغريد خارج السرب العربي. وأشار غندور في حوار مع "العرب" على هامش مشاركته في اجتماعات الدورة 145 لمجلس الجامعة العربية إلى ضرورة تفعيل دور الجامعة التي تعدّ من أقدم المؤسسات الدولية وإذا قورنت بمؤسسات أخرى تضم دولا عربية وأفريقية، سنجد دورها ما زال محدودا عما ينبغي القيام به مقارنة بكم الأزمات التي تواجه الدول الأعضاء والتي من بينها السودان.

رعد الشمال رسالة عربية للعالم: قادرون على الدفاع عن مصالحنا

أيمن عبدالمجيد

❑ **القاهرة** – كشف إبراهيم غندور، وزير خارجية السودان، عن تدخلات رئاسية هي التي حسمت الخلاف الذي شهدته أروقة جامعة الدول العربية، بعد إعلان محمد بن عبدالرحمن آل ثاني، وزير خارجية قطر رفض ترشيح أحمد أبوالغيط، أمينا عاما للجامعة العربية، وتأييد وزير خارجية السودان له.

وقال الغندور في لقاء مع "العرب" على هامش مشاركته في اجتماعات الدورة 145 لمجلس وزراء خارجية جامعة الدول العربية "منذ البداية كان هناك تواصل بين الرؤساء حول المسألة، ووزراء الخارجية مفوّضون بشكل رسمي من رؤساء دولهم للتعبير عن موقف حكوماتهم في أعمال اجتماعات الجامعة وما يصدر عنها من قرارات".

وعن تفسيره لتأييد بلاده في البداية اعتراض الدوحة على اسم مرشح مصر أحمد أبوالغيط ثم التراجع، قال غندور "موقفنا كان منذ البداية دعم مرشح مصر، لكن خلافنا كان على اسم المرشح، وأعربنا عن تحفظاتنا على الاسم داخل الاجتماع التشاوري، وفي ظل التوافق العربي فضلنا التخلي عن موقفنا دعما لوحدة الصف العربي".

ولعب أبوالغيط عندما كان وزيرا لخارجية مصر قبل ثورة 25 يناير 2011، دورا كبيرا في إفشال القمة العربية بشأن غزة والتي كان متوقعا لها أن تعقد في الدوحة، كما أن له تصريحات بدت متغطرسة وتحمل معالم اشتمّ منها رائحة عنصرية ضد السودان.

وأشار إبراهيم غندور إلى أن "أحمد أبوالغيط بالنسبة إلى السودان الآن هو الأمين العام الجديد لجامعة الدول العربية ونتمنى له التوفيق ونقدم له كل المساندة والدعم للنجاح في مهمته، ونرحب به في أي وقت في السودان".

وأعرب عن أمله في تنشيط دور جامعة الدول العربية، الذي رأى أنها ما زالت متخلفة عن الدور المنوط بها، مطالبا بضرورة العمل على تطوير أدوات عملها وميثاقها وأجهزتها، لتكون جامعة فاعلة بقوة، على غرار ما يقوم به الاتحاد الأفريقي الأحدث منها في النشأة؛ متمنيا أن تكون الدورة الجديدة للجامعة إحياء لدورها ووضع اللبنات الأولى لتطويرها، بتفعيل قراراتها السابقة، وكذلك التوصيات الإصلاحية التي انتهت إليها اللجنة المشكلة برئاسة الأخضر الإبراهيمي وزير خارجية الجزائر الأسبق.

يذكر أن دعوات إصلاح الجامعة العربية تظهر وتختفي كلما اشتدت الأزمات العربية، لكن الانقسامات بين الدول حالت دون تنفيذها، كما أن هناك من يريدون استمرار الجامعة مريضة.

وتزامنت اجتماعات الدورة 145 لمجلس الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية، مع اختتام فعاليات مناورة رعد الشمال بالسعودية التي جمعت عددا من رؤساء الدول، بينهم الرئيس السوداني عمر البشير، في ضيافة العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز.

ويرى غندور أن مناورات رعد الشمال وحرص السودان على المشاركة فيها أكدت "أننا كعرب نمضي في الطريق الصحيح لمحاربة الإرهاب الذي يضرب المنطقة العربية والعالم".

دعم عربي للسودان

كان مجلس جامعة الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية العرب أكّد التضامن الكامل مع جمهورية السودان في الحفاظ على سيادتها واستقلالها ووحدة أراضيها ورفض التدخل في شؤونها الداخلية.

وشدّد المجلس، في قرار أصدره، يوم الجمعة 11 مارس، في ختام أعمال دورته الـ 145 برئاسة مملكة البحرين على "دعم السلام والتنمية في جمهورية السودان"، بمسيرة الحوار الوطني الشامل التي انطلقت في السودان منذ العاشر من أكتوبر 2015 بمشاركة واسعة من الأطياف السياسية في السودان بغية التوصل إلى حلول ناجعة للقضايا الوطنية الملحة، وبحضور عربي وإقليمي ودولي رفيع المستوى، بما في ذلك الأمين العام لجامعة الدول العربية، والطلب من جامعة الدول العربية مواصلة جهودها الشاملة لدعم المبادرة.

وجدد المجلس الدعوة لجميع الأحزاب السياسية والحركات المسلحة السودانية إلى الانضمام لجلسات الحوار الوطني، وإبداء الاستعداد للانخراط السلمي في الحوار الدائر حاليًا، من أجل تحقيق التسوية السياسية المنشودة. كما جدد الدعوة للدول العربية إلى بذل كافة الجهود في اتصالاتها مع الأمم المتحدة والمنظمات الدولية لمنع إيواء الحركات المسلحة أو وصول أي شكل من أشكال الدعم لها، والعمل على ضمان انحيازها للخيار التفاوضي.

الأزمة مع مصر وإثيوبيا

بخصوص أزمة مفاوضات سد النهضة بين مصر وإثيوبيا وغموض الموقف السوداني لدى كثير من المراقبين، حيث اتهمت الخرطوم بالعمل لصالح أديس أبابا على حساب القاهرة، أكد غندور أن بلاده ليست محايدة في هذه القضية، وليست وسيطا لتقريب وجهات النظر بين المختلفين، بل السودان صاحب مصلحة، ويعترف بحقوق الدول الأخرى المتمثلة في حق إثيوبيا في التنمية، وحق مصر التاريخي في حصتها في مياه النيل، وحق السودان في حصته، من ثم نحن نسعى للوصول لصيغة اتفاق تحفظ حقوق جميع دول حوض النيل.

وحول مصلحة السودان من بناء السد المتمثلة في الحصول على الكهرباء بأسعار مخفضة أوضح غندور، أن إعلان المبادئ الذي وقعه رؤساء مصر والسودان وإثيوبيا في الخرطوم العام الماضي، يكفل حقوق الدول الثلاث، ولا يمكن السماح لدولة أن تنعم بفوائد السدّ على حساب حقوق دولة أخرى، بل سنعمل على تحقيق مصلحة الجميع.

استفتاء دارفور إداري فقط وبعثة رفيعة المستوى من الجامعة العربية ستراقب إجراءاته

وعلى مستوى الأزمات الداخلية للسودان، تحدّث إبراهيم غندور عن الانسداد في الحوار الوطني السوداني بين النظام والقوى السياسية قائلا "من المنتظر أن يشهد منتصف أبريل المقبل، إقرار الجمعية العمومية للأحزاب والقوى الوطنية المشاركة في الحوار الوطني بالسودان، لخريطة الإصلاحات التي تحقق الاستقرار بالبلاد".

أما بخصوص موقف الخرطوم من التباطؤ في تنفيذ بنود المصالحة بين أطراف الصراع في جنوب السودان بقيادة سلفاكير رئيس الدولة ونائبه رياك مشار، فقال غندور "السودان يدعم المصالحة بين أطراف النزاع في الجنوب، ونراقب خطوات تنفيذها، لأننا جزء من الآلية الثلاثية المكونة من السودان وإثيوبيا وكينيا، التي وضعت الوثيقة الثلاثية للسلام في جنوب السودان، وندعم تحقيقه فهو أيضا جزء من السلام في السودان عموما".

حسم ملف دارفور

من المقرر أن يجرى السودان استفتاء منتصف أبريل المقبل في دارفور لحسم الوضع الإداري لولايات دارفور الثلاث، بين بقائها على حالها أو الاكتفاء بإقليم واحد، وهو ما يثير مخاوف حول التفكير في الانفصال لاحقا. وعن ذلك قال غندور "الاستفتاء على الوضع الإداري لدارفور ليس له علاقة بالانفصال، والحكومة تتمسك به تنفيذا لبنود اتفاقية الدوحة الموقعة مع حركات دارفورية".

وأضاف غندور "قدمت دعوة من السودان لجامعة الدول العربية لمراقبة الاستفتاء الإداري، قبلها نبيل العربي الأمين العام لجامعة الدول العربية الذي يواصل أداء مهامه حتى يوليو المقبل؛ والذي أعلن بدوره أن الجامعة سترسل بعثة رفيعة المستوى باسم الجامعة لمراقبة الاستفتاء والوقوف على نتائجه ودعم الجامعة لكل ما من شأنه تحقيق السلم والأمن والتنمية بدارفور".

وتتخوف بعض الدوائر من اتجاه دارفور للانفصال عن السودان تدريجيا بالمطالبة بالحكم الذاتي والاستقلال بالموارد حال أسفر الاستفتاء عن اختيار الإقليم الواحد، وهو ما يناقض حكم نظام البشير الذي يقسّم البلاد إداريا إلى ولايات، إلا أن الحكومة السودانية تقلل من تلك المخاوف مؤكدة أن الاستفتاء لتحديد الوضع الإداري فقط.

بريطانيا تعيش أزمة هوية

غاري يوفع
كاتب بريطاني

❑ إن كل ما يحتاج المرء معرفته حول علاقة بريطانيا بالاتحاد الأوروبي يمكنه أن يطلع عليه من خلال الجلوس إلى أحد موائد الإفطار بأحد الفنادق. في معظم الأماكن، يمكنك أن تحصل على إفطار أوروبي –يتكون من المعجنات والقهوة والمربى– أو إفطار إنكليزي يتكون من البيض ولحم الخنزير المقدد، والفول المخبوز والخبز المحمّص، والطماطم. إفطار الصباح الأوّل إفطار أوروبي في حين أن الثاني هو إنكليزي صرف. ولا توجد علاقة ذات مغزى بين الجانبين.

هناك بريطانيا وهناك أوروبا. عندما نناقش في بريطانيا موضوع نكون أو لا نكون "جزءا" من أوروبا، فإن هذا الأمر يعدّ أكثر من مجرد مسألة سياسية، حيث يؤدي إلى نوع من الارتباك الجيوسياسي. لقد فقدنا تأثيراتنا. يبدو وكأننا وصلنا إلى هذا المكان جغرافيا وسياسيا وثقافيا عن طريق الصدفة.

عندما نتحدث عن طرق التصرف المختلفة للألمان والفرنسيين، أو الدنماركيين، نقول "في أوروبا، يفعلون ذلك". وعندما نناقش التقاليد المختلفة والمأكولات والأعراف العامة في الدول المجاورة، نتحدث عن "كيف يتم فعل تلك الأشياء في القارة؟". بطريقة أو بأخرى، هذا لا يشير إلى كوننا عالما متفردا. كما أن القناة الإنكليزية والتي يبلغ طولها 19 ميلا بحريا هي بمثابة خندق ضيق يحمينا من التأثيرات الشنيعة المتأتية من الخارج القريب منا.

في يوم 23 يونيو، سيصوّت البريطانيون على البقاء ضمن كتلة الاتحاد الأوروبي من عدمه. يشير ما يسمى استفتاء "بريكسيت" (الخروج من الاتحاد الأوروبي) إلى مماطلة حزب المحافظين ومحاولة تجنب هذه المسألة التي تسببت في انقسام الحزب لأجيال، المسألة التي تسببت في دفن مارغريت تاتشر وشلل جون ميجور. لقد تم "ركل" هذه العلبة لفترة من الزمن ونحن الآن في نهاية الطريق.

> احتمال مغادرة بريطانيا للاتحاد الأوروبي لا يخيفني لكن تخيفني كراهية الأجانب من أولئك الذين يقودون حملة الخروج من الاتحاد الأوروبي

كشفت النتائج النهائية للانتخابات أن هناك نوعا من الانقسام، وهناك كثير من الأمور على المحك بالنسبة إلى بريطانيا والاتحاد الأوروبي. وبالنسبة إلى البريطانيين، تعتبر مسألة السيادة أساسية: هل يمكن لأمة (تعتبر أصغر حجما من ميشيغان، ومجموع سكانها يساوي مجموع سكان تكساس وكاليفورنيا)، أن تدير شؤونها الخاصة بمفردها في عصر العولمة النيوليبرالية. إذا كان الأمر كذلك، إلى أيّ مدى سوف تنجح في ذلك، وكيف سوف يكون شكلها؟

من ناحية، ظلت النرويج وسويسرا خارج الاتحاد الأوروبي وهي من الدول المزدهرة، فلماذا لا نكون نحن كذلك؟ من ناحية أخرى، يمكن أن تنفصل اسكتلندا بالفعل إذا صوّت الإنكليز على مغادرة الاتحاد. ولكن إذا لم نتمكن من مغادرة أوروبا، كيف ينبغي لنا أن نوحد سيادتنا بطريقة تحافظ على أكبر قدر ممكن من التواصل الديمقراطي؟

يذكر وزير المالية اليوناني السابق يانيس فاروفاكيس أنه عندما كان يحاول التفاوض على شروط إنقاذ البلاد، رفض نظيره الألماني فولفغانغ شويبله الأمر رفضا قاطعا. وقال شويبله "أنا لا أناقش البرنامج. لقد كان مقبولا من الحكومة اليونانية السابقة، لا يمكننا أن نسمح للانتخابات بأن تغيّر أيّ شيء". وكان رد فاروفاكيس "حسنا، ربما ينبغي علينا ببساطة ألا نجري انتخابات بعد الآن في الدول المثقلة بالديون". فلم يرد شويبله.

على عكس اليونان، بريطانيا ليست جزءا من منطقة اليورو. ومع ذلك، فإن الاتحاد الأوروبي لم يعرف بثقافته الديمقراطية. تخيل لو تضمنت اتفاقية التجارة الحرة لشمال أميركا معظم دول أميركا الوسطى والجنوبية، حاملة معها برلمانا بـ"لا أسنان"، بيروقراطية ضخمة، حماية للعمال وللأنظمة البيئية، محكمة لحقوق الإنسان، والعملة التي تعتمدها معظم الدول تقريبا، فالأكيد أنه لن تكون هناك أيّ رقابة ديمقراطية على الإطلاق.

استفتاء بريكسيت يضع الكثير من الأمور على المحك بالنسبة إلى الاتحاد الأوروبي، أيضا. فالاتحاد الأوروبي لا يحظى بشعبية على الإطلاق. وفي الواقع، شكلت مسألة المهاجرين والمسلمين، الهدف الرئيسي لصعود اليمين المتطرف في جميع أنحاء القارة. ومغادرة بريطانيا، وهي ثاني أكبر اقتصاد في الاتحاد، من شأنها أن تخلف شرخا عميقا يفتح الباب أمام إمكانية تحديات وجودية أخرى.

للأسف، هناك القليل من الإنصات لمثل هذه الأمور، لأن النقاش يجري إلى حد كبير من خلال بسيكودراما الانقسام في حزب المحافظين. وعلى الرغم من التحفظات، يعلن حزب العمال عن الرغبة في البقاء ضمن الاتحاد الأوروبي، في حين أن حزب المحافظين قد ينقسم إلى معسكرين: معسكر يفضل رأسمالية السوق الحرة (يرغبون في مواصلة البقاء ضمن الكتلة الأوروبية) وآخر يكره المهاجرين (يبحثون عن مغادرة الاتحاد الأوروبي). وتتمثل الرسالة الأساسية من كلا الجانبين في الخوف من أن نخسر جميعا وظائفنا إذا غادرنا، أو أن نفقد ثقافتنا إذا بقينا. كلا الحجتين هي نوع من الهراء، حتى وإن تم تحقيق إحداهما.

حرية الحركة بالنسبة إلى الأشخاص هي أفضل شيء تمتعت به بريطانيا منذ أن انضمت إلى الاتحاد الأوروبي. تدفق الناس من أوروبا الشرقية على مدى العقد الماضي حوّل البلاد من دولة ما بعد الاستعمار إلى دولة عالمية، كما أن سهولة تنقل الشباب في جميع أنحاء القارة من الأمور المشجعة. ومع ذلك، فإن احتمال مغادرة بريطانيا للاتحاد الأوروبي لا يخيفني لكن تخيفني كراهية الأجانب من أولئك الذين يقودون حملة "بريكسيت".

ما يجمع بين البعث و«حزب الله»

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ في الثامن آذار ـ مارس من كلّ سنة، لا نتذكّر فقط حركة "الثامن آذار" في لبنان، وهي كناية عن تظاهرة كبيرة لـ"حزب الله" جاءت بعد ثلاثة أسابيع على اغتيال الرئيس رفيق الحريري ورفاقه في الرابع عشر من شباط ـ فبراير 2005. خطب في تلك التظاهرة الأمين العام للحزب السيّد حسن نصرالله وكان عنوان خطابه: "شكرا سوريا". هل أراد شكر النظام السوري على تغطية اغتيال رفيق الحريري، في أقل تقدير، أم شكره على هذه التغطية التي ستقود إلى الانسحاب السوري العسكري والأمني في لبنان تاركة لـ"حزب الله" ملء هذا الفراغ؟

في كلّ الاحوال، سارت الأمور في لبنان بعد الثامن من آذار ـ مارس 2005 في اتجاه مرحلة جديدة واجه فيها "حزب الله"، وهو لواء في "الحرس الثوري" الإيراني، إرادة اللبنانيين ورغبتهم في الحرية والسيادة والاستقلال وصولا إلى ما نحن عليه الآن من وضع يد إيرانية على البلد. لعل أفضل تعبير عن وضع اليد هذه التي قاومها اللبنانيون وما زالوا يقاومونها بأجسادهم العارية، منع انتخاب رئيس للجمهورية وذلك بعد أقل بقليل من سنتين على خلوّ موقع الرئاسة في البلد.

قبل لبنان، كان الثامن من آذار- مارس، تاريخ شؤم في سوريا. في مثل هذا اليوم من العام 1963، نفّذ حزب البعث انقلابا عسكريا استهدف تدمير سوريا بشكل تدريجي، وذلك بعد محاولات لإعادة بناء الحياة السياسية في البلد استمرّت أقل من سنتين. بدأت هذه المحاولات في أيلول ـ سبتمبر 1961، شهر انتهاء الوحدة مع مصر.

لم يكن الثامن من آذار السوري أقلّ سوءا من الثامن من آذار اللبناني. ففي الحالين، هناك فلسفة جديدة في الحكم تقوم على البناء على الهزيمة وتحويلها انتصارا. في سوريا، انتصر البعث الذي انبثق منه النظام العلوي ثم نظام العائلة الحاكمة على سوريا والسوريين. وفي لبنان، انتصر "حزب الله" بعد رفعه شعار "المقاومة" على لبنان واللبنانيين وذلك إرضاء للمشروع التوسّعي الايراني الذي يستثمر في إثارة الغرائز المذهبية.

منذ ما قبل العام 1963، أي منذ ما قبل وصول البعث إلى السلطة تنتقل سوريا من كارثة إلى أخرى. تمثّلت الكارثة الأولى في الوحدة غير الطبيعية مع مصر التي أسست في العام 1958 لنظام أمني راح يقضي على الحياة الحزبية والسياسية والنظام الاقتصادي الحرّ شيئا فشيئا.

جاء نظام البعث ليشكل في 1963 استمرارا لما بدأ في 1958. خرجت كل النخب السورية من سوريا. لم يعد من مكان سوى لعسكريين جهلة أزاحوا في البداية البعثيين المدنيين من السلطة وما لبثوا أن حوّلوا النظام إلى نظام طائفي تحت سيطرة ضباط علويين في البداية، مثل صلاح جديد ومحمّد عمران وحافظ الأسد، ثمّ تحت سيطرة الأسد الأب الذي انفرد بالسلطة ابتداء من خريف العام 1970. مهّد ذلك لقيام نظام العائلة الحاكمة مع التابعين لها منذ خلافة بشّار الأسد لوالده في صيف العام 2000.

في كلّ المحطات التي مرّ فيها هذا النظام، كانت لديه القدرة على الاستفادة من الهزائم وتحويلها إلى هزائم للشعب السوري وانتصارا للنظام. صبّ حرمان سوريا من أفضل السوريين عن طريق تهجيرهم ومصادرة أملاكهم ومصانعهم في خدمة نظام جعل من إفقار الشعب هدفا بحد ذاته. كانت كلّ الحروب التي خاضها النظام هزائم، لكنه أحسن استخدامها لتقوية وضعه.

هل من هزيمة أكبر من هزيمة حرب 1967 التي مهّدت لوصول حافظ الأسد إلى قمّة الهرم في السلطة، علما أنّه كان وزيرا للدفاع في أثناء تلك الحرب؟ خسرت سوريا مرتفعات الجولان التي لا تزال محتلّة إلى اليوم. لم يسع النظام يوما إلى استعادة الجولان، بل خاض حرب 1973 من أجل الوصول إلى اتفاق لفصل القوّات في الجولان وطيّ صفحة استرجاع الأرض المحتلة. لولا الولايات المتحدة التي أوقفت حرب 1973، لكانت إسرائيل وصلت إلى دمشق. على الرغم من ذلك، تحدّث النظام السوري عن انتصارات كانت في الواقع تمهيدا لاحتلال لبنان لسنوات طويلة وتوريط الفلسطينيين في حروب داخلية جعلت قضيّتهم في مهبّ الريح.

كان النظام السوري عبقريا بالفعل، خصوصا بعدما أدرك أن لا مانع لدى إسرائيل في دخوله لبنان وسعيه إلى السيطرة عليه وترك الجنوب "ساحة" لتبادل الرسائل. كان إبقاء الجولان تحت الاحتلال الإسرائيلي بمثابة ضمانة للنظام السوري الذي عرف تماما أن الانتصار على لبنان صار بديلا من الانتصار على إسرائيل.. وأن التغاضي عن الجولان بمثابة بوليصة تأمين له.

خسر النظام السوري كلّ المواجهات العسكرية مع إسرائيل، بما في ذلك مواجهة حرب صيف العام 1982 في لبنان. كانت هزيمته في 1982 تمهيدا للعودة إلى بيروت ثم لوضع اليد على البلد كلّه بفضل بطولات النائب المسيحي ميشال عون، قائد الجيش السابق، الذي هيأ كل الأجواء المطلوبة من أجل دخول القوات السورية القصر الجمهوري في بعبدا ووزارة الدفاع القريبة منه في العام 1990.

كان الثامن من آذار ـ مارس السوري الكارثة الكبرى على السوريين وكان الثامن من آذار ـ مارس اللبناني يوم شؤم على اللبنانيين. استفاد "حزب الله" من تجربة البعث السوري. حوّل الهزائم غلى انتصارات له. كانت انتصاراته ولا تزال انتصارات على لبنان واللبنانيين.

أفقر البعث سوريا ودمّر النسيج الاجتماعي فيها من أجل الإمساك بالبلد والمحافظة على النظام. يعمل "حزب الله" بالطريقة ذاتها. ألحق هزيمة منكرة بلبنان في حرب صيف العام 2006 التي خاضها مع إسرائيل. كان في لبنان مليون سائح في ذلك الصيف فأصبح فيه مليون مهجّر. لم يمتلك الحزب، حتّى، حدّا أنى من الوفاء للعرب الشرفاء الذين ساعدوا لبنان في إعادة بناء ما دمّرته إسرائيل. كان على رأس هؤلاء المملكة العربية السعودية التي بذلت كل جهد من أجل تمكين لبنان من تجاوز المحنة واستعادة بعض من عافيته.

على الرغم من كل ما لحق بلبنان، رفع "حزب الله" علامات النصر. إذا كان انتصاره في حرب صيف 2006، التي كلّفت لبنان آلاف الضحايا ودمارا هائلا، انتصارا، فما هو مفهومه للهزيمة. هل يكفي أن ينتصر "حزب الله" على لبنان، كي ترضى عنه إيران؟ هل يكفي أن ينتصر النظام السوري على السوريين ويهجّرهم بمئات الآلاف وأن يدمّر القرى والبلدات والمدن بصواريخه وبراميله المتفجّرة، مستعينا بالروسي والإيراني والميليشيات المذهبية، كي تجدّد له إسرائيل بوليصة التأمين التي يبحث عنها؟

لكلّ من لبنان وسوريا الثامن من آذار ـ مارس الخاص به وكأن تجربة "حزب الله" اللبنانية امتداد لتجربة البعث في سوريا.

ما يجمع بين ما يشهده لبنان وتشهده سوريا فلسفة واحدة مبنية أوّلا وأخيرا على عبقرية بعثية تقوم على اختراع أحلام يقظة تحوّل الهزائم إلى انتصارات وهمية لا تصبّ في نهاية المطاف سوى في القضاء على البلدين. "سوريا الأسد" التي عرفناها انتهت. هل يصمد لبنان؟

> قبل لبنان، كان الثامن من آذار. مارس، تاريخ شؤم في سوريا. في مثل هذا اليوم من العام 1963، نفذ حزب البعث انقلابا عسكريا استهدف تدمير سوريا بشكل تدريجي

حبيبتي 14 آذار

أحمد عدنان
صحافي سعودي

❑ نعم هي حبيبتي الدّائمة، فهي الجين الأساس والرئيس في تشكيل عقلي السياسي، مع العلم بأن علاقتي بها لا تخضع لقوانين العقل والسياسة، لأننا نتحدث هنا عن قصة عشق أكثر من أيّ شيء آخر.

الصحافة اللبنانية وبعض الساسة ينعون ثورة الأرز وقوى 14 آذار، وهؤلاء هم أصحاب المصالح، يقيسون تحركاتهم وفق بوصلة الزعماء، لكننا شعب 14 آذار لا علاقة لنا بالزعماء، فالزعامة الوحيدة في شرعنا معقودة لساحة الشهداء، هناك ولدنا وهناك انتصرنا وهناك نموت.

لا يهمنا أن وليد جنبلاط تموضع في الوسط، ولا يعنينا أن وقع خلاف بين د. سمير جعجع والشيخ سعد الحريري، لأنّ شعب 14 آذار لا يمثل الزعماء، بل إن الزعماء هم من يمثلوننا، ومن يخذلنا منهم فتلك مشكلته.

تعرّضنا نحن معشر الآذاريين لمليون مؤامرة وانتصرنا عليها جميعا، بشار الأسد قال "أنا ربّكم الأعلى" فانتهى عبدا في قصر المهاجرين لسيّد إيراني ولسيّد روسي.

ما يسمّى بحزب الله الذي قتل شهداءنا واستباح دولتنا صنّفه العالم كتنظيم إرهابي، وإيران فقدت كل تعاطف او احترام على مستوى العرب والمسلمين، أما عمّن ظنوه حصان طروادة، الجنرال ميشال عون، فلم يدخل قصر بعبدا ولن يدخله بإذن الله.

امتازت ثورة 14 آذار بأنها جسدت في لحظة واحدة التقاء نقيضين، لبنان الذاكرة ولبنان الواقع، لذلك كان مصدر قوة 14 آذار هو أنها عبّرت بذلك الالتقاء عن لبنان الحقيقة، المليونية التي عمرت قلب بيروت لم تتألف من مسلمين ومسيحيين، بل تشكلت من اللبنانيين حصرا، لم يقل أولئك اللبنانيون ما قاله رياض الصلح وبشارة الخوري "لا شرق ولا غرب"، ولم يقولوا ما قاله حافظ الأسد "لا شرق ولا غرب ولا لبنان"، لقد أعلنوها صريحة "نحن الشرق والغرب ولبنان".

> إنجازات 14 آذار لا لبس فيها، أنهت الوصاية السورية على لبنان، وأطلقت المحكمة الدولية، وانتزعت اعترافا عمليا من نظام البعث السوري بسفارة في بيروت، لكن هناك إنجاز أهم من ذلك كله لم يتحدث عنه أحد، بفضل 14 آذار سقطت كل أقنعة الزيف التي اختبأ خلفها ما يسمى بحزب الله

إنجازات 14 آذار لا لبس فيها، أنهت الوصاية السورية على لبنان، وأطلقت المحكمة الدولية، وانتزعت اعترافا عمليا من نظام البعث السوري بسفارة في بيروت، لكن هناك إنجاز أهم من ذلك كله لم يتحدث عنه أحد، بفضل 14 آذار سقطت كل أقنعة الزيف التي اختبأ خلفها ما يسمّى بحزب الله، لم تخل عاصمة عربية من صور أمين الحزب الإلهي السيد حسن نصرالله، اليوم تحوّلت الصور إلى شتائم، وكانت لحظة البداية في 7 أيار 2008 حين احتل بيروت وروّع الجبل، منذ ذلك التاريخ بدأ تدحرج الحزب الإلهي نحو الهاوية.

ولعل أهم ما ميز 14 آذار كفكرة، هو تبصّرها قبل عقد من الربيع العربي بالشعار الترياق لعالم العرب: الدولة والاعتدال، وما مشكلاتنا اليوم إلا انهيار الدولة وسقوط الاعتدال، لذلك قد أفهم من يقول إن 14 آذار ولدت قبل أوانها، لكني أتعجب حقيقة من أولئك الذين يريدون دفنها قبل وفاتها.

كنت أتساءل: كيف استمر الناصريون على ناصريّتهم بعد نكسة 1967؟ ولقد عرفت الجواب في زمن آخر ولحظة أخرى، الحكومة المصرية تقرّر اقتحام ميدان رابعة العدوية، ونتفاجأ باستقالة الرمز محمد البرادعي من منصبه كنائب لرئيس الجمهورية، عن نفسي استمرّيت برادعاويا رغم خطأ البرادعي كما استمر الناصريون بعد هزيمة عبدالناصر.

تبدو السياسة للوهلة الأولى خالية من المشاعر، لكنّها في بعض اللحظات تصبح هي المشاعر كلها، وهذه هي حكايتي مع 14 آذار، إلى تاريخه لم تهزم ثورة الأرز، نستطيع أن نرصد خيبات أحزابها وانكساراتها، لكن أفكار 14 آذار صامدة وحية أكثر من أيّ وقت مضى، ما زال أغلب اللبنانيين ضد حزب الله وإيران وسوريا البعث، وما زال أغلب اللبنانيين مع الدولة والاعتدال ضد الإرهاب والميليشيا وولاية الفقيه، ولو تعلقنا ببعض الغرور قد نجد صورة مبهرة، 14 آذار باقية وتتمدد، بدأت في لبنان وانتقلت إلى سوريا ضد بشار الأسد، والجامعة العربية تبنّت موقفها من حزب الله واعتبرته إرهابيا.

نعيش هذه الأيام ذكرى 14 آذار، الحدث الأجمل في تاريخ اللبنانيين، وكما حرّر أفراد عزّل بلادهم من وصاية نظام مستبد وطاغية، سيحررونها من الميليشيا المجرمة والعميلة، الأيام بيننا وستذكرون ما أقول، والعاقبة للمتقين.

سيصمد لبنان

لله در السعودية، فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

أسعد البصري
كاتب عراقي

❑ السيد حسن نصرالله يمجّد الحشد الشعبي في خطابه الأخير حتى جعل منهم قديسين وشهداء، ويرفض اعتبار الميليشيات إرهابية متجاهلا كل الجرائم الموثّقة بحق الأبرياء والمدنيين وحرق البيوت؟ السيد نصرالله لا يتردد بالتصعيد مع الإمارات والتطاول على وزير خارجيتها بلغة غير مقبولة، والكل يعلم بأن المليارات من الدولارات قيمة مصالح الشيعة في الإمارات، ولم تسمح الدولة يوما بالاعتداء على حقوق أيّ إنسان.

الصبر الخليجي آخذ بالنفاد من هذا السلوك العدواني، هناك خطوات تأديبية موجعة. نشاط سياسي قوي في أبوظبي في اليومين الماضيين، نائب الرئيس الأميركي جو بايدن في اجتماع مع وليّ العهد الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ووزير الخارجية الألماني في اجتماع مع وزير خارجية الإمارات الشيخ عبدالله بن زايد آل نهيان. السؤال الجوهري هنا كيف يمكن نجاح تحرك خليجي للضغط على ايران، دون حدوث مذابح لسنة بغداد وبيروت؟

لم يعد بإمكان الخليج السكوت أكثر فقد تم طرد الشيخ الشيعي جواد الإبراهيمي من الكويت بأوامر مباشرة من وزير الداخلية الكويتي بعد حملة غاضبة على تويتر تظهر الشيخ العراقي في فيديو يشتم عمر بن الخطاب بكل صلافة ودون أيّ اعتبار لمشاعر المسلمين.

السعودية طيلة العقود السابقة تتصرف كإطفائي بينما تتصرف إيران كمشعل حرائق. النيران بدأت تكبر والإطفائي بدأ يفقد صبره، وبعض الناس ترقص حول ألسنة اللهب مبهورة بسحرها وجاذبيتها بكل أسف.

لهذا بدأت السعودية تتصرف بحزم كما رأينا في عاصفة الحزم باليمن، ومناورات رعد الشمال الكبيرة في حفر الباطن إضافة إلى مناورات بحرية انطلقت الاثنين من سواحل البحرين تحت اسم "اتحاد 18"، وفي بغداد يخوض السفير السعودي مواجهات قضائية وإعلامية مع الميليشيات.

وزير الخارجية السعودي عادل الجبير يفتح النار علنا على السياسة الإيرانية في الـ"نيويورك تايمز" ويقول "إيران عمدت إلى دعم الجماعات المتطرفة والعنيفة، بما في ذلك حزب الله في لبنان، والحوثيون في اليمن والميليشيات الطائفية في العراق." لم يعد هناك مجال للشك في جدية السعودية بمواجهة المشروع الصفوي.

لقد بلغ الاستهتار بمشاعر العرب درجة فوق حدود الاحتمال. عضو مجلس الشورى الإيراني نادر قاضي بور يعترف في تسجيل حماسي بقتل ما بين 600 إلى 700 أسير عراقي متفاخرا بقدرته على سفك دماء الأسرى في سبيل الثورة والإمام الخميني. والسفير الأميركي الأسبق لدى العراق رايان كروكر يقول "كأس السم الذي تجرعته إيران خلال حربها مع العراق عام 1988 تحوّل اليوم الى نخب نصر بعد سيطرتها على بغداد منذ 2003". إيران فعلا تتصرف بنشوة انتصار كبير هذه الأيام.

قائد القوات الأميركية في الشرق الأوسط يعلن بأن إيران لم تغير سلوكها بعد الاتفاق النووي ورفع العقوبات عنها، فما زالت تقوم بتجارب صاروخية باليستية جديدة لتهديد مضيق هرمز وجيرانها.

لم يُنكر وزير الخارجية السعودي في الـ"نيويورك تايمز" وجود أصوات معتدلة في إيران وأن بلاده تسعى للتعاون معها. فهذا الرئيس الإيراني حسن روحاني يقول إن بلاده قد تعبت من التوتر مع بقية العالم، وأضاف "الشعب لا يريد الشعارات الراديكالية بعد الآن. وبدلا من ذلك يريد أن يسمع الأصوات المعتدلة في هذا البلد". المشكلة كيف يمكن تفسير التهديدات المتكررة من حزب الله الإرهابي المقرب من إيران للدول الخليجية؟ هل هذه التهديدات من نوع تخفيف التوتر مع الجيران أم العكس؟

لقد تم هدم مدن تاريخية عزيزة على العرب بدعم وتشجيع من إيران وحزب الله والميليشيات، ونحن نتحدث عن لاجئين بالملايين من حمص وحلب والرمادي والموصل. فقد قالت منسقة الأمم المتحدة ليز غراند في العراق مؤخرا "الدمار الذي شاهده الفريق في الرمادي أسوأ من أيّ مكان آخر في العراق. إنه مذهل". وهناك دمار مضاعف ينتظر الموصل المدينة العراقية التاريخية المكتظة بالملايين. الخليج فقط يريد أن يتأكد بأن تحرير المدن لا يعقبه عمليات انتقام وإبادات جماعية للمدنيين، لهذا يسعى إلى كبح الميليشيات المنفلتة ومنعها من ارتكاب المزيد من الجرائم. يمكن للعراق الاعتماد على الجيش الوطني في البلاد، لماذا الإصرار على هذه الميليشيات؟

في لبنان الخطوات الخليجية قاسية وربما تشمل تسريح مقيمين من أعمالهم ووقف المساعدات والتبادل التجاري. بل وصلت الضغوط السعودية إلى درجة أنها شملت حتى تيار المستقبل وزعيمه سعد الحريري حين اتخذت السعودية إجراءات لمحاسبة شركة "سعودي أوجيه" المملوكة من رئيس الوزراء اللبناني السابق سعد الحريري، لتأخرها منذ أشهر في دفع رواتب الآلاف من موظفيها.

ولله در السعودية فقد نفّذت في لبنان حكمة المتنبي:

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى
فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

> السعودية طيلة العقود السابقة تتصرف كإطفائي بينما تتصرف إيران كمشعل حرائق. النيران بدأت تكبر والإطفائي بدأ يفقد صبره، وبعض الناس ترقص حول ألسنة اللهب مبهورة بسحرها وجاذبيتها بكل أسف

أكراد سوريا: جدل تحت ضجيج التسويات

كما تميّزت حالة الأكراد داخل العملية السياسية العراقية، تبرز الحالة الكردية السورية بصفتها تحمل تناقضا مع نظام الحكم الحالي في دمشق، لكنها تتخوف أيضا من مستقبل سوريا وتداعياته على الأكراد. يدور الجدل الكردي حول النضال من أجل سوريا موحدة، أو من أجل فيدرالية تؤمّن للأكراد كيانا، أو من أجل انفصال تام إذا ما سمح صراع الأمم بذلك.

■ دعوات لدولة وحدوية عادلة تحفظ حقوق الجميع

■ تركيا وإيران ترفضان بقوة قيام كيان كردي في سوريا

■ أحزاب كردية ترى في الفيدرالية خطرا وآخرون يرونها علاجا

هذه فرصتنا لتحديد مستقبل الأكراد

❑ **بيروت** – يدفع الأكراد في سوريا ثمن ما يدفعه الأكراد في كل المنطقة بعد أن تجاهلتهم اتفاقية سايكس بيكو الشهيرة. أنشأت الدولتان العظميان، فرنسا وبريطانيا، بالتواطؤ مع روسيا القيصرية، كيانات المنطقة ورسمت الحدود بينها، دون أن تلحظ دولة للقومية الكردية. فكان أن توزّع ملايين الأكراد داخل سوريا والعراق وتركيا وإيران، وألصقت بهم هويّات الدول الأربع، وبالتالي عاشوا تجارب أربعا، تتفاوت تفاصيلها وتتباين سياقاتها.

لا يعتبر الأكراد أنفسهم شتاتا يفترش بسيطة داخل أربعة كيانات، ذلك أنهم يعيشون فوق ما يعتبرونه أرضهم التاريخية الموروثة، دون أن يكون لهم الحق في أن يعيشوا كيانية كردية خالصة بالمعنى القومي وتفاصيله الإثنولوجية.

ولئن بقيت القضية الكردية بارزة نافرة في تركيا، مصطدمة مع الدولة المركزية في أنقرة، خَبِرَ الأكراد تجارب أخرى في إيران والعراق وسوريا، حاولت صهرهم وفق مشاريع أيديولوجية ساقها القوميون العرب في دمشق وبغداد، وسعت الشهنشاهية انتهاء بدولة الولي الفقيه في إيران إلى التبشير بها.

وفي محصلة تلك التجارب، كان واضحا أن دولة المواطنة كانت غائبة، بحيث لم يشعر الأكراد بأن باستطاعتهم أن يعيشوا كمواطنين "عاديين"، داخل دول تتعدد في حواشيها الثقافات والقوميات، فراحوا يرفعون لواء هويتهم بيرقا للوجود وبوصلة للمستقبل.

لعب الأكراد في سوريا دورا مفصليا من ضمن نضالات الشعب السوري لنيل الاستقلال. ويذكر التاريخ صدامات دموية بين الأكراد والاحتلال الفرنسي، كما برزت أسماء كبرى في تأسيس تاريخ سوريا الحديث، كيوسف العظمة، الكردي، وزير الحربية السوري في مواجهته للحملة الفرنسية.

ثم أن أحد القادة الثلاثة للثورة السورية الكبرى (1925) كان إبراهيم هنانو، الكردي، قائد ثورة جبال الزاوية إلى جانب الشيخ صالح العلي وسلطان باشا الأطرش. لكن النظم السياسية في سوريا ما بعد الاستقلال أهملت المكوّن الكردي، وراحت تتعامل معه في فترات لاحقة كجزء لا يتّسق مع العروبة، يجوز بشأنه إعمال إجراءات التعريب والصهر القهري.

منع الأكراد في سوريا من التعبير عن هويتهم وثقافتهم الكردية لحساب الهوية العربية لسوريا. ومنعت القوانين تعليمَ اللغة الكردية والاعترافَ بها لغة تعامل إدارية، في المناطق الكردية على الأقل. وجرى تعريب أسماء القرى والمدن، فتحوّلت مدينة ديريك إلى المالكية، ومدينة تربه سبيي إلى القحطانية، وبلدة جل آغا إلى الجوادية، ومدينة سري كانيي إلى رأس العين.. إلخ.

الأكراد والمعارضة

تاريخيا نشط الأكراد داخل أحزاب كردية، منذ نشوء أول حزب تحت مسمّى جمعية خويبون (الاستقلال) في نهاية العشرينات. ومن ثم راجت الحركات الحزبية الكردية بعد الحرب العالمية الثانية، لكن شريحة كبيرة من الأكراد في سوريا لم تكن تهتمّ بالنضال وفق الخصوصية الكردية، بل الانصهار الكامل داخل نشاطات الشعب السوري الوطنية. وقد راج في هذا الإطار الانخراط في صفوف الحزب الشيوعي السوري، لا سيما وأن وجود خالد بكداش، الكردي، على رأس الحزب كان يشجع على ذلك، وقد لعب الحزب، فيما بعد، دورا هاما بين الجماهير الكردية.

نشط الأكراد بقوة داخل الحركات المعارضة التي ما انفكت تطالب منذ الاستقلال بالإصلاح حينا ومواجهة الاستبداد حينا آخر، لكن الانتفاضات الكردية، لا سيما تلك التي اندلعت في القامشلي عام 2004، لم تكن تلقى صدى وطنيا عاما لدى بقية السوريين، ولطالما اعتبر ذلك معركة هامشية محلية لا تمثل وجدانا عاما.

ربما هذه الخلفية هي التي تقف وراء سكينة الأكراد وتأخرهم عن الالتحاق بانتفاضة المعارضة السورية عام 2011. خشي الأكراد من أن يدفعوا وحدهم، كالعادة، ثمن معاندة النظام في دمشق، ولم يروا بسهولة اتساق طموحاتهم القومية مع هوية وشعارات المنتفضين في عموم سوريا.

بيد أن تعدد الحالة الكردية بين أمزجة وتيارات وأحزاب عكس اختلاف المقاربات التي صدرت عن الأكراد في سوريا، بين من يريد للحراك الكردي أن يكون جزءا من الحراك الوطني السوري، وبين من يرى في الأمر مناسبة لتحسين شروط الشراكة داخل سوريا المقبلة، وبين من اشتم من الأمر إمكانات تمرير قيام كيان مستقل يرضى بالحكم الذاتي إذا تعذّر الاستقلال الكامل.

ولا شك أن ظروفا موضوعية مصدرها حيرة المعارضة السورية، رفعت من أسهم الميول الانفصالية التي يقودها حزب الاتحاد الديمقراطي بقيادة صالح مسلم، ذلك أن تلك المعارضة، ومنذ تشكيلاتها الأولى، لم تستطع تقديم مشروع سياسي يأخذ في الاعتبار هواجس الأكراد، ابتداء من تغيير اسم البلد إلى الجمهورية السورية بدل الجمهورية العربية السورية، انتهاء بموقع الأكراد المقبل في مسألة الشراكة في الثروة والسلطة.

> **حيرة المعارضة السورية رفعت من أسهم الميول الانفصالية لدى الأكراد**

الأكراد ودمشق

تعامل نظام دمشق مع الأحزاب الكردية تعاملا عدائيا وعمل على مواجهة الحركة السياسية الكردية من خلال القمع غالبا، ومن خلال السهر على تفتيت أحزابها وتفتيت كياناتها. وكان من السهل على أجهزة الأمن السورية مقاربة الحالة الكردية وسهولة معالجة تمرّدها، ذلك أنها بقيت معزولة عن أيّ حراك لدى السوريين العرب، وبالتالي لم يكن للحراك الكردي مفاعيل عدوى مقلقة. بيد أن ما أقلق العقل الأمني في دمشق، هو مفاعيل العدوى التي انطلقت منذ المظاهرات الأولى في درعا عام 2011، فراح يقارب الحالة الكردية على نحو تمييزي لافت.

أصدرت دمشق سلسلة تشريعات لاستمالة الأكراد، لا سيما أولئك الذين حرموا من الجنسية السورية. حيّد النظام السوري المناطق الكردية عن بقية ميادين الحراك السوري، وراح يسمح للحالة الكردية بالتسلّح والتمتّع بإدارة ذاتية، ووفّر انسحاب قوات دمشق ومراكزها الأمنية من كثير من تلك المناطق إمكانية هيمنة قوات حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) على تلك المناطق، لا سيما أن الحزب يتمتع بعلاقات قريبة تاريخيا مع نظام دمشق، وهو امتداد لحزب العمال الكردستاني في تركيا (PKK) الذي لطالما لقي قائده التاريخي أوجلان رعاية من هذا النظام.

وكان لبروز داعش دور مرجّح لـ "شرعية" الحراك الكردي الانفصالي في سوريا، ما يطرح، كالمعتاد، أسئلة حول أجندة هذا التنظيم وهوية المستفيدين الحقيقيين من أنشطته، بحيث حظي ما بات يعرف بوحدات حماية الشعب وبقوات سوريا الديمقراطية ذات الهيمنة الكردية المطعمة بوحدات من قوميات أخرى، بما فيها العربية، بدعم دولي لافت تتقاطع داخله روسيا والولايات المتحدة.

يؤكد المعارض السوري الكردي، فؤاد عليكو، العضو في المجلس الوطني الكردي السوري، والائتلاف الوطني السوري، تعاون حزب الاتحاد الديمقراطي مع النظام السوري، منذ اليوم الأول للأزمة السورية.

وينفي نواف خليل، مدير المركز الكردي للدراسات، في حديث لـ"العرب"، هذه التهمة قائلا "البعض لا يعلم بأن حزب الاتحاد الديمقراطي هو من مؤسسي 'هيئة التنسيق الوطنية' وهي طرف أساسي من معارضة الداخل، وأن الرئيس المشترك للحزب صالح مسلم هو نائب لرئيس الهيئة، وهذه الهيئة تشارك الآن في اللجنة العليا للمفاوضات، لكن تركيا نجحت في استبعاد حزب الاتحاد الديمقراطي من المشاركة في المفاوضات، وهو ما أدى بالحزب إلى تجميد عضويته داخل أطر الهيئة".

ويضيف خليل "لسنوات خلت كانت المعارضة تتهم هيئة التنسيق بأنها مرتبطة بالنظام لأنها ترفض التسليح والطائفية والتدخل الخارجي، ولكن الآن نجد هذه الهيئة ممثلة في وفد التفاوض إلى جنيف، والذي يهيمن عليه الائتلاف، وكل الكلام السابق عن هيئة التنسيق وكل التخوين ذهب أدراج الرياح. كانت افتراءات لم تختلف كثيرا عن افتراءات النظام بحق المدنيين المتظاهرين بداية الأحداث".

لا يرى بشار العيسى، وهو سياسي سوري مستقل (كردي)، في حديثة لـ"العرب" الأمر من منظار قومي كردي، بل من منظور وطني عام يضع الأكراد في قلب المشروع الوطني السوري، داعيا إلى "إقامة دولة بمسمى 'الجمهورية السورية'، دولة ديمقراطية تحل محل دولة الاستبداد والقهر والظلم، دولة مواطنة يتساوى فيها الجميع، دولة مكونات الشعب السوري، يتساوى فيها العربي بالكردي والمسلم بالمسيحي، يقودها ممثلون حكماء للشعب السوري بكل مكوناته وثقافاته العرقية والدينية المنتخبين في دولة توحدها قيم الحرية والعدالة والمساواة".

لا يجاهر حزب الاتحاد الديمقراطي بالدعوة للانفصال، لكن لسان حاله والوقائع التي أنجزها على الأرض لا تخفي هذه الميول. يقول نواف خليل القريب من حزب الاتحاد الديمقراطي "إن للحزب مقاربة مختلفة، تقول إن النظام لن يسقط سريعا، وإنه علينا إعداد العدة لسنوات طويلة قادمة، نحافظ فيها على مؤسسات البلد، ونخفض من الشحن الطائفي المصدّر إلينا، ونمنع الإرهابيين الأجانب من التجذّر في مناطقنا. والنقطة الأخرى أن الحزب توصّل كنتاج لقراءته لحقيقة مفادها بأن الكرد وممثليهم، وعلى طول التاريخ المعاصر، خدعوا في كل من تركيا وإيران وسوريا، وأن الوعود المؤجّلة التي قدّمت في السابق للكرد وذهبت أدراج الرياح، لا يجب أن تمرر كرديا هذه المرة. لهذا حسم الحزب أمره في التعاون مع أطراف المعارضة التي تعترف بالتعددية والديمقراطية والعلمانية وحقوق الشعب الكردي، وتقبل بضمانها دستوريا، في ظل الوطن السوري الواحد، ودون تدخل من الأطراف الإقليمية. وهذا ما لا يروق لمعارضة إسطنبول تحديدا".

وقد يذهب جدعان علي، القيادي في حركة الإصلاح الكردي (تشكيل كردي خصم للاتحاد الديمقراطي)، مذهب خليل في توصيف مداخل المسألة لكن الخلاف يكمن في مخارجها؛ فهو يرى، في حديثه لـ"العرب"، أن "الحركة الكردية في سوريا معارضة بشكل طبيعي نظرا لتنكّر الحكومات المتعاقبة في سوريا للاعتراف بالوجود الكردي وبحقوقه القومية المشروعة، حيث وقفت دوما بالضد من طموحه وحرمانه من أبسط الحقوق كالهوية واللغة والتملك والوظائف الكبيرة والبرلمان والجيش".

عدالة ومواطنة

يكشف جدعان أنه "في بداية الثورة أرسل رأس النظام طيارة خاصة يدعو رؤساء الأحزاب لدمشق، ولكنهم رفضوا الذهاب وفضّلوا انتماءهم للمعارضة وانضمامهم للائتلاف ومطالب الثورة مع مكونات الشعب السوري وإثبات هويتهم الوطنية مع الاحتفاظ بحق الخصوصية القومية والتأكيد على سلمية الثورة وعدم عسكرتها خوفا من زيادة الضحايا وامتداد الأيادي الخارجية المسيئة وعدم الجدوى منها". ويرى جدعان أنه "انطلاقا من كون الحركة الكردية جزء من المعارضة (السورية) فإنها تنظر إلى الدول الداعمة لها بإيجابية بالرغم من النواقص والتفاوت في مواقفها".

وفي موقف حزب الاتحاد الديمقراطي من الدول الداعمة للمعارضة يرى نواف خليل أنه "لا يمكن وضع تركيا والسعودية وبقية دول الخليج في سلّة واحدة، فمثلا الموقف الإماراتي يلاقي ارتياحا لدى الحزب، وهو ما جعل تركيا تتهم الإمارات بأنها تدعم حزب العمال الكردستاني، أما الموقف السعودي فبعد توقيع الاتفاقيات الأخيرة مع تركيا بات سلبيا، وهو ما يتجلى في الهجوم الذي تقوده قناة 'العربية' وغيرها على الحزب. ورغم ذلك أعتقد أن القيادة السعودية ستنأى بنفسها عن الانخراط المجاني في المشروع التركي، فليس للكرد أيّ عداء تجاه السعودية".

وفي موسم الكلام عن الفيدرالية يبدو خطاب بشار العيسى، وهو أيضا باحث في النقد التاريخي، وحدويا يروم عدالة عامة توفّر عدالة لكل مكوّنات الشعب السوري، ويرى أن "لكل مكوّنات الوطن السوري (عربا وكردا ومسلمين ومسيحيين ونساء ورجالا)، الحق المتساوي من السيادة والانتماء بغير استثناء أو تمييز في كامل مؤسسات وتشريعات الجمهورية السورية".

في هذا السياق يحتفظ الكرد في دولة المواطنة في "الجمهورية السورية" بنفس حقوق وواجبات العرب، "ويعترف لهم بهويتهم وحقوقهم القومية المشروعة، وفق العهود والمواثيق الدولية وشرعة حقوق الانسان: لهم الحقّ بتعلّم لغتهم في مناطقهم، حيث وجدوا كجماعة مكوّنة للوطن السوري، الى جانب اللغة العربية، والكتابة بها ونشر ثقافتهم وإغناء وتطوير آدابهم وتراثهم الذي يغني التراث والثقافة السورية، الحاضنة التاريخية لثقافات الشعوب التي اغتنت بها الحضارة السورية على مرّ التاريخ".

لكن جدعان علي، وهو ممثل حزبه في إقليم كردستان العراق وعضو ممثلية المجلس الوطني الكردي هناك، لا يرى أملا من دولة مركزية ويرى "أن النظام الفيدرالي هو الشكل الأنسب لسوريا الجديدة، نظرا لعقم النظام المركزي وفشله الذريع".

يوافق نواف خليل على هذه المسألة، ويعتقد أن "هناك إجماع كردي مطلق حول تبني الفيدرالية لعموم سوريا، وفيدرالية للمناطق الكردية، وهي الحل الأمثل لمنع ترسيخ التقسيم الفعلي الحاصل الآن عبر دويلات 'داعش' و'النصرة' و'جيش الإسلام' وغيرها. الفيدرالية جعلت الإمارات أقوى من الدول المركزية، والفيدرالية جعلت من ألمانيا التي لم تكن فيها تعددية قومية أقوى وأكثر رسوخا من كل الحكومات المركزية".

على أن تباين الرؤى داخل الصف الكردي حول مخارج المسألة الكردية في سوريا ينعطف على موقف إقليمي ما برح يكبح أيّ طموحات استقلالية. وربما أن ذلك الموقف هو الذي يقف وراء ما ظهر أنه "تحالف" تركي إيراني لرفض "الفيدرالية" التي أثارتها موسكو كحلّ للمستقبل السوري، ذلك أن في الفيدرالية إرهاصات دولة كردية تكرهها أنقرة ولا تريدها طهران.

نواف خليل:

الاتحاد الوطني الديمقراطي ليس تابعا لدمشق ولهذه الأسباب ترفضنا «معارضة إسطنبول»

عودة قد تمثل تحولا في المزاج السعودي إزاء الحريري وإزاء لبنان معا

«العائد» سعد الحريري: فن اكتشاف «الأمير»

محمد قواص

❑ **بيروت** – قد لا تشبه عودة الرئيس سعد الحريري إلى بيروت تلك التي يصفها فيلم "العائد" الذي حصد الاوسكارات قبل أيام.

ولكن عشية عودته تقاطرت شخصيات لبنانية إلى الرياض مستطلعة مزاج السياسي الشاب في مسألة إنهاء موسم المنفى والعودة نهائيا إلى ربوع الوطن. والحقيقة أن أسئلة الزائرين لم تكن استطلاعية بقدر ما كانت تحريضية تحث الرجل على إشغال موقعه المحوري في قلب السياسة اللبنانية ومن قلب لبنان.

لم تسقط المحاذير الأمنية عن عودة سعد الحريري إلى بيروت، بل إن التوتر الداخلي اللبناني والإقليمي المرتبط بالنزاع السوري وبالمواجهة السعودية الإيرانية لا يشي إلا بارتفاع نسبة الأخطار التي يواجهها الرجل. ومع ذلك فإن البيئة السياسية المناصرة للحريري، سواء في الدائرة المباشرة المتّصلة بتيار المستقبل، أو بتلك المرتبطة بتحالف "14 آذار"، كانت تدفع بضرورة عودته، مهما كانت جسامة تلك الأخطار.

كان سعد الحريري يستمع إلى زائريه دون أن يفصح عن نياته حول أمر العودة. البعض اعتبر أن صمت الرجل قد يكون مردّه أسباب أمنية تقتضي غموضا في حال قرر العودة، أو أن الصمت هو نتاج تأمله لما ينقله الحاضرون قبل اتخاذ قرار لم يتخذه بعد. واحد من هؤلاء الزائرين، أتاه من خارج دائرة "المستقبلين" ينصحه في حال قرر عدم العودة أن يخرج ويعلن تخليه عن العمل السياسي.

لم يرد سعد الحريري على تلك النصيحة إلا بالتأمل والصمت، ذلك أن الرجل كان قد اتخذ قراره، منذ مدة، بالعودة إلى لبنان، والعودة إلى ممارسة السياسة بحيوية لا التخلي عنها. وحين أفاق اللبنانيون صبيحة عودة الحريري، كان زعيم المستقبل قد باشر ورشة كبرى لإعادة الروح إلى الحياة السياسية اللبنانية.

عاد سعد الحريري إلى لبنان بعد أسابيع على تصريح النائب محمد رعد، رئيس الكتلة البرلمانية لحزب الله في مجلس النواب اللبناني، الذي يتهكم فيه على من هو "مفلس في المنفى". رشح من تصريحات رعد تهديد لزعيم تيار المستقبل وقطع لطريق عودته إلى لبنان، فيما مثلت العودة صبيحة الـ"14 من فبراير" تحديا واضحا يعكس صمود الحريرية السياسية في وجه حزب الله وإمعانها في معارضته رغم مرور 11 عاما على اغتيال الزعيم التاريخي ومؤسس تيار المستقبل الرئيس الراحل رفيق الحريري.

نجل الحريري

ما يزال يطل سعد الحريري على مناصريه وخصومه بصفته نجل رفيق الحريري. تحوّلت الحريرية من مشروع طموح للتنمية والإعمار والازدهار أيام الحريري الأب، إلى مشروع استقلال وحرية وسيادة في عهد الحريري الابن. والحقيقة أن ورشة الابن هي إرث إجباري فرضه مقتل الأب، وأن توجهات التيار مازالت متصلة بلحظة الانفجار البغيض الذي أودى بحياة واحد من الظواهر التاريخية اللافتة التي عرفها البلد منذ استقلاله، وأن أجندة الزعيم الشاب رُسمت بالدم والمواجهة وسلسلة الاغتيالات اللاحقة ومخاض المحكمة الدولية، ما جعل من سعيه مواكبا للالتزامات التي تفرض فرضا على أصحاب الدم. لم ينتبه كثير من اللبنانيين إلى أن سعد الحريري عاد فعلا إلى لبنان منذ أن تسرّب خبر اجتماعه مع الوزير السابق، زعيم تيار المردة، سليمان فرنجية في باريس. عاد الحريري إلى قلب القيادة في تيار المستقبل منذ أن فاجأ قيادات تياره، الحمائم والصقور، بعزمه دعم ترشيح فرنجية للرئاسة الجمهورية في لبنان. وما حرفة القيادة إلا في منحاها الانقلابي، من خلال اتخاذ قرارات من خارج السياق لا يمكن أن يقدم عليها إلا من يمتهن الزعامة في جانبها الكاريزماتي وذلك التكتيكي الحاذق. بدا أن مناورة الحريري باتجاه فرنجية قد صعقت الجميع (حتى فرنجية نفسه) إلى حدّ صمتهم وجوما تارة، وطاعة تارة أخرى.

> المتغيرات تحكم محيط لبنان اليوم. الأسد قد يرحل ضمن صفقة إقليمية، وروسيا حاضرة كما لم تكن من قبل، وأوباما يلملم أوراقه قبل مغادرة البيت الأبيض، والسعودية بروح جديدة غير مألوفة

قيل الكثير، وما يزال يقال، عما وعمن يقف وراء هذه الاستراتيجية الجديدة التي اعتمدها سعد الحريري. وسال حبر كثير عن السرّ الذي يكمن وراء ترويج الحريري لـ"الصديق الشخصي" لبشار الأسد رئيسا للجمهورية اللبنانية. احتار المراقبون في اعتبار ذلك رغبة دولية، تكشفها زيارات السفراء الأجانب لفرنجية، أو رغبة سعودية، يفصح عنها ما كُتب عن علاقات تاريخية جمعت آل سعود بآل فرنجية. وفي الإبحار تحر لجواب مقنع في المشهد المعقد، خرج الحريري بتفسير سهل بسيط.

يريدُ سعد الحريري انتخاب رئيس الجمهورية، وإخراج البلاد من فراغ، أظهرت أزمة النفايات جسامة العلّة التي تفتك به. اختار الموارنة تحت سقف البطريركية أن يقتصر الترشح على الأربعة الكبار: أمين الجميل، سمير جعجع، ميشال عون، سليمان فرنجية. لم يختر سعد الحريري هذه الصيغة، بل فرضت عليه كما على غيره، من قبل النخبة السياسية المارونية. فإذا ما كان انتخاب الخصمين اللدودين (سابقا) عون وجعجع مرفوضا وفق الانقسام السياسي المعروف حولهما، وإذا ما كان ترشح أمين الجميل لا يحظى بالأصوات المطلوبة، فإن الحريري قرر المضي بترشح سليمان فرنجية كحل يُخرج البلد من عنق الزجاجة.

ومن سخرية الأقدار أن الحريري الأب كان قد عرض دعم سليمان فرنجية لرئاسة البلاد فكان رد الأخير أن بشار الأسد وحده من بإمكانه أن يأتي به رئيسا، ولا يبدو في عرض الحريري الابن أن فرنجية أخرج له نفس الجواب.

وطن مختلف

يستكشف سعد الحريري أحوال الوطن بعد فترة تأمل قضاها بعيدا. يكتشف من خلال سليمان فرنجية إمكانية العمل مع الإيراني في المنطقة. بمعنى آخر، تأتي عودة الرجل ضمن تفاصيل ترسم التحوّلات الجارية في كل المنطقة، على النحو الذي يجعل من حضور الرجل محددا لمسار المعارك ووجهاتها.

يعيد سعد الحريري ترميم تيار المستقبل من تصدّعات أصيب بها بسبب غياب زعيمه. تدفقت قوة الوالد رفيق الحريري من هذا الزخم الإقليمي الكبير الذي كانت تمنحه إياه المملكة العربية السعودية، لا سيما في عهد الملك الراحل عبدالله بن عبدالعزيز، فيما طرح ألف سؤال وسؤال حول الحظوة التي ما يزال الابن يتمتع بها من قبل الفريق الحاكم في المملكة بقيادة الملك سلمان بن عبدالعزيز. ولا شك أن للأسئلة وجاهتها نظرا للأزمة المالية الكبرى التي عانت منها شركة "سعودي أوجيه" المملوكة لسعد الحريري، وعانت منها كافة مؤسسات تيار المستقبل في لبنان. على أن عودة سعد الحريري إلى لبنان قد تمثل تحوّلا في المزاج السعودي إزاء الحريري ولبنان معا.

لن يكون سعد الحريري إلا ابنا مدللا للرياض، حتى لو لاح ما قد يفيد بأن العلاقة السعودية مع لبنان قد لا تمر حكرا من خلاله. تناقلت الأنباء أخبارا عن استقبال العاصمة السعودية لشخصيات لبنانية سنّية اشتهرت بخصومتها مع الحريرية السياسية. بدا أن الإدارة السعودية تستكشف أيضا المشهد اللبناني، وأن الرياض لن تستسلم في رؤيتها اللبنانية لرؤية تيار المستقبل وزعيمه. بدا أيضا أن القيادات الطموحة تحت سقف الحريرية السياسية تتحرى حظوة خاصة في قلب الرياض، على ما يجتهد البعض في تفسير تميّز الوزير المستقبل أشرف ريفي أو تحليل المماحكات الضمنية التي تطفو أحيانا بين بارونات التيار الأزرق.

سنوات غيرت بيروت والرياض

يفهم سعد الحريري أن سنوات المنفى غيّرت بيروت والرياض وغيّرت العالم. إيران تتموضع وفق شروط الاتفاق النووي، وروسيا تطل بقوة على الشرق الأوسط من النافذة السورية، والسعودية تمارس دورا قياديا في المنطقة في ظل تبدّل غير مسبوق في علاقتها بواشنطن. يفهم سعد الحريري أن قيادة السفينة المبحرة داخل أنواء المرحلة تتطلب مهارات أخرى لم يمارسها قبل ذلك.

يستقبل في دارته عبدالرحيم مراد، وهو من القيادات السنية الخصمة القريبة من دمشق والذي حظي باستقبال مؤخرا في الرياض، فمن يرشح "صديق" الأسد يجوز له التعامل مع حليفه. يجول الحريري في الشمال والبقاع اللبنانيين موحيا باصطفافات سياسية جديدة داخل الطائفة السنية تنهي قطيعة وتعد بوصل آخر يضمن حدودا متقدمة من وحدة الطائفة، فيما زيارته لزحلة "عروس البقاع" حول مائدة أرملة الراحل إلياس سكاف تؤشر إلى عهد آخر يعيد ترتيب التحالفات التي صار مفروضا أن تتجاوز تلك التي انبثقت عن "ثورة الأرز" عام 2005.

يعمل سعد الحريري داخل مختبراته الاستكشافية على تحضير نفسه وتياره لاستحقاق الانتخابات البلدية التي يبدو أنها ستجري دون أي فيتو، وكأنها حاجة إنمائية عاجلة للبلد وحاجة سياسية ضرورية لكافة الأطراف. يمنّي الرجل النفس بنتائج تؤكد موقع تياره الرحب داخل لبنان، ما سينعش موقعه في قلب الرياض. ويعمل الرجل أيضا وفق منهجية تعتبر أن انتخاب رئيس للجمهورية بات واردا يشاطره في ذلك تفاؤل نبيه بري رئيس المجلس النيابي اللبناني والشريك الأول لحزب الله داخل الطائفة الشيعية في لبنان.

على أن القرارات الخليجية إزاء لبنان منذ وقف السعودية لهبة الأربعة مليار دولار للجيش اللبناني والقوى الأمنية اللبنانية، أتت لتعاكس من رأي في عودة الحريري عودة للسعودية للعب دور حيوي في لبنان. ولا ريب أن قرارات الرياض أعادت فعلا دورا حيويا سعوديا للبلد، ولو من خلال مقاربة عقابية تقلق اللبنانيين. بيد أن اللافت أن سعد الحريري التقط الكرة السعودية دون وجل، وأعاد توزيعها محليا وتحويلها إلى موقف متميّز يتيح له المناورة في الداخل اللبناني دون معاندة الريح القادمة من وراء الحدود.

يتفهم سعد الحريري قرارات الرياض ودول مجلس التعاون الخليجي، يهاجم حزب الله المسؤول عن تدهور العلاقات اللبنانية الخليجية لكنه يعلن، مع ذلك، استمراره في الحوار معه، وحين يُصدر وزراء الداخلية العرب بيانا يستنكر الأعمال التي يقوم بها "حزب الله الإرهابي" يتحفظ على ذلك وزير الداخلية اللبناني نهاد المشنوق بعد "تشاور" مع زعيم حزبه سعد الحريري. بالمقابل ينشط حزب الله بالرد الإعلامي من خلال أمينه العام السيّد حسن نصرالله، فيما وزراؤه في الحكومة لا يطلبون ردا حكوميا على "الاتهامات" الخليجية، ما يخلّص حكومة بيروت من الحرج الكبير.

ذهب سعد الحريري يوما للمبيت في قصر بشار الأسد في دمشق بضغط من الرياض في عهد الراحل الملك عبدالله. عرف الرجل منذ تلك التجربة القاسية أن السياسة فن الممكن والماكيافيلية هي دستور "الأمير"، وأن من أراد أن يكون أميرا، عليه أن يجازف بخيارات ويقلب أولويات ويعيد حسابات تحت سقف متين مرفوع فوق أعمدة متينة. هذه هي تماما ورشة سعد الحريري هذه الأيام: تأصيل أساس متين والاحتماء بسقف صلب والتمتع بأقصى ما تتيحه البراغماتية لقيادة السفينة نحو أول مرفأ ساكن.

> العودة صبيحة الـ«14 من فبراير» مثلت تحديا واضحا يعكس صمود الحريرية السياسية في وجه حزب الله وإمعانها في معارضته رغم مرور 11 عاما على اغتيال الزعيم التاريخي ومؤسس تيار المستقبل الرئيس الراحل رفيق الحريري

● ورشة الابن هي إرث إجباري فرضه مقتل الأب

سياسي ماكر تزداد جهلا به كلما اطلعت على سيرته

حسن الترابي

مسيرة تلخص ظاهرة الانتهازية السياسية في أبرز وجوهها

عبدالجليل معالي

❑ **تونس** – حسن عبدالله الترابي، الذي توفي يوم الخامس من مارس الجاري، هو أكثر من مفكر إسلامي، وهو ليس مجرد زعيم سياسي. هو الجامع – بامتياز – بين السياسي المتقلّب والإسلامي المتمرد على إخوانيته دون قطع حبل الوصال مع الجماعة الأمّ. تلخص مسيرة الترابي ظاهرة الانتهازية السياسية في أبرز وجوهها.

قراءة سيرة السياسي السوداني حسن الترابي، المولود عام 1932، تفترض الإلمام بالتاريخ المعاصر للسودان، ولا غرابة، فالرجل كان حاضرا أو شاهدا أو فاعلا في جل حقبات التاريخ المعاصر للبلد الأفريقي الكبير. إسهامه بالفعل، أو بمعارضة الفعل، كان واضحا منذ ولج الرجل ميدان السياسة متسلحا بزاد فكري ينهل من الأدبيات الإسلامية، واختط لنفسه سيرة، فكرية وسياسية متقلبة: زعيما وسجينا ومفصلا ثابتا في النظام أو في معارضة النظام، مفكرا إخوانياً منضبطا لأفكار الجماعة أو خارجا عنها بـ"اجتهاد" طالما عُدّ انفلاتا من الجماعة وتعاليمها.

لذلك سنجيز لأنفسنا القول إن الرجل كان اختزالا لتاريخ السودان من جهة، وكان خروجه الفكري عن سرديات الجماعة الإخوانية دليلا على نظر الأخيرة لكونها لا تقبل التفكير خارج صندوقها. النظر إلى الترابي يحتاج إذن مفصل السياسة ومفصل الفكر، على صعوبة الفصل بينهما في سيرة الرجل المكتظة بالتعرّجات والانقلابات حتى على نفسه.

عندما عاد حسن الترابي، مطلع العام 1964 من الدراسة في باريس، كان السودان موسوما آنذاك ببعدين. الأول هو الوضع السياسي العام في البلاد التي مازالت تكابد من أجل تثبيت نظامها السياسي بعد استقلالها عن الاحتلال البريطاني ومن الاتحاد مع مصر، في الأول من يناير عام 1956، وكان رفع الزعيمين إسماعيل الأزهري ومحمد أحمد لمخوب للعلم السوداني إيذانا بانطلاق الخلافات السياسية حول تدبير شؤون البلد المستقل، الذي كانت تشقه خلافات سياسية عميقة بين الأحزاب القائمة وهي أحزاب تتنوع من الأحزاب الطائفية والصوفية إلى الأحزاب العلمانية وما بينهما من أحزاب قومية وليبرالية. خلافات سياسية عميقة تأكدت مع انقلاب الفريق إبراهيم عبود السريع عام 1958 على حكم إسماعيل الأزهري وتدشين المرحلة العسكرية الأولى في تاريخ السودان المعاصر. البعد الثاني الذي كان في انتظار عودة حسن الترابي هو وضع التيارات الإسلامية، والإخوانية أساسا، والذي كان يتراوح بين الارتباط بالحالة الإخوانية في مصر (وفي ذلك اختلاف آخر بين الفرق والتيارات) وبين الركون إلى التجارب الإسلامية والصوفية المحلية.

مصر والسودان

بدأ الترابي من الأرض التي يعرفها؛ من مدخل التيارات الإسلامية بدأ يفعل فعله. لا شك أن قرب السودان الجغرافي من مصر، والصلة السياسية والثقافية والحضارية التي تسم البلدين لعبت دورا كبيرا في تأثر السودانيين بالحالة الفكرية والسياسية في القاهرة، وعليه كان منتظرا أن تظهر في السودان أولى فروع جماعة الإخوان المسلمين، التي تأسّست في العام 1928. وما كان يعزز هذا التصور أن الجماعة الأم حاولت إنشاء فرع لها في السودان، إضافة إلى العدد الكبير من الطلاب السودانيين في الأزهر وفي غيره (كان يسجل حرص العشرات من السودانيين على زيارة المركز العام للجماعة وحضور محاضرة الثلاثاء التي كان حسن البنا يواظب على إلقائها)، حيث أوفدت جماعة الإخوان وفودا عديدة إلى الخرطوم ابتداء من العام 1945، لكن ما كان يعطّل هذا المسعى هو تشتت التيارات الإسلامية وتنافسها على احتكار أو تمثيل الحركة الإخوانية، وهذا لم يمنع من تسجيل انتماء العديد من الشخصيات السودانية لجماعة الإخوان في مصر ولو بشكل فردي (أبرزهم جمال السنهوري الذي التحق بالحركة عام 1940، وصادق عبدالله عبدالماجد الذي انضمّ إليها عام 1946).

ظهر أول فرع لجماعة الإخوان المسلمين في السودان في أبريل 1959 بقيادة جمال السنهوري، ومنذ ذلك التاريخ بدأ نشاط الإخوان يظهر في الجامعات السودانية، ثم أقيم أول مؤتمر لتوحيد المجموعات التي تنتمي أو تدّعي الانتماء للإخوان عام 1954 (مؤتمر العيد)، وصوّت المؤتمر على تأسيس جماعة موحدة تتبنى أفكار حسن البنا، وسرعان ما ظهر الانشقاق الأول بقيادة بابكر كرار (زعيم حركة التحرير الإسلامي التي كانت ترفض الانضمام إلى الإخوان المسلمين وتتشبث بسودانية الحركة وبالاشتراكية الإسلامية)، لكن المؤتمر أقرّ تسمية الحركة رسميا باسم الإخوان المسلمين وانتخب لها قيادة على رأسها محمد خير عبدالقادر أمينا عاما. ظلت الحركة أسيرة التجاذبات والخلافات والانشقاقات، طيلة عقد كامل إلى أن عاد الترابي من باريس عام 1964.

كانت عودة الترابي إلى السودان متزامنة مع هذا المناخ المتلبّد على واجهتيْن: الواجهة السياسية المركبة منذ الاستقلال، وواجهة الوضع الذي كانت تعيشه التيارات الإسلامية. وبسرعة طرح الترابي فكرة إنشاء جبهة إسلامية عريضة تتجاوز مسألة الخلاف حول عضوية حركة الإخوان المسلمين، فأنشأ "جبهة الميثاق الإسلامي" التي حاول عبرها أن يمسك بالعصا من وسطها، وأن يطوّق الخلاف القديم حول الانتساب للإخوان من عدمه بأن يجعل جبهته مفتوحة على المنتمين للإخوان وعلى شخصيات وحركات أخرى تؤيد البرنامج المشترك الداعي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، إضافة إلى الحفاظ على الحريات، ودعم العدالة الاجتماعية، فكانت جبهة حسن الترابي "شعرة معاوية" استطاع من خلالها بناء تيار إسلامي عريض وأبان من خلالها أيضا عن دهائه السياسي المبكر.

خلافات داخل حركة الترابي

لكن "حيلة" الترابي لم تستمر طويلا إذ سرعان ما دبّت الخلافات داخل جبهة الميثاق الإسلامي، رغم نجاحها المحدود في انتخابات العام 1965 بحصولها على 7 مقاعد في البرلمان السوداني، وعادت الخلافات انطلاقا من العام 1968 إلى البروز بين تيارين، الأول عرف بـ"تيار التربية" وهو تيار وفيّ لنهج جماعة الإخوان التقليدي من حيث الصرامة في العضوية والتركيز على تزكية الأعضاء، والثاني هو التيار السياسي الذي سعى إلى البحث عن المزيد من الأنصار والمنخرطين وإلى التركيز على النتائج. وكان الترابي من أنصار المدرسة السياسية دون القطع مع الانتماء لجماعة الإخوان. فشل سعي أنصار تيار التربية إلى عزل الترابي وتواصل الخلاف بين التيارين إلى حدود انقلاب جعفر النميري في مايو 1969، وهو الحدث الذي جاء بحكم يساري أبدى عداءه للإسلاميين، وهو ما أجّل الخلافات الإسلامية وتفرّغت التيارات الإسلامية إلى خصومتها مع حكم النميري قبل أن تعقد معه صفقة مصالحة وطنية في العام 1977 وتشارك بمقتضاها في السلطة.

صفقة أدّت إلى طلاق جديد داخل حركة الترابي، وانشقت عام 1980 حركة جديدة أطلقت على نفسها حركة الإخوان المسلمين وانضمت بسرعة إلى التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، وهو قرار طالما عارضه حسن الترابي، الذي كان يرفض الانضمام إلى التنظيم الدولي وكان يطرح بدائل أخرى مثل إنشاء أجهزة تنسيقية دولية للحركات الإسلامية لا تقتصر على الدول العربية بل يمكن أن تنفتح على التجارب الباكستانية والماليزية والتركية وغيرها، (بدائل توصف بالفضفاضة من قبل معارضيه الإخوان) من قبيل "الجبهة الإسلامية القومية" التي عقدت اجتماعها الأول في الخرطوم عام 1988، وهو تنظيم وصف بـ"تنظيم الضرار" من قبل صحيفة كويتية، كان الترابي يدافع عن فكرته بأن الهيكل الذي أنشأه لا ينافس التنظيم الدولي للإخوان بل يكمّله لأنه يجمع الحركات غير العربية. هل كان الترابي حريصا على إبقاء "الدرجة الصفر من العلاقة" مع الإخوان؟ وهل كان يسعى إلى التمايز عنهم دون أن يقطع الصلة تماما؟ الواضح أن إصراره على إنشاء هياكل تخرج عن التصور "الأممي" الإخواني، تواصل مع إنشاء هيكله الجديد، "المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي" عام 1991 والذي شهد للمفارقة حضور العشرات من الحركات الإسلامية من البوسنة إلى أفغانستان، مع العشرات من الحركات الراديكالية اليسارية (الحزب الشيوعي اليمني) وحزب البعث العراقي وفصائل فلسطينية، فضلا عن مزيج غريب من الشخصيات: ياسر عرفات وجورج حبش ونايف حواتمة وقلب الدين حكمتيار وأبو نضال وفتحي الشقاقي أمين عام حركة الجهاد الإسلامي وعبدالمجيد الزنداني ويوسف القرضاوي وأيمن الظواهري، ومرشد الإخوان مهدي عاكف وعماد مغنية (حزب الله) ولم تستبعد بعض المصادر حضور أسامة بن لادن، الذي كان مقيما آنذاك في السودان، في المؤتمر.

جماعة الإخوان المسلمين عاملت الترابي بمثل مكره أو بأحسن منه: التنظيم الدولي للإخوان المسلمين احتضن الجناح السوداني المنشقّ عن حسن الترابي بقيادة صادق عبدالله بل تبنّى المؤاخذات التي كان يسوّقها الأخير على الترابي، وفي الآن نفسه، حرصت العناصر الشبابية في الحركة الأمّ على تغيير موقفها من الترابي بأن رأت في نجاح الحركة السودانية (داخليا بأن فرض على النميري تطبيق الشريعة الإسلامية منذ 1983 وخارجيا بنجاحه في مد الأواصر بين التنظيمات الإسلامية وغيرها من التيارات) دليلا على مرونتها وقرينة على ركود بقية الحركات الإخوانية، في حين حرصت حركة الاتجاه الإسلامي في تونس (آنذاك) وحركة الشباب المسلم في ماليزيا على الاعتراف بحركة الترابي مع الإبقاء على عضويتها في التنظيم الدولي. فهل كانت جماعة الإخوان تناور مع الترابي بنفس سلاحه؟

الترابي المفكر

الترابي المفكر لم يكن أقل ضجيجا من الترابي السياسي، ولم يكن أيضا أقل مشاغبة للحركات الإخوانية.

الاطلاع على سجلّ مؤلفات حسن الترابي مثل "ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية"، و"المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع ، و"تجديد الدين"، و"التفسير التوحيدي"، و"منهجية التشريع"، و"السياسة والحكم: النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع وغيرها، كفيل بتبيّن جرعة الجرأة عند الترابي المفكر، الذي أنتج رؤى فقهية ودينية أثارت سيلا من النقد وحرّكت المياه الآسنة في أدبيات التيارات الإسلامية، ولئن لم يخرج الترابي كثيرا عن المدوّنة الإسلامية وحتى الإخوانية، إلا أنه أثار الجدل بـ"فتاوى" مثل جواز زواج المسلمة من أهل الكتاب، وجواز إمامة المرأة للرجل في الصلاة، ورأيه في عدم وجوب ارتداء المرأة للحجاب، كما رفضه ومحاربته لختان البنات. مواقف ورؤى فقهية جعلت عتاة الإخوان السودانيين يكيلون له الانتقادات وحتى الشتائم، وسمحت للسلفيين باعتباره "مرتدا".

> الترابي طرح فكرة إنشاء جبهة إسلامية عريضة تتجاوز مسألة الخلاف حول عضوية حركة الإخوان المسلمين، فأنشأ «جبهة الميثاق الإسلامي» التي حاول عبرها أن يمسك بالعصا من وسطها، وأن يطوق الخلاف القديم حول الانتساب للإخوان من عدمه

رجل المفارقات

المثير في شخصية حسن الترابي هو أنّه كلما ازداد الاطلاع على سيرته كلما زادت الشخصية التباسا، وهو رجل المفارقات بامتياز، الإخواني المتملص من صرامة الجماعة وتراتبيّتها وهياكلها وتنظيمها مع حرص دقيق على عدم قطع الصلة معها، وكان سعي الجماعة إلى ترويضه بنقده أو مغازلته أو البحث عن استمالته، مفضيا في الغالب إلى أنه أثّر في العديد من القيادات الإخوانية وليس العكس. هو الرجل الأسرع انتقالا بين السجن والمناصب السياسية، هو الوزير في العديد من المناسبات.

في 1979 كان رئيسا للّجنة البرلمانية المكلفة بمراجعة القوانين من أجل أسلمتها ثم عيّن وزيرا للعدل، وفي 1988 أصبح نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية في حكومة صهره الصادق المهدي، وفي العام 1996 أصبح رئيسا للبرلمان السوداني، وهو أيضا السجين في العديد من المرات أيضا، أودع السجن 3 مرات في عهد النميري وحده، ثم سجن عام 2002 على خلفية في جنيف مع حركة جون قرنق الانفصالية.

كان الترابي فاعلا أو شاهدا أو مساهما في كل المنعرجات السودانية؛ كان حاسما في صعود عمر حسن البشير في انقلاب 1989 على صهره الصادق المهدي، وكان أيضا مساهما في تأبيد كل صنوف الأزمات التي عرفها السودان: أزمة بناء الدولة، وأزمة بناء الهوية، وأزمة الشرعية السياسية، وأزمة المواطنة. كان الترابي أيضا عبر تحالفاته الفجئية المباغتة حاسما في التسريع في انفصال جنوب السودان، وفي عزلة السودان العربية عبر مواقفه من القضايا الكبرى في المنطقة (حرب الخليج وأفغانستان وإيوائه لأسامة بن لادن فضلا عن تسليم إليتش راميرز سانشيز المعروف بـ"كارلوس" لفرنسا) وهي صفقة قال عنها الأخير "السلطات السودانية طلبت منّي بالفعل مغادرة البلاد لأسباب أمنية، وكان ذلك في ربيع 1994. وأنا لم أرفض مغادرة السودان بل رفضت فقط التجاوب مع فخّ أراد أن ينصبه لي الترابي والبشير، وعلمّت به بفضل بعض المتعاطفين معي من داخل النظام في الخرطوم".

لا يكفي الحيز المحدود لاستعراض "مآثر" الترابي أو "مثالبه" على أن المآثر (عند البعض) أو المثالب (عند البعض الآخر) هي جميعها تقلبات سياسية أثبت الرجل من خلالها براغماتيته المفرطة: لا يضيره أن يتحالف مع الشيوعي ضد الإسلامي، ولا يهمه أن ينقلب على صهره وحليفه السابق ويأتي بعسكري بهوى إسلامي لينقلب عليه بدوره، ولا يفوته أن يذهب بعيدا في "التجديد" مع الحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية. هو إخواني إلى حدّ يحدّده بنفسه، وهو إسلامي بنفس مصالحي ذرائعي قد يؤدي به إلى التناقض مع نفسه، وهو سياسي يفضّل النجاعة على القيم.

تبقى أهمية مؤلفات الترابي أكثر جدوى من استعراض سيرته الطويلة، والخلاصة أن الترابي هو السودان المعاصر بكل ما شهده من أطوار.

> الترابي كان فاعلا أو شاهدا أو مساهما في كل المنعرجات السودانية؛ كان حاسما في صعود عمر حسن البشير في انقلاب 1989 على صهره الصادق المهدي، وكان أيضا مساهما في تأبيد كل صنوف الأزمات التي عرفها السودان

ابن مضايا المحاصرة رئيسا للائتلاف المعارض

أنس العبدة

جيولوجي «محنك» يبحث عن مشروع وطني جديد

❑ **لندن** – يبدو أنس العبدة بين رفاقه من المعارضين السوريين، الأكثر لطفا ودماثة. حتى أنه يميل إلى التهكم والسخرية، بما يخالف به تجهّم وعبوس بقية شخوص المعارضة السورية التقليدية. كثيرا ما سخر العبدة من نفسه ومن لهجته الريفية الجنوبية الخشنة، رغم كونه أحد أبناء مضايا في ريف دمشق، حيث الثلج والمناخ العليل. ويُرجع ذلك إلى كونه قد نشأ وعاش في المنفى مَع والده المعارض الإسلامي الشيخ الدكتور محمد العبدة، رئيس تحرير مجلة البيان والمتخصص في التاريخ الإسلامي.

غير أن المناخ الإسلامي الذي ولد فيه العبدة الابن، لم يجعل منه إسلاميا كما كان متوقعا. بل مكّنه من العبور إلى أوساط لم يكن من السهل عليه التنقل بينها واكتساب ثقتها رغم الاختلاف معها وعنها.

> المهمة الأساسية التي يراها العبدة هي تغيير الوجهة نحو الداخل السوري بدلا من الإقليمي والدولي. وذلك بزيادة حجم التواصل مع المجالس المحلية والمجتمع المدني، وإدخال الحكومة المؤقتة إلى داخل سوريا

فصار أنس العبدة يعرف كشخصية إسلامية معتدلة أقرب إلى الليبرالية في العمل السياسي من الإسلام السياسي. لدرجة أنها أثارت الجدل بين الإسلاميين أكثر من العلمانيين. ولدرجة أن الولايات المتحدة حين أرادت دعم المعارضة السورية ذات يوم، في عهد الرئيس جورج بوش، كان العبدة على رأس أولئك الذين تلقوا الدعم علنا.

حرب التناقضات

مع وصول العبدة إلى رئاسة الائتلاف الوطني السوري المعارض، اشتعلت صفحات التواصل الاجتماعي بالهجوم عليه. وتحديدا الصفحات الأقرب إلى الإخوان وبعض الجماعات السلفية التي كالت له الاتهامات المتناقضة، حتى وصلت بهم الحال إلى وصف العبدة بأنه علماني يتستر بالإسلامية أو غربي يتستّر بالعربية.

أصبح العبدة الرئيس الخامس للائتلاف، بعد خلافات لطالما وقعت بين أطياف المعارضة على توقيت وضرورة الانتخابات التي تتمّ كل ستة أشهر. ليكون العبدة رئيسا جديدا بعد عدة رئاسات منذ تأسيس الائتلاف بدأها كل من معاذ الخطيب وأحمد الجربا وهادي البحرة وخالد خوجة.

اختياره جاء بانتخابات توافقية على شخصية إسلامية معتدلة، نظرا لانفتاحه على المجتمع الأوروبي، فقد سبق وأن عاش العبدة في لندن لسنوات طويلة قبل اندلاع الانتفاضة السورية وتشكل ذهنه بسبب إقامته في أوروبا بطريقة تسمح له بالعمل وفق المعايير الغربية سواء سياسيا أو إداريا.

تعهد العبدة، بـ"الإخلاص لشهداء الثورة" حتى تحقيق أهدافها، وذلك بعد اختياره رئيسا للائتلاف الوطني. وقال العبدة عبر حسابه على موقع تويتر "أثمّن عاليا دعم أعضاء الائتلاف ومنحي ثقتهم، وأعد أن أكون مخلصا لشهداء الثورة السورية وجنديا مقاتلا لاستمرارها حتى تصل إلى أهدافها المنشودة".

حاز العبدة على غالبية الأصوات، إذ صوّت له، وهو المرشح الوحيد، 63 عضوا في الهيئة العامة للائتلاف من أصل 103، بحسب متحدث في المكتب الإعلامي.

الجيوفيزيائي والجيوبولوتيك

ولد أنس العبدة في دمشق سنة 1967، ودرس الجيولوجيا في جامعة اليرموك بالأردن، وحصل على الماجستير في الجيوفيزياء من جامعة نيوكاسل في بريطانيا التي انتقل إليها للحياة والعمل في حقول الإدارة وتكنولوجيا المعلومات.

شارك في العمل السياسي المعارض للنظام السوري منذ أن وصل بشار الأسد إلى الحكم، حيث أصبح العبدة عندها رئيسا لـ"إعلان دمشق" في المهجر.

"إعلان دمشق" اسم يطلق على الوثيقة التي وقّعت عليها شخصيات بارزة من المجتمع المدني والإسلاميين والليبراليين السوريين، دعت، حين تمّ إعلانها، إلى القطع مع قرابة الأربعة عقود من حكم أسرة الأسد لسوريا واستبداله بنظام ديمقراطي.

تعد وثيقة إعلان دمشق هي الجامعة لقوى التغيير الوطنية المعارضة في سوريا وتتضمن على بنود أساسية ترسم خطوطا عريضة لعملية التغيير الديمقراطي في سوريا، وكيفية إنهاء النظام الأمني الشمولي الذي سيطر على الشعب السوري.

كان العبدة من أوائل المتحمّسين لتشكيل المجلس الوطني السوري ليكون ممثلا لانتفاضة الشعب. وبقي على الدوام ضمن الدائرة الأضيق ذات التحالف الوطيد والتي ضمت إعلان دمشق والإخوان المسلمين والمنظمة الآثورية السورية والأكراد. وبقي في قيادة المجلس حتى ليلة تشكيل الائتلاف السوري في الدوحة، فقد تخلّى عنه الإخوان ولم يستطع الفوز بثمانية أصوات تخوّله البقاء في الصفوف القيادية الأولى للمجلس. حينها قرر العبدة حزم أمتعته والسفر إلى لندن واعتزال العمل السياسي المعارض، لولا أن المطبخ السياسي الذي قاده كلّ من السفير الأميركي روبيرت فورد ومعه رياض سيف والوجوه التقليدية في المعارضة السورية مثل الإخوان وغيرهم، كانوا قد قرروا تشكيل الجسم الجديد، حتى لو كان مكوّنا من أولئك الذين لم ينجحوا في الانتخابات، وحتى لو كان من الذين قد تم إسقاطهم عبر الآلية الديمقراطية. فتمت دعوة أنس العبدة للبقاء ليكون أحد قيادات الائتلاف السوري ممثلا عن الذين لم ينتخبوه في المجلس الوطني.

> المناخ الإسلامي الذي ولد فيه العبدة الابن، لم يجعل منه إسلاميا كما كان متوقعا. بل مكنه من العبور إلى أوساط لم يكن من السهل عليه التنقل بينها واكتساب ثقتها رغم الاختلاف معها وعنها

وخلال السنوات الثلاث الماضية، تمكّن العبدة من تأسيس حزبه السياسي الخاص فأعلن عن تطوير "حركة العدالة والبناء" من لندن بوصفها حركة سورية معارضة لنظام بشار الأسد.

ونتيجة تسمية حزب العبدة بهذا الاسم القريب من اسم "حزب العدالة والتنمية" التركي المحسوب على الإخوان، فقد أثيرت إشاعات كثيرة عن أن ولاء العبدة يعود لجماعة الإخوان المسلمين السورية، لكن هذا ليس صحيحا. والتشابه في التسميات يعود لطبيعة شخصية العبدة الذي يريد الكسب سياسيا من مختلف الاتجاهات.

وتسعى حركة العدالة والبناء التي يرأسها العبدة إلى إحداث تغيير جذري في الحياة السياسية في سوريا كما تنصّ منشوراتها، وتعرّف الحركة نفسها كما يلي "نحن مواطنون سوريون من مختلف الأعمار والمهن فيهم الطلاب والحرفيون والأكاديميون ورجال الأعمال. جمعهم حبهم لبلدهم سوريا واعتزازهم بتراثها وحضارتها وتطلعهم لمستقبل أفضل لأجيالها الواعدة، فتنادوا للعمل معا لإزاحة كابوس الظلم والفساد والقهر والخوف، حالمين وعاملين من أجل سوريا حرة قوية أصيلة ومعاصرة، سعيدة ومزدهرة".

قناة بردى

تهدف حركة العبدة إلى "الانتصار للحرية والحق والقيم والأخلاق وحقوق الإنسان في كلّ مكان وعلى كل صعيد. وتحقيق العدالة والتنمية للفرد والأسرة والمجتمع بمنظور يجمع بين الأصالة والمعاصرة. والعمل على بناء نظام برلماني حر في سوريا يحتكم لصندوق الاقتراع ويستند إلى دستور يحافظ على هوية الشعب السوري ويفصل بين السلطات ويكفل حقوق الإنسان وحرية تشكيل الأحزاب وتداول السلطة لجميع المواطنين دون تمييز .

كان العبدة قد حصل على دعم غربي لتأسيس أول قناة معارضة سورية تبث من لندن اسمها "قناة بردى الفضائية"، التي اشتهرت في فترة ما قبل الثورة السورية. وقالت صحيفة واشنطن بوست في تقرير لها بتاريخ الثامن عشر من مايو من العام 2011 إن "وزارة الخارجية الأميركية قدّمت منذ العام 2006 نحو ستة ملايين دولار إلى مجموعة من المنفيين السوريين لتشغيل قناة بردى التلفزيونية الفضائية".

وذكرت الصحيفة نقلا عن برقيات دبلوماسية سرّبها موقع ويكيليكس الإلكتروني، أن الأموال الأميركية بدأت تتدفق على شخصيات سورية معارضة خلال إدارة الرئيس الأميركي السابق جورج بوش بعد تجميد العلاقات السياسية مع دمشق عام 2005.

وأضافت أن الدعم المادي استمر تحت إدارة الرئيس الحالي باراك أوباما رغم سعي إدارته لإعادة بناء العلاقات مع نظام الرئيس السوري بشار الأسد، حيث أوفدت واشنطن سفيرا لها إلى دمشق في يناير 2011 لأول مرة منذ ست سنوات.

وجاء في تقرير واشنطن بوست أنه لم يتضح ما إذا كانت الولايات المتحدة لا تزال تموّل جماعات معارضة سورية، لكن البرقيات تشير إلى أن الأموال تم تخصيصها بالفعل على الأقل حتى سبتمبر 2010. ولم تعلق وزارة الخارجية الأميركية على استفسار من الصحيفة بشأن البرقيات المسرّبة.

كانت قناة بردى، التي تتخذ من لندن مقرا لها، قد بدأت البث التلفزيوني في أبريل 2009، لكنها صعّدت عملياتها لتغطية الاحتجاجات الحاشدة التي بدأت في سوريا الشهر الماضي في إطار حملة طويلة الأجل للإطاحة بالرئيس الأسد، وفقا لما ذكرته الصحيفة. وذكر التقرير أن بعض الأموال الأميركية يبدو أنها مرّرت عبر منظمة "مجلس الديمقراطية"، وهي منظمة غير ربحية مقرها مدينة لوس أنجلوس الأميركية.

التجاذبات الأيديولوجية

يدرك العبدة أن "الرحلة من الحيز الآمن الأيديولوجي إلى الحيز الوطني رحلة شاقة"، ويضيف أن التمثيل السياسي الفعّال هو من أهمّ ملامح المشروع القادم.

دفاع العبدة عن أصالة تمثيل الهيئة العليا للمفاوضات وكذلك قوة وتطوّر رؤية الائتلاف وأيضا عن تصوراته لمستقبل سوريا وأنه لا وجود لبشار الأسد في أيّ مرحلة من مراحل المستقبل السياسي للبلاد، كل ذلك يعطي مؤشرات على أن مرحلة جديدة مختلفة من العمل السياسي المعارض قد بدأت.

ويصف العبدة هذه المرحلة الجديدة بالقول "إن هناك مسارا عسكريا على الأرض سيبقى مستمرا حتى مئة عام في حال حاول أحد مطالبة المعارضة السورية بالتخلي عن مبادئها، بالتوازي مع المسار التفاوضي السياسي الذي نتراجع عنه".

أما المهمة الأساسية التي راها فهي تغيير الوجهة نحو الداخل السوري بدلا من الإقليمي والدولي. وذلك بزيادة حجم التواصل مع المجالس المحلية والمجتمع المدني، وإدخال الحكومة المؤقتة إلى داخل سوريا.

رغم اختلاف نبرة العبدة، التي توحي بأن هناك تغييرا كبيرا لدى المعارضة السورية في مستوى قراءتها للخارطة السياسية الصعبة والمعقدة للإقليم وما يدور حول سوريا، إلا أن قضايا مثل إسرائيل والتطرف والاستقطاب السياسي وغيرها، كان يجب أن تكون على رأس ما يجب الحديث عنه بشجاعة اليوم. وعدم تأجيل المشكلات التي تطيل في عمر المأساة.

الائتلاف باق أم زائل

❑ وفقا للتجارب السابقة مع المجتمع الدولي، وفي ما يتعلق بتمثيل المعارضة السورية للواقع السياسي والميداني في سوريا، فإن تغيير قيادة تلك المعارضة بقي هو السبيل الوحيد والمتواصل لتحقيق المطلب الدولي الذرائعي والمتمثل في السؤال "لماذا لا تتوحد المعارضة السورية؟".

ولا يعرف أحدٌ ما الذي يوجب على المعارضة السورية أن تكون ذات طيف ولون واحد ورؤية واحدة متطابقة، بينما الأمر في كافة أصقاع العالم ليس على هذا النحو. فهناك اليمين واليسار والوسط. وهناك الفكر المتقدم والآخر الذي ما يزال في حاجة للمزيد من التطوير.

ووفقا لنظرية ضرورة توحيد المعارضة، تم تدمير الأجسام السياسية التي نشأت عن الحراك الثوري السوري ومن حوله. وبعد أن اعترفت أكثر من ثمانين دولة على رأسها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بالمجلس الوطني السوري في تونس في العام 2012، عادت واعترفت بالائتلاف السوري كممثل للشعب السوري بعد أقل من عام. وعادت اليوم لتعترف بما نتج عن مؤتمر الرياض للمعارضة السورية في العام الفائت 2015 والهيئة العليا للمفاوضات التي أعلنت بعده برئاسة الدكتور رياض حجاب رئيس الوزراء السوري الأسبق المنشق عن نظام الأسد.

وباعتبار أن العبدة قد تمكّن حتى اليوم من عبور تلك التصفيات السياسية الدولية لممثلي المعارضة السورية، محافظا على عضوية بل ورئاسة الائتلاف مع عضويته للهيئة العليا للمفاوضات في الوقت ذاته، بما يوحي أن مشروعه السياسي متواصل ويرى أنه ما يزال لدى الائتلاف دورٌ يقوم به الآن.

يقول العبدة أن هناك مشروعا للستة أشهر القادمة وهو ما أوصله إلى رئاسة الائتلاف. ومن أولى ملامح ذلك المشروع هو إعادة الاعتبار لمفهوم المواطنة السورية الذي تم الانحياز على حسابه لصالح الجانب الأيديولوجي طيلة الفترة الماضية.

> العبدة يتمكن اليوم من اجتياز تلك التصفيات السياسية الدولية لممثلي المعارضة السورية، محافظا على عضوية بل ورئاسة الائتلاف مع عضويته للهيئة العليا للمفاوضات في الوقت ذاته. بما يوحي أن مشروعه السياسي متواصل ويرى أنه ما يزال لدى الائتلاف دور يقوم به الآن

● خالد الخوجة يسلم مشعل قيادة الائتلاف السوري المعارض لأنس العبدة

من ضائع في باريس إلى جسر للثقافة العربية

يحتاج المرء إلى أكثر من حياة ليكون صموئيل شمعون

فاروق يوسف

❑ **لندن** - بخيلاء الفاتحين ينسج أحلامه.

يمكنك أن تصدق كل ما يقوله صموئيل شمعون، حتىٰ لو كان ما يقوله لا يمت بصلة إلىٰ الواقع الذي نعيشه ولو بنسبة واحد في المئة. فلهذا الرجل القادم من منطقة بحيرة الحبانية، خيال أسماك المحيطات وهو الخيال الذي أعانه علىٰ صنع حياته التي هي أسطورته التي يمشي بقدميها في المحافل الأدبية العالمية بثقة فاتح.

صموئيل الذي هو شموئيل في الوقت نفسه اخترع واقعية مضادة، كانت مزيجا من حيوات عاشها وهو يتنقل بين المدن، محتفيا بحضوره الأخاذ والساحر والمشاغب. ذلك الحضور الذي يسبقه بخفة وأريحية إنما يصدر عن ثقة مطلقة بالفن كما أنه يعبر عن رغبته في اختراع حياة لم يعشها الكاتب.

الفتى الآشوري الذي قرر ذات يوم أن يمتد حلمه ليصل إلىٰ هوليوود كان قد وضع حياته في خدمة مختبر واسع للتجارب الإنسانية. لذلك كان عيشه نوعا من الحلم وكانت أحلامه بمثابة دروس في العيش الجميل بكل ما انطوى عليه ذلك العيش من شظف وشقاء. لقد علمه الشظف كيف يكون نبيلا وارتفع به الكدح علىٰ فكرة الاستسلام للفقر، الذي هو بالنسبة إليه ألد الأعداء المحتملين.

صموئيل هو صنيعة أحلامه التي مدته بخيلاء الفاتحين الكبار من غير أن تبخل عليه بتواضع العارفين. رجل من طراز خاص، تجده في كل مكان يبلغ فيه الجمال واحدة من درجات رفعته. يهمه أن يكون العالم جميلا. لا يمد يده إلىٰ مائدة إلا إذا كان علىٰ يقين من أن هناك أيادي نظيفة قد سبقت يده إلىٰ تلك المائدة.

وبرغم كل ما أنجزه من مشاريع ثقافية، لن يخطئها الخلود فإن الكثير من حقائق شخصيته الإبداعية يظل مرجئا. لن يتسع وقته للروائي الذي لو كتب لكان في إمكانه أن يرسم خارطة لوعي الثقافة العربية الحديثة الشقي.

> صموئيل الذي هو شموئيل في الوقت نفسه اخترع واقعية مضادة، كانت مزيجا من حيوات عاشها وهو يتنقل بين المدن، محتفيا بحضوره الأخاذ والساحر والمشاغب. ذلك الحضور الذي يسبقه بخفة وأريحية إنما يصدر عن ثقة مطلقة بالفن كما أنه يعبر عن رغبته في اختراع حياة لم يعشها الكاتب

"عراقي في باريس" وهو كتاب سيرته الذكي ليس سوى فصل صغير من مغامرة لا يزال يخوضها. ولأنها مغامرة حياة فإن شيئا من التجريد لا يتسلل إليها. ما لا يفهمه الكثيرون من شخصيته أنه يعيش الثقافة باعتبارها حياة. يطبخ شمعون غذاءه باعتباره مثقفا أما حين يفكر فإنه لا يخون ذائقة الطباخ. لذلك فإن كل شيء عمله كان متقنا بدءا من مجلة "بانيبال" وانتهاء بموقع ومجلة "كيكا" مرورا بجائزة الترجمة.

واقعيته متقنة وهو ما يحير الكثيرين ممن لا يجدون فيه شيئا من الواقع من غير أن يجرؤ علىٰ إنكار وجوده الواقعي. فالرجل موجود بقوة هوائه الذي لا يزال يدخر الكثير من العصف.

رحالة يحلم بلغات قبائل مجهولة

ولد صموئيل شمعون في الحبانية، غرب العراق عام 1956 لعائلة آشورية. غادر العراق نهاية السبعينات إلىٰ بيروت في طريقه إلىٰ هوليوود التي لم يصلها إلا بعد سنوات طويلة. في بيروت عمل في مطبوعات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالرغم من أنه لم يهتم كثيرا بالسياسة، ومن بيروت انتقل إلىٰ تونس لتكون فرصته مؤاتية لكتابة الشعر "لقد تعلمته الشعر" كما يقول، ليرفق جملته بحديث طويل عن صديقه الشاعر والمترجم التونسي خالد النجار.

بعد سنوات سيصدر شمعون كتابين شعريين، هما Old Boy عام 1987 والثاني بعنوان ياباني وترجمته "مطر في رأس أمي" عام 1995.

من تونس انتقل إلىٰ القاهرة لتربطه بصداقة عميقة بالمخرج يوسف شاهين. هناك اتخذ اسما مستعارا هو "سامي شاهين" ليوقع مقالاته التي كان يكتبها عن السينما.

من القاهرة انتقل شمعون إلىٰ قبرص ومنها إلىٰ باريس التي يروي فصول حياته فيها في كتابه الممتع والأخاذ "عراقي في باريس" الذي نشر أول مرة عام 2005، لتتوالىٰ طبعاته في غير مدينة عربية وليترجم إلىٰ الإنكليزية والفرنسية والسويدية والكردية.

عام 1998 أطلق بصحبة زوجته مارغريت أوبانك مشروعه الريادي في ترجمة الأدب العربي إلىٰ لغة شكسبير من خلال مجلة "بانيبال" الفصلية. ثم أقام بعدها موقعا إلكترونيا للأدب العربي المعاصر بعنوان "كيكا" وصار بعدها يصدر مجلة بالعنوان نفسه.

يمكن القول مجازا إن شمعون بعد هذا الترحال بين المحطات التي عاش في كل واحدة منها حياة استثنائية، كانت بمثابة مجازفته الأخيرة في العيش قد استقر في لندن، غير أن تلك الجملة قد لا تعبر عن حقيقة ما يفكر فيه الرجل الذي صعد ذات مرة إلىٰ المنصة بحذاء رياضي ليعلن اسم الفائز بالجائزة العالمية للرواية العربية "بوكر" باعتباره رئيسا للجنة التحكيم. فلا تزال في مخيلة هذا المشاء تشتعل نيران قبائل يود لو تعلم لغاتها ومشىٰ في أثر شعرائها المجهولين.

حين زرته أول مرة في بيته اللندني توقعت أن أرى حقيبة سفره مركونة خلف الباب.

ما كتبه صموئيل شمعون في روايته وهي سيرته الشخصية "عراقي في باريس" يعد درسا جديدا في الكتابة العربية. يعيد شمعون رواج كتابه نخبويا أو شعبيا علىٰ حد سواء إلىٰ مفهوم الـ"انتي ـ بطل" أي الشخص المضاد للبطولة الذي جسدته الشخصية الرئيسة في الرواية. وهي الشخصية التي تحمل ملامح وأخلاق وأحلام شمعون نفسه، ما كانه تماما وما يحرص أن يكونه في حياته، غير أن ذلك التفسير يخون الكتابة حين يسلمها كليا إلىٰ المضمون الذي لا يمكن إنكار قوته وقدرته المشوقة علىٰ التأثير.

إن سحر "عراقي في باريس" يكمن كما أرى في اللا أسلوب وهو المعادل الأدبي لمفهوم الـ"لا بطل" الذي استلهمه الكاتب من حياته الشخصية. من حلمه في أن لا يكون متاحا وأن يعيش غربته بمتعة.

صموئيل شمعون يكتب مثلما يتكلم ومثلما يعيش. ولم يكن ذلك السلوك ليكون حاضرا في روايته إلا لأنه لا يفكر بالأدب كما عرفه وأعجب به حين يكتب.

يعتقد الكثيرون أن سيناريو الفيلم الذي خطط صموئيل لأن يحمله معه من بغداد إلىٰ هوليوود في بداية حياته ليقوم أحد كبار مخرجي مدينة السينما بإخراجه قد وجد طريقه إلىٰ الظهور من خلال "عراقي في باريس".

"كتاب لا يكتبه إلا سينمائي" وهو استنتاج يُشعر المؤلف بالسعادة أكثر من الكلام النقدي الذي يثني علىٰ براعته الأدبية في كتابة نص يوازي رائعة هنري ميلر "مدار السرطان" التي هي الأخرى سيرة ذاتية تجري أحداثها في باريس.

كان شمعون ذكيا في إخفاء كل ما تعلمه من الأدب ليهب الثقافة العربية واحدة من أجمل السير الذاتية وأكثرها عذوبة.

يقول شمعون "أنا سعيد لأن كتابتي فيها الكثير من السينما. أظن أني أكتب رواية عربية بتركيبة أسلوبية أمزج الهوليوودية بالبوليوودية (الهندية). لذلك يصعب علىٰ القارئ أن ينتهي من 'عراقي في باريس" من غير أن تتشكل الدمعة في عينيه".

خزانة حياة خيالية

يحدثك عن "الجندي الآشوري" وهو الكتاب الثاني من رباعية سيروي من خلالها سيرة حياته كاملة. مَن لا يعرفه جيدا قد لا يتوقع أن شخصا واحدا عاش في حياة واحدة كل هذه الحياة. في خزانته يجتمع الفقراء والأمراء، الفاشلون من أول محاولة والمبدعون الكبار، نجمات السينما ولاعبات السيرك، الشعراء والسياسيون ومرضىٰ الوهم والمتمردون العاطلون والفلاسفة، المسافرون من غير اسم والخالدون الذين جالسهم في مقهىٰ ثانوي لم يعد يتذكر اسمه. يمكنه أن يمد يده حين يشاء إلىٰ تلك الخزانة ليستخرج وقائع حياة، لم يعشها أحد مثلما عاشها. فهل سيفعل؟

يحتاج المرء إلىٰ أكثر من حياة ليكون صموئيل شمعون.

● عام 1998 أطلق صموئيل شمعون بصحبة زوجته مارغريت أوبانك مشروعه الريادي في ترجمة الأدب العربي إلى لغة شكسبير من خلال مجلة «بانيبال»

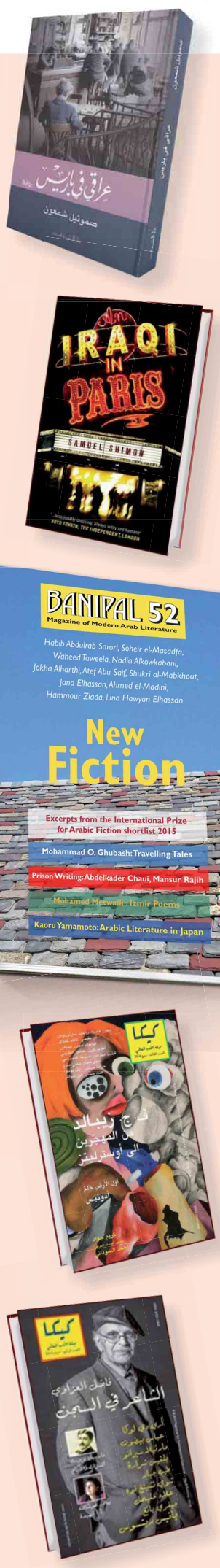

> الفتى الآشوري الذي قرر ذات يوم أن يمتد حلمه ليصل إلى هوليوود كان قد وضع حياته في خدمة مختبر واسع للتجارب الإنسانية. لذلك كان عيشه نوعا من الحلم وكانت أحلامه بمثابة دروس في العيش الجميل بكل ما انطوى عليه ذلك العيش من شظف وشقاء

علم الاجتماع وتهمة ثقافة الأعذار

نقاش فرنسي ساخن حول مسألة العنف

أبوبكر العيادي
كاتب من تونس مقيم في باريس

منذ أحداث يناير 2015، والجدل حام لا يفتر، حول دوافع العنف، ودور الدولة في توقّيه لحماية مواطنيها، وقرار الاشتراكيين بفرض حالة طوارئ لأن البلاد تخوض حربا، ثم قرارها بنزع الجنسية عن كل من يهدد أمن البلاد وسلامة أهلها، وإن كان ذلك الجدل قد ظل محصورا في تحليل ما يجري والبحث عن سبل التصدي له، غير أنه اتخذ وجهة أخرى حينما وجه النظام الحاكم، ممثلا في رئيس الحكومة مانويل فالس، اليساري شكلا، واليميني مضمونا، اتهامات مباشرة لعلماء الاجتماع، الذين يختلقون في رأيه الأعذار للإرهابيين، فتحوّل الجدل إلى خصام حادّ بين الحكومة والمثقفين.

> التخلي عما مثل قيم الأنوار، أي المعرفة والعقل والفكر النقدي، يكمل المشهد الكارثي ليسار فشل في مهمته وخان مثله العليا

كانت البداية في نوفمبر 2015، في كلمة ألقاها فالس في البرلمان، قال فيها "إنه لم يعد يحتمل أولئك الذين يبحثون باستمرار عن أعذار أو مبرّرات ثقافية أو اجتماعية لما جرى"، ثم عاد في يناير 2016، في المكان نفسه ليعلن أنه "لا مجال للبحث عن عذر اجتماعي، سوسيولوجي أو ثقافي" قبل أن يعرب عن تبرّمه مما أسماه "ثقافة الأعذار"، مضيفا "أن تُفسّر معناه أنك تَصفح". وهو ما أثار حفيظة جانب هامّ من المفكرين، من بينهم مارسيل غوشيه، أكثر الفلاسفة رصانة، وأقلّهم ميلا إلى مثل هذه المعارك. وهذا ليس جديدا على اليمين، فرونالد ريغن، على سبيل المثال، كان عاب عام 1983 على "الفلسفة الاجتماعية" (التي يصفها أيضا بفلسفة اليسار) نزوعها إلى اعتبار "المجرمين نتاجا بائسا لظروف اقتصادية واجتماعية سيئة". في حين أن علم الاجتماع، كما يوضح الأميركي هوارد بيكر يقوم على تحقيق هدفين يمكن تلخيصهما في سؤالين بسيطين: كيف نفسّر العبقرية؟ وكيف نفسّر الجريمة؟ بعبارة أخرى، لا يمكن فهمُ موزارت ولا مجرم سفاح إلا كشخصين متفرّدين، فموهبتهما – في خدمة البشرية أو خدمة الشرّ – لا تخضع لأيّ قانون. والسعي إلى تفسيرها لا يأتي بنتيجة لأن في ذلك ما يشبه شكلا من أشكال التعدي على الجمال من جهة، والنظام الاجتماعي من جهة ثانية. والذين يمارسون العلوم الاجتماعية يعرفون أن محاولة تحليل الموهبة الفنية والانحراف الإجراميّ تعرضهم إلى مخاطر ليس أقلها تنمّر أولئك الذين يميلون إلى تفسير كل شيء على هواهم، لأن في ذلك مصلحتهم، ليحيلوا نتائجهم إلى صدف الولادة والعبقرية ومسؤولية كل فرد أمام القانون.

وغاية فلسفة المسؤولية تلك واضحة كما بيّنت أعمال بيير بورديو: جعل المهيمنين والمنتصرين من شتى الفئات، وخاصة أولئك المتفوقين دراسيّا أو مهنيّا، أمرًا مشروعًا، بمعنى "إن نحن أغنياء فالفضل فيه لأنفسنا (أسطورة الصانع نفسه بنفسه self-made-man). وإن نحن متألقون دراسيا فالفضل لملكاتنا الذهنية (أسطورة الموهبة) أو مجهوداتنا (أسطورة الاستحقاق). وإن نحن مشهورون ومعترف بنا فالفضل لمهارتنا الاستثنائية (أسطورة العبقرية)"، أي أن هيمنة بعض المجموعات على بعضها الآخر ليس سوى نتيجة اختيارات أو نجاحات فردية، ولا دخل للاعتبارات الاجتماعية فيها.

وهذا ما اعتاد عليه اليمين بدءا بعالم الاجتماع ريمون بودون. أما أن تأتي التهم من حكومة تدّعي انتماءها إلى اليسار، فيما هي لا تَني تتيامن في كل سياساتها الاقتصادية والمجتمعية وأخيرا الدستورية بمحاولة فرض قانون ضمن الدستور يشرّع لنزع الجنسية عمّن يحمل جنسيتين (والمستهدفون هم المهاجرون العرب بالدرجة الأولى)، فذاك ما زاد الجدل ضرامًا. لأن الحكومة تضع علماء الاجتماع في وضع من يلزمه إثبات جدوى علومه وأبحاثه ومؤلفاته ما دامت قد عجزت عن استباق الخطر والتحذير منه. فاليسار تاريخيا كان مرتبطا بتطور النظر العلمي في العالم الاجتماعي، بعد أن أدرك أن التفاوت بين الأفراد والجماعات ليس طبيعيا، وأن الهيمنة بأنواعها، كولونيالية وطبقية وذكورية، كانت نتاج عوامل تاريخية، وفتح السبل أمام أفكار تحويل مشاكل التفاوت عن طريق الحراك الاجتماعي والعمل السياسي، وفي رأي إريك أيشيمان من مجلة لونفيل أوبس، أن ثمة نوعا من التناسق لدى حكومة اليسار الحالية، التي تخلّت عن كل مطمح في التصدي للتفاوت الاقتصادي والثقافي والمدرسي، حين تتبنى في النهاية مفردات أولئك الذين، من اليمين المتطرف واليمين على حدّ سواء، يختزلون كل تفسير في "ثقافة أعذار" مزعومة. فبعد التماهي معهما في الفكر الليبرالي على المستوى الاقتصادي، وفي قضية الهوية الوطنية الإشكالية، والانخراط في سياسات أمنية تتغذى بالخوف وتتعهّده، فإن التخلي عمّا مثّل قيم الأنوار، أي المعرفة والعقل والفكر النقدي، يكمّل المشهد الكارثي ليسار فشل في مهمته وخان مثُله العليا.

تراجع ظلامي

وقد بلغ الخلاف أشُدّه ما دفع أحد علماء الاجتماع، هو "برنار لاهير" من جامعة ليون، إلى إصدار كتاب جديد عنوانه "لأجل السوسيولوجيا، ولأجل وضع حدّ لثقافة الأعذار المزعومة" للردّ على الخصوم، أكّد فيه أن الباحثين في العلوم الاجتماعية الأكثر جدية يقودون عملهم من جهة المساءلة النقدية والاستقصاء الميداني وتأويل المعطيات التي يحصلون عليها. وهم يعيدون تركيب الظروف والحكايات المتداخلة – من الأشمل إلى الأخص – التي تندرج فيها الأفعال التي يرومون فهمها. يقومون بذلك دون إصدار أحكام على الوضع العام. ومن ثَمّ فإن فهم العالِم كما هو ليس إيجاد ذريعة للصفح عن الأفراد الذين يكوّنونه. في المقابل، فإن رفض التفسير المبنيّ على استنتاجات علمية يمثل تراجعا ظلاميا بالنسبة إلى القيم الأساسية التي تحملها المدرسة في شتى درجاتها.

معاداة المثقفين

وهذا ما كان عبّر عنه رولان بارت في كتاب "ميثولوجيات" حيث شبّه معاداة المثقفين بـ"البوجادية" نسبة إلى بيير بوجاد (1920–2003)، زعيم التجار الذي كان في خمسينات القرن الماضي ينذّد بـ"كثرة الحاصلين على شهادات، ومتعددي الفنون والعلوم، ورجال الاقتصاد، والفلاسفة والحالمين الذين فقدوا كل صلة بالواقع". فالتيار المعادي للمثقفين، يقول بارت، هو موقف مفاده أن "من يريد أن يرى بوضوح، عليه أوّلا أن يصاب بالعمى، ويرفض تجاوز المظاهر، ويقبل بلا نقاش ما يقترحه الواقع، ويعتبر أن كل ما من شأنه أن ينوب عن التفسير عند الرّدّ عَدمٌ". وختم نهاية تحليله بقوله إن "أيديولوجيا معادة المثقفين تشمل أوساطا سياسية مختلفة". والغريب أن ذلك لا يخص فرنسا وحدها، بل يتعداه إلى بلدان متطورة أخرى، كاليابان مثلا، حيث دعا رئيس الحكومة الجامعات اليابانية إلى تحويل أقسام العلوم الإنسانية والاجتماعية "لكي تلائم حاجيات المجتمع بشكل أفضل".

مسؤولية أخلاقية

ولمّا كان الدافع إلى هذا كله هو ما لحق الفرنسيين مؤخرا من أعمال إرهابية، فإن السؤال الذي ما فتئ يُطرح على علماء الاجتماع هو: كيف يمكن تحليل الحتميات التي تحدّد سلوك الإرهابيين دون أن نُخليهم من مسؤولية أفعالهم؟ في حديث لجريدة لوموند، أجاب برنار لاهير أن العلماء ليس من مهمتهم تحديد الجناة أو خلع المسؤولية عن الأفراد الذين يرتكبون أعمالا إجرامية. فالأعمال الفردية من وجهة نظره لا يكون لها معنى إلا متى وضعت في شبكة معقدة لعلاقات الترابط الماضية والراهنة. وهي حقيقة موضوعية لا ينكرها أحد، مثلما لا ننكر الميكانيزمات التي يقترحها علينا علماء الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا. وأضاف خاصة أن "المسؤولية الفردية مسألة أخلاقية أو قضائية، وليست مفهوما علميا محدّدا. ولكن أن نفهم دون أن نحكم، لا يمنع من ترك العدالة تأخذ مجراها. أما أن نفكر في أن العلم، القائم على الشرح والفهم، ينزع المسؤولية، فهذا خلط بين العلم والقانون، بين المختبر والمحكمة".

ويتمسك الخصوم بأن العلوم الاجتماعية أهملت في تفسيرها العوامل الدينية، التي دفعت بجانب من الشباب الفرنسي إلى ارتكاب أعمال إجرامية. وفي رأي جيرالد بونّر أن وضع الدينيّ في مقابل الاجتماعي دليل جهل وفي أحسن الأحوال دليل على سوء فهم. لأن العلوم الاجتماعية أدرجت المسألة الدينية منذ أمد بعيد كمبحث أساس لفهم دورها في المجتمع، سواء في تطور رأس المال لدى ماكس فيبر أو في التلاحم الرمزي للعالَم الاجتماعي لدى إميل دوركايم، فالدين هو عنصر اجتماعي على غرار الدولة والمدرسة والثقافة والقانون أو الاقتصاد. والخلط متأت من فهم خاطئ لمصطلح "اجتماعي"، فهو في كثير من الأذهان معادل للطبقة الاجتماعية أو الوسط الاجتماعي.

والرأي الغالب في النهاية أن الفهم لا يعني الحكم. ولكن الحكم (وتسليط العقاب) لا يمنع الفهم. وإذا كان موقف الذين يريدون الحكم وتسليط العقوبة دون فهم لم ينتشر مثل هذا الانتشار في الفضاء العام، فما من أحد يمكن أن يلوم العلوم الاجتماعية على أدائها لعملها، وما من أحد تنتأ في ذهنه فكرة تأويل "البحث عن الأسباب" أو "إرادة الفهم" على أنها عذر أو محاولة لتبرئة المذنبين.

* تخطيط: ساي سرحان

خرافة العصر الذهبي

خلدون الشمعة
ناقد من سوريا مقيم في لندن

الدكتور لويس عوض يسميها "خرافة العصر الذهبي"، بل يؤكد في أكثر من دراسة أن هذه الخرافة تكاد تكون وقفا على العرب في تعاملهم مع تاريخهم القومي. وبعبارة أخرى فإنه يشير بلا مواربة إلى أنّ ما يدعوه العرب بعصرهم الذهبي الذي يختلف تحديد سعته الزمنية بين مؤرخ وآخر، هو مجرد وهم من أوهام العرب المعاصرين.

والطريف أن لويس عوض يجعل من تلك الخرافة خصيصة عربية يدعو المؤرخين العرب إلى تجاوزها عن طريق كتابة التاريخ العربي بلا أوهام أو انحيازات مسبقة كما يفعل الكيميائي في مخبره عندما يتعامل مع كتلة من المعادن التي يحاول أن يفصل كل فلزّ منها على حدة. وهو بهذا يدعو إلى تطبيق الشروط المخبرية على الحادثة التاريخية. ومرة أخرى يطالب المؤرخين العرب بما لا يطالب به مؤرخي الثقافات الأخرى في تعاملهم مع تاريخهم القومي.

والإشكالية التي يطرحها لويس عوض ذات شقين: هل صحيح أن العرب هم الوحيدون الذين يتحدثون عن عصر ذهبي؟ وهل صحيح أنهم ينفردون بهذه الخصيصة دون غيرهم من الأمم؟

وأما الشق الثاني من الإشكالية فيمكن أن نصوغه على النحو التالي: لماذا تخترع الأمم خرافات عن عصر ذهبي غارب؟ أو لماذا تلحّ على وجود مثل هذا العصر إذا لم تكن تقوم باصطناعه اصطناعاً؟

يقول نيتشة في كتابه "أبعد من الخير والشر"، "ما الذي عناه ذلك الفيلسوف الإله عندما نصح الإنسان بأن يعرف نفسه؟ هل كان يعني أن تكف عن أن تعني شيئاً لنفسك.. كن موضوعياً؟".

جوهر هذا النقد النيتشوي كما هو واضح، يكمن في استحالة الخروج من تجربة استعادة الماضي بنتيجة يتطابق فيها تقييم الحادثة التاريخية مع الحقيقة الواقعية.

وفي الشروط المأساوية التي نعيشها نحن العرب المعاصرون، في ظل هذا الاستنفار الأيديولوجي الدائم، صار من المحتّم أن تؤدي بنا عملية جلد الذات إما إلى إنكار وجود العرب الحضاري باختزالهم بمخيال طائفي وقبلي وإثني يفضي إلى عملية ارتداد إلى ما قبل الدولة الحديثة، أو إلى الإمعان في أسطرة التاريخ على نحو يحيله إلى خرافة عصر ذهبي نحاول استعادته بماضوية أصولية معادية للحداثة.

أعترف أنني كنت إلى عهد قريب، أظن أن العرب وحدهم يحتكرون خصيصة المبالغة بالشعور بالتضخم الحضاري، وبخاصة فيما يتعلق بالاعتزاز بلغتهم القومية وتفرّدها بين اللغات. إلا أن كتاباً قرأته قبل سنوات يتعقب فيه مؤلفه مواقف مختلف الثقافات ونظراتها القدسية إلى لغاتها قد أكد لي أننا حتى في مسألة اللغة لا ننفرد في تقديرنا الخاص لها. فالسويديون على سبيل المثال، يتناقلون اعتقاداً قديماً مفاده أن السويدية هي لغة الملائكة.

القدسية اللغوية إذن ليست حكراً موقوفاً على العرب وحدهم. ثم كيف ننظر إلى الحضارة الأوروبية المعاصرة؟ ألا نردد دائماً أن الحضارة الأوروبية الراهنة هي استئناف أو تطوير أو امتداد لعصور اليونان والرومان القديمة؟ وأكثر من ذلك فإننا لكي نحفظ خرافة العصر الذهبي الأوروبي هذه ونمنحها المصداقية لا نتردد البتة في القول إن الحضارة العربية قد حققت دورها الأساسي في الحفاظ على العصر الذهبي الأوروبي متمثلاً في علوم وفلسفات وفنون اليونان ونقلها إلى عصر النهضة الأوروبية. فكأننا على حد قول ريتان مجرد محافظين للآخرين عصورهم الذهبية دون أن يكون لنا عصرنا الخاص.

ثم لماذا تخترع الأمم خرافات عن عصر ذهبي غارب؟ هل تفعل ذلك لأنها تشير إلى الأمام وهي متجهة ببصارتها وبصيرتها إلى الوراء؟ أم أنها تفعل ذلك لأنها تريد أن تؤكد أن أرضها الياب لا بد أن تورق وتثمر اعتماداً منها على واقعة تحملها الذاكرة الجماعية للأمة عن ازدهار ماض انقضى ولكنه يشير إلى عصر ذهبي كان مثمراً؟

مهما يكن من أمر فإننا في خضم الطوفان الأيديولوجي الذي يجتاح عالمنا العربي لا نملك إلا أن نصدق خرافة العصر الفرعوني وأن نكف عن استنكار خرافة عصرنا الذهبي العربي.

الفلسفة خلاص علماني

الفيلسوف الفرنسي لوك فيري في حواره مع «الجديد» اللندنية

لوك فيري هو واحد من الفلاسفة الجدد الذين حاولوا إحداث القطيعة مع الاتجاهات الفلسفية التي كانت سائدة مع جيل الرموز والأسماء اللامعة التي سطعت في سماء الفكر الفرنسي سنوات الستينات والسبعينات أمثال سارتر، جاك ديريدا، جيل دولوز وميشال فوكو وغيرهم. وكغيره من هؤلاء الفلاسفة الجدد أمثال ميشال أونفري وأندري سبونفيل وفريديريك شيفتر وياسكال بروكنر على اختلاف مشاربهم، أراد أن يخرج الفلسفة من سجن التأمل النظري وينزل بها إلى أرض الواقع لتنشغل بقضايا الحياة العملية والمشاركة في الصراع السياسي والثقافي، وقد شغل منصب وزير التربية قبل بضع سنوات. تخرج من السوربون ومن هيدلبرغ بألمانيا ودرّس الفلسفة والعلوم السياسية بجامعات فرنسية كثيرة قبل أن يبدأ بنشر إنتاجه الفكري ابتداء من سنة 1984 والذي استهله بكتاب "الفلسفة السياسية" في 3 أجزاء. وعرف لوك فيري وبدأ يسطع نجمه إثر إصداره بمعية آلان رونو سنة 1985 الكتاب الذي أثار ضجة كبرى في فرنسا تحت عنوان "فكر 1968 الذي وجه نقدا لاذعا للأيديولوجيا السائدة قبل وبعد أحداث 68 بفرنسا. ثم توالت إصدارات غزيرة لاقت بعضها نجاحا كبيرا في المكتبات كـ"النظام الإيكولوجي الجديد" و"الإنسان-الإله أو معنى الحياة" و"ثورة الحب، من أجل روحانية علمانية" وغيرها.. وآخر ما صدر له "الابتكار المدمر" (2014). بالإضافة إلى مجموعة من التسجيلات في شكل أقراص مضغوطة حاول أن يبسط عبرها تاريخ الفلسفة وأهم قضاياها.

لوك فيري: إذا كان المتفائل غبيا سعيدا فإن المتشائم غبي شقي

■ الجديد: لوك فيري.. نتخلص من ماذا؟

● **لوك فيري:** "الخلاص، تقول المعاجم، هو فعل النجاة من خطر كبير أو مصيبة كبيرة". وجاءت كلمة "خلاص" في اللغة اللاتينية واليونانية من فعل "أنقذ". ولكي نذكر فيلسوفين يونانيين اساسيين إبيكتيت وابيقور، فمن أيّ خطر أو من أيّ مصيبة أراد المفكران إنقاذ تلامذتهما واتباعهما وهما المختلفان جذريا؟ اولا من الخوف الذي يهدد وجودنا ويحاصره، وربما نحسن القول إذا قلنا من ذلك الخوف الذي يعكّر صفو حياتنا ويمنعنا من الحركة. فالرغبة في الحكمة، ونشدان السكينة، تلك هي الترجمة الأحسن والأقرب لكلمة فيلو-صوفيا. هي القناعة بأننا ما دمنا مطوّقين بالخوف فمن المستحيل ان نصل إلى "الحياة الطيبة" ومن المستحيل بلوغ السكينة ومن هنا فمن المستحيل ان نكون احرارا في نفوسنا وان ننفتح على الآخر وان نتمتع بأريحية ما: حينما نخاف نكون مضطربين، متلعثمين، بمعنى نكون غير احرار ومتقوقعين على ذواتنا في ان. لكي نصل إلى السكينة، من الضروري التغلب على خوفنا وهواجسنا، وخلافا للديانات التوحيدية الكبرى، تعدنا الفلسفة بأننا نستطيع وبأنفسنا وعن طريق العقل بلوغ تلك السكينة، وليس عن طريق الغير أو الإيمان.

■ الجديد: من أين يمكن أن يستمد المرء الطاقات لبلوغ "حياة طيبة" وهو يعيش في قارة عجوز لم تعد تؤمن بنفسها؟ "انا أورو- مركزي"، هكذا تقول، فهل شرحت لنا اكثر؟

● **لوك فيري:** كثيرا ما أسمع وعلى الخصوص على لسان رجال الدين والمتدينين عموما أن مجتمعاتنا الأوروبية العلمانية وبما أنها بعيدة بل محرومة كثيرا من البعد الروحي، فهي قد استسلمت إلى وهم "انا بدون النحن" الغارق في أنانية مفرطة. ولأننا مجتمعات تعيش قطيعة شبه كلية مع المطلق، فستسقط في نسبية يائسة.

ولئن كان عالم الإسلا

في بعيش فائضا في مجال المقدس، فمن المؤكد أن الغرب يعاني نقصا فادحا في الأمر. فالأول عامر أكثر من اللزوم والثاني فارغ إلى أقصى حد. وتحليل كهذا يجد صدى كبيرا لدى كل الذين، سواء كانوا مؤمنين وغير مؤمنين، من اليسار و من اليمين، والذين لم تفلح مجتمعاتنا الليبرالية في إرضائهم. وشخصيا لا أتفق مع هذا التحليل فحسب بل أذهب منذهبا مضادا له تماما.

■ الجديد: كيف ولماذا؟

● **لوك فيري:** أولا، نحن لا يمكن أن نطلب من الديمقراطيات العلمانية والتي هي من اختراع الحضارة الأوروبية، الشيء ونقيضه، فلا يمكن ان تكون هذه الديمقراطيات عامرة وخاوية في نفس الوقت، فبطبيعة تكوينها وبنائها هي تشكل إطارا ليس من مهمته إعطاء معنى وفرضه كايديولوجية رسمية، وإنما هي بناء من أجل تنظيم التعايش السلمي بين الأفراد فقط. فان نطالب من مجتمعاتنا أكثر من ذلك فهذا لعمري التناقض بعينه. وقليل من الناس – وعلى الخصوص أولئك الذين استبدلوا الروحانيات التقليدية بديانات الخلاص الأرضي والذين لا يزالون ينتظرون من الدولة يائسين ان تحدد غايات جليلة للجميع – هم قادرون على فهم وهضم الفكرة الأساسية التالية: بما ان بنية الدولة الليبرالية علمانية في جوهرها، بمعنى محايدة، فلكل منا والحال هذه ان يعطي معنى لحياته بطريقة فردية. والفردية لا تعني هنا ان يكون الفرد منعزلا عن الآخرين، "دون الآخرين" وإنما "دون الدولة". إذ يمكن بناء علاقات لا متناهية مع الآخرين، عاطفية وثقافية وعائلية وجمعوية او سياسية، سُمح بها في مجتمع مدني مسالم وضعت فيه العلمانية حدا للحروب الدينية وباتت تحترم فيه حقوق الإنسان ويحترم فيه الغير. وعلى أيّ حال، فالدولة الليبرالية لا تهمل ابدا او تتجاهل الجانب الجماعي، وإنما فقط يعود للأفراد انفسهم نسج علاقات خصبة، وإعطاء معنى لوجودهم وبناء ذواتهم بذواتهم، وهو امر أصعب بكثير من ترك الأمر لأيديولوجية دينية رسمية. يجوز للدولة ان تحدد المبادئ العامة للقانون وضمان السلام الاجتماعي ولكن لا يمكن ان تذهب إلى ابعد من ذلك، فما بعد ذلك لا يخص سوى الإفراد وحدهم.

■ الجديد: لنعد إلى مسألة المقدس في أوروبا إذا سمحت، أنت تعتقد بأنه لم يختف، كيف؟

● **لوك فيري:** من يزعم بأن المقدس قد اختفى من المجتمعات الأوروبية الحديثة يرتكب خطأ مزدوجا: فاولا تبقى الديانات في هذه المجتمعات حاضرة بالمقدار الذي يحيده الأفراد، وثانيا توجد رموز غير دينية فيما يخص العلاقة بالمطلق إذ المطلق ليس هو المقابل للدنيوي فقط بل هو ايضا ما يمكن ان نضحي بحياتنا من أجله، ولا نحتاج أن نكون مؤمنين لنقدس اوطاننا او ببساطة الأشخاص الذين نحب مثلا. وبعيدا عن السقوط في خواء روحي بسبب عدم وجود ما فيه الكفاية من الدين، فعلى العكس تماما، فمجتمعاتنا الأوروبية هي أول المجتمعات المعروفة التي أصبحت حرة وأكثر أخلاقية في نفس الوقت من كل المجتمعات المعروفة حتى الآن في التاريخ كما في الجغرافيا. يريد البعض أن يوهمنا بان أوروبا هي الإستعمار وتجارة الرقيق والإبادات الجماعية فقط!

■ الجديد: ولكن تلك حقائق لا ينبغي نكرانها..

● **لوك فيري:** الحقيقة أن قارتنا هي بالأحرى من الغى العبودية ولم يكن ذلك الإلغاء مفروضا بالقوة وإنما جاء نتيجة الأنوار الأوروبية. ويقال أيضا إن شعوب الجنوب لم يعد يغريها النموذج الغربي الذي هو في سقوط حر؛ والأخذ العكس تماما وخير شاهد على ذلك الآلاف من المهاجرين الذين يقصدون قارتنا اليوم مضحّين بحياتهم أحيانا. وعلاوة على ذلك، لقد مال كل شيء في العالم لصالح القيم الديمقراطية في السنوات الخمسين الماضية، في الشرق كما في أميركا اللاتينية بل حتى في الصين التي تسير بخطى سريعة نحو التغريب. ويبقى العالم الإسلامي الاستثناء الوحيد.

■ الجديد: وبالنسبة إلى أوروبا لا انحطاط ولا شيء من هذا القبيل في رأيك؟

● **لوك فيري:** إذا كان هناك انحدار ما في أوروبا اليوم فهو على المستويين الاقتصادي والاجتماعي فقط ولكن لا يعود ذلك ابدا إلى انهدام المبادئ الأخلاقية وإنما على العكس من ذلك، إذ قيمنا الإنسانية، الأخوة والتضامن والحماية الاجتماعية.. هي التي خلقت دول العناية والرفاه وهذا لعب دورا سلبيا ضدنا في إطار المنافسة المعولمة إلى درجة أصبح وضعنا صعبا امام عدد الوافدين الجدد. ولهذا ينبغي ان نحافظ على نموذجنا الاجتماعي أكثر من أي وقت مضى.

■ الجديد: في كتابك " الإنسان المؤله أو معنى الحياة "، تتابع تطور الأفكار التي انبثقت عن علمنة المجتمع الأوروبي، ونفهم انطلاقا من تحليلك ان القيم الأخلاقية تحل محل الدين اكثر فاكثر، وان دليل الإنسان غدا مع مرور الوقت أخلاقية مؤسسة في جزء كبير منها على مبادئ حقوق الإنسان.. فهل هذه السيرورة قابلة للتعميم على العالم كله؟ وهل يمكن أن تحدثنا عن خصوصية الحضارة الأوروبية وتاليها للكائن البشري؟

■ الجديد: هل تصبح الفلسفة عقيدة بدورها؟

● **لوك فيري:** في والواقع وعلى عكس الديانات الكبرى، تعد الفلسفة أولئك الذين يريدون تكريس حياتهم لها بانهم سيتمكنون من إنقاذ انفسهم بانفسهم وعن طريق العقل في حين ان الأديان الكبرى تعد الإنسان بإمكانية الوصول إلى الخلاص ولكن عن طريق الآخر، الله (وليس بنفسه) وعن طريق الإيمان (وليس العقل). وهنا يكمن في رأيي الفرق الحقيقي الوحيد بين الفلسفة والدين.

■ الجديد: ولكن السؤال الذي يطرح رأسا هو المتعلق بمعنى ذلك الخلاص.. فهل نجاة المجتمعات أكثر من ذلك فهذا لعمري التناقض بعينه، وقليل من الناس – وعلى الخصوص أولئك الذين استبدلوا الروحانيات التقليدية بديانات الخلاص الأرضي والذين لا يزالون ينتظرون من الدولة يائسين ان تحدد غايات جليلة للجميع – هم قادرون على فهم وهضم الفكرة الأساسية التالية: بما ان بنية الدولة الليبرالية علمانية في جوهرها، بمعنى محايدة، فلكل منا والحال هذه ان يعطي معنى لحياته بطريقة فردية. والفردية لا تعني هنا ان يكون الفرد منعزلا عن الآخرين، "دون الآخرين" وإنما "دون الدولة". إذ يمكن بناء علاقات لا متناهية مع الآخرين، عاطفية وثقافية وعائلية وجمعوية او سياسية، سُمح بها في مجتمع مدني مسالم وضعت فيه العلمانية حدا للحروب الدينية وباتت تحترم فيه حقوق الإنسان ويحترم فيه الغير. وعلى أيّ حال، فالدولة الليبرالية لا تهمل ابدا او تتجاهل الجانب الجماعي، وإنما فقط يعود للأفراد انفسهم نسج علاقات خصبة، وإعطاء معنى لوجودهم وبناء ذواتهم بذواتهم، وهو امر أصعب بكثير من ترك الأمر لأيديولوجية دينية رسمية. يجوز للدولة ان تحدد المبادئ العامة للقانون وضمان السلام الاجتماعي ولكن لا يمكن ان تذهب إلى ابعد من ذلك، فما بعد ذلك لا يخص سوى الإفراد وحدهم.

■ الجديد: لنعد إلى مسألة المقدس في أوروبا إذا سمحت، أنت تعتقد بأنه لم يختف، كيف؟

● **لوك فيري:** من يزعم بأن المقدس قد اختفى من المجتمعات الأوروبية الحديثة يرتكب خطأ مزدوجا: فاولا تبقى الديانات في هذه المجتمعات حاضرة بالمقدار الذي يحيده الأفراد، وثانيا توجد رموز غير دينية فيما يخص العلاقة بالمطلق إذ المطلق ليس هو المقابل للدنيوي فقط بل هو ايضا ما يمكن ان نضحي بحياتنا من أجله، ولا نحتاج أن نكون مؤمنين لنقدس اوطاننا او ببساطة الأشخاص الذين نحب مثلا. وبعيدا عن السقوط في خواء روحي بسبب عدم وجود ما فيه الكفاية من الدين، فعلى العكس تماما، فمجتمعاتنا الأوروبية هي أول المجتمعات المعروفة التي أصبحت حرة وأكثر أخلاقية في نفس الوقت من كل المجتمعات المعروفة حتى الآن في التاريخ كما في الجغرافيا. يريد البعض أن يوهمنا بان أوروبا هي الإستعمار وتجارة الرقيق والإبادات الجماعية فقط!

■ الجديد: ولكن تلك حقائق لا ينبغي نكرانها..

● **لوك فيري:** الحقيقة أن قارتنا هي بالأحرى من الغى العبودية ولم يكن ذلك الإلغاء مفروضا بالقوة وإنما جاء نتيجة الأنوار الأوروبية. ويقال أيضا إن شعوب الجنوب لم يعد يغريها النموذج الغربي الذي هو في سقوط حر؛ والأخذ العكس تماما وخير شاهد على ذلك الآلاف من المهاجرين الذين يقصدون قارتنا اليوم مضحّين بحياتهم أحيانا. وعلاوة على ذلك، لقد مال كل شيء في العالم لصالح القيم الديمقراطية في السنوات الخمسين الماضية، في الشرق كما في أميركا اللاتينية بل حتى في الصين التي تسير بخطى سريعة نحو التغريب. ويبقى العالم الإسلامي الاستثناء الوحيد.

■ الجديد: وبالنسبة إلى أوروبا لا انحطاط ولا شيء من هذا القبيل في رأيك؟

● **لوك فيري:** إذا كان هناك انحدار ما في أوروبا اليوم فهو على المستويين الاقتصادي والاجتماعي فقط ولكن لا يعود ذلك ابدا إلى انهدام المبادئ الأخلاقية وإنما على العكس من ذلك، إذ قيمنا الإنسانية، الأخوة والتضامن والحماية الاجتماعية.. هي التي خلقت دول العناية والرفاه وهذا لعب دورا سلبيا ضدنا في إطار المنافسة المعولمة إلى درجة أصبح وضعنا صعبا امام عدد الوافدين الجدد. ولهذا ينبغي ان نحافظ على نموذجنا الاجتماعي أكثر من أي وقت مضى.

■ الجديد: في كتابك " الإنسان المؤله أو معنى الحياة "، تتابع تطور الأفكار التي انبثقت عن علمنة المجتمع الأوروبي، ونفهم انطلاقا من تحليلك ان القيم الأخلاقية تحل محل الدين اكثر فاكثر، وان دليل الإنسان غدا مع مرور الوقت أخلاقية مؤسسة في جزء كبير منها على مبادئ حقوق الإنسان.. فهل هذه السيرورة قابلة للتعميم على العالم كله؟ وهل يمكن أن تحدثنا عن خصوصية الحضارة الأوروبية وتاليها للكائن البشري؟

ذئب يحرس خرافي

أسماء عزايزة
شاعرة من فلسطين

> اطرح على نفسك بكل أمانة السؤال التالي: من أجل من أو ماذا أنت مستعد للتضحية بحياتك؟ بكلمات أخرى، ما هو الشيء الذي تعتبره كمقدس، كجدير بالتضحية؟

فرص للنجاة

كانَ الإنْفِجارُ الأعْظَمُ، ولَمْ نَفِتْ
تلكَ كانَتْ فُرْصَتُنا الأولى للنَّجاة
النَّجاةُ حَبْلٌ مَديدٌ وَسَميكٌ بَيْنَ ضفَّتَيْنِ،
نَزْفِيعٌ أجْسَادُنا فيهِ ولا نَصِلُ إلى الضفَّة الأخْرى.

جُموعٌ تَسُوقُنا نَحْوَ المُنْحَدَرات التي سَالَ حَليبُ أمَّهاتِنا مِنْها ولَمْ نَعُدْ نَذْكُرُ مَذاقَهُ، نَحْوَ الصُّخور التي دَقَّتْ لُعْبَتَنا بالمَطارق وعَلَّقَتْها نَجْمَةً عَلى كَتِفِ الكَولُونيل، نَحْوَ مُعَسْكَرات نَتَدَرَّبُ فيها عَلَى إنْجابِ أطْفالٍ مُنْزَوِعينَ مِنْ غَريزَةِ البَقاء. لَمْ نَكُنْ فُضُولِيِّينَ لِنَتَعَلَّمَ تَسَلُّقَ الجِبال. والجُموعُ تَقْطَعُها كَمَسْيَمة.

سَقَطَتْ أحْلامُ اندَم وانْطَفَأتْ كَنَيْزَك في الحُقول
هائِيٌ هِيَ تَصيرُ بَدَارًا لأحْلامِنا، وفُرَصًا مُحْتَشِدَةً للنَّجاة
حُلْمٌ بمَقْعَدِ امِنٍ صَنَعَهُ نَجّارٌ أرْمَنِيٌّ في سَهْلِ الغاب
بِمِنْديلٍ غَزَلَتْهُ الجَدّاتُ وعَلَّقْنَهُ عَلَى شَجَرَةِ الحَظّ
بِقاربِ نَسيةٍ جُنُودٌ سَلُوقِيُّونَ بَعْدَ المَعْرَكَة
وَيُصَلِّحُ الآنَ لِصُورَةٍ جَميلَةٍ لِعَاشِقَيْنِ
عَشّابو اللّيل، بِمَعاوِلِهِمْ يُقَلِّعُونَ البُذُور
وَيَنْهَمُونَ صِغارَ الضِّباع
قَبْلَ أنْ تَطْرُقَ الحَرْبُ أبْوَابَ مَطابِخِنا
كانَتْ فُرْصَتُنا الأخيرَةُ للنَّجاة

كُنّا سَنَنْجُو مِنْ الرَّصاصِ لَوْ أنَّنا لَمْ نَكُنْ أهْدافًا ثابِتَةً في الحُقول
لَوْ أنَّنا لَمْ نَكُنْ نَحْنُ
كُنّا سَنَنْجُو مِنْ الجُوعِ لَوْ أنَّنا لَمْ نَكُنْ أفْواهًا فارِغَةً
لَوْ أنَّنا لَمْ نَكُنْ أجْسادًا
لَوْ أنَّنا لَمْ نَكُنْ

كُنّا سَنَنْجُو مِنْ الحَرْبِ لَوْ أنَّنا لَمْ نَكُنْ في الحَرْب
لَوْ أنَّنا لَمْ نَكُنْ

كُنّا سَنَنْجُو مِنْ المَوْتِ لَوْ أنَّنا لَمْ نَكُنْ أحْياءً
لَوْ أنَّنا لَمْ نَكُنْ

قمر فوق حيفا

كلما اكتمل قمر فوق حيفا
عوت إلى أغانيك
المدينة مستوحشة، تجرّني بعربة
الوقت دون رحمة، وتكشر عن أنيابها
في وجهي كلما مددت قدماي على أريكتي.
وأنا، بطاعة قصوى، المّع كل صباح عجلات
العربة. تجرّني وترمي برغباتي التي أجلتها
إلى جنباتها، تلك التي قلت لها: "لا عليك،
سيصعد بنا ذئب إلى أعلى الجبل، هناك
سنمدّد اقدامنا فوق القمر كيفما نشاء".
الأصدقاء يجلسون برفقة كوابيسهم
ويدعونني لاحتساء القهوة معها، تعويضا
عن قتلي فيها. اليوم سأهدهم بالذئب الذي
سيأخذ بثاري متربّصا عند أوّل الحلم، حين
سأتقرب عليهم وأنا أرضع حليب امي لأول
مرة، حليب الأم يردم الجرح ويفسد حمرة
الدم.
نسورٌ ضخمة تبيض على شباكي،
صغارها التي لم تتعلّم الطيران بعد تتغذى
على ذاكرتي. لم أعد أذكر شكل
الفرح الذي رَبيته فوق كتفي، وكان
يتتبع من ورائي ألفاظ الحبّ التي ردّدتها بلا
نهاية. لم أعد أذكر أغاني فيروز بعد أن سكنت
الصغار حنجرتها ونمى ريشها فيها. لم أعد
أذكر اسمي، توقّف الجميع عن مناداته، بعد
أن تحوّلت حروفه إلى خراف ترعى جبالا
بعيدة. حدّقت طويلاً في زجاج الشبّاك لألمح
طيف ذئب يحرس خرافي ويعيد اسمي إلى
الغرفة.
سقط في رحمي، ذاك القمر الذي اكتمل
فوق حيفا
لم تعد تعوي أغانيك بعد أن فقدتْ أظفارها
وخطفتها العربات
بعد أن شرّح اصدقائي نواتها في
أحلامهم وأطعموها لصغار النسور
والذئب الذي سالده الليلة
سيحرس الخراف من عوعرة الجبل

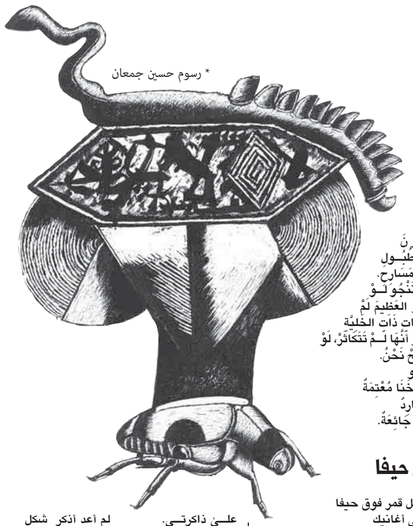

* رسوم حسين جمعان

تدرارت

عاشور الطوبيبي
شاعر ومترجم ليبي

1

أنْصِتُ بعناية
لليلٍ دامسٍ موحشٍ
كلّ أقفلَ عليه بابه
حمحماتُ الخيلِ خافتةٌ ومحيّرةٌ
كماءٍ يتساقط على عود قشّ
ليتَني قلتُ شيئا
وما كان فمي فارغاً
فمي فارغ.

2

لم تخدعني الريحُ أبداً
ولا أصابعي
كان عليَّ أن أموت واقفاً
صعبٌ هذ الحنين.

3

صفيرٌ رملي
حفيفُ ثوبي
طيّةٌ فوق طيّة
هواءٌ فوق هواء.

4

ها قد وصلوا
وراءهم تلمع سنانُ الحراب
بقوةٍ يدقّون على سرج الأرض.

5

عند باب الكهف
حصىً منتشرٌ، مليءٌ بالكلمات
بحثتُ كثيراً عن سرّة الفجر
لم أجد غير أمة تصعدُ
وماء يغمر كلّ شيء.

6

بلا توقف
الشمس والظلّ
يعودان.

7

هنا طريقٌ
وهنا طريقٌ
أجلسُ على صخرة وحيداً.

8

تدارت تتسرّبُ
نسمة جنوبية
شبقٌ غيمة
مَن قال إنّ الصخور لا تحدّثُ بأحلامها؟
مَن اكتشف خديعة الرمل
أو
لماذا السماءُ الكبيرةُ تبعثرُ كواببسها؟
بيت في الريح
ما بعد ظهيرةٍ هشّة
بحرٌ شاسعٌ
أشجارٌ فارغةٌ
فراشةٌ وقبرٌ
أنا هنا
الغروبُ هنا
حكايات بلغات غريبة هنا
الستةُ مكسورةٌ هنا
ليتني عرفتُ أنّي اتّكأتُ على وسادة غياب
ليتني عرفتُ أنّ الجحيد أخافُ البرقة
الصغيرة
ليتني عرفتُ أن
ا لكلما ت
ها ثمةُ
والقهوة خفيفةٌ
ليتني عرفتُ أن العيون محجّبةٌ والجرس
ملعونٌ
القوارب الفقيرة رفعت وجوه اللاجئين
أشرعة لها
وحدهم الخائفون قادرون على بناء بيتٍ في
الريح
لكنّ الريح خدعتْ الوقتَ
كي ينصت لقصيدة الفراغ العظيم
كي يكتس جهل الكون.
الحدود
خطوتان فقط، من الساحة العامّة
لثلاثين عاماً، لم استطع عبور هاتين
الخطوتين
أو أشارك المنبوذين رقصة الوداع
لثلاثين عاماً، لم أفهم شهقة الله!
أملا كفّي بثلج ليلة تحتضر
رجال الشرطة هتكوا السرّ
أشاروا ببنادقهم إلى وجوه تتلاشى ببطء
ليس لأن اللغة عبرت عتبة القطار الكئيب
ليس لأن الأحلام غنّتْ أغنية القنديل القديمة
لا، لا، ليس ذلك!
عند الظهيرة تماماً
الظلال نزلت المنحدر ورحلت
الرجال رحلوا
النساء والأطفال رحلوا
عند الظهيرة تماماً
جاء موتٌ
وجاء موتٌ آخرُ
وموتٌ آخرُ

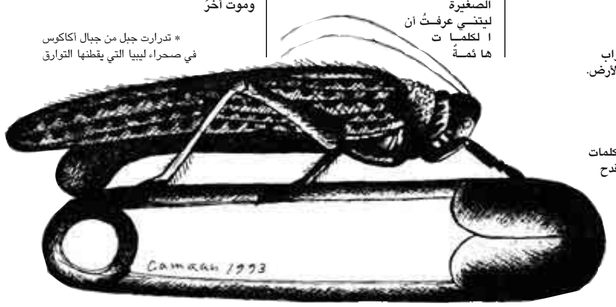

* تدارت جبل من جبال اكاكوس في صحراء ليبيا التي يقطنها التوارق

* حاوره في باريس: حميد زناز

الإقامة في المعجم وعشق اللغة من النظرة الأولى

الروائية الأميركية جومبا لاهيري تكتب «بعبارة أخرى»

أفكر بأمي البنغالية التي لا تستطيع أن تجد هنا حيث تقيم كتابا بلغتها الأم

تحسين الخطيب
كاتب من الأردن

❑ ما الذي يدفع الكاتب إلى مجازفة الكتابة بلغة أخرى جديدة غير تلك التي صنعت مجده الأدبيّ؟ وكيف يقرر، في حين من الدهر، أن يذهب إلى نقطة الصفر، فيخلع عنه أردية حياة حاضرة، ويدخل بشغف المريد وصفاء ذهنه وانضباط جوارحه في حياة لسان آخر؟ وهل صحيح أنّ الإنسان يظل منفيًا في اللغة؛ أيّ لغة، حتى في داخل لغته هو؟ تخطر في بال المرء أسئلة من هذا النوع، وأخرى كثيرة لا تبتعد عنها، وهو يقرأ الترجمة الإنكليزية التي صدرت في مطلع شهر فبراير من هذا العام لأحدث كتب الروائية الأميركية (لندنيّة المولد، هنديّة الأصل) جومبا لاهيري "بعبارة أخرى"؛ وهو دفتر انطباعات وتأملات، كتبته أصلًا باللغة الإيطالية وصدر بها في السنة الفائتة تحت عنوان "In Altre Parole"، وفاز بالجائزة الثقافية الإيطالية المرموقة "Premio Internazionale Viareggio–Versilia".

وكانت لاهيري، وبعد الانتهاء في العام 2012 من روايتها الثانية "الأرض الواطئة"، (والتي ترشحت لجائزة المان بوكر وجائزة الكتاب القومي الأميركية في العام 2013 على حد سواء، ونالت جائزة الأدب الجنوب آسيوي في العام 2014)، قد سافرت مع عائلتها للعيش في روما، وطيلة أكثر من سنتين لم تتكلم سوى الإيطالية التي فتنتها منذ الزيارة الأولى التي قامت بها إلى أرض "الثور الذي ينطح الذئب" في العام 1994. مذّاك، وعلى امتداد نحو عشرين سنة، راحت تدرس الإيطالية، وتقرأ أدبها بشغف لا ينقطع.

وفي محاولة منها للإجابة على ما قد يدور في خلد القارئ وهو يطالع ما أسفرت عنه مغامرتها الجديدة، تختار لاهيري مقولة للروائي الإيطالي أنطونيو تابوكي (1943 – 2012) عتبة في مفتتح الكتاب، تختصر عليها مشقة بوح قد يطول أو يقصر "أحتاج إلى لغة مختلفة: لغة كانت مطرحًا للوجدان والتأمل". ولعلّ هذا الاستشهاد بتابوكي فيه قدر من المماثلة والتشابه بين التجربتين: فهو كان قد انكبّ على تعلم البرتغالية مذ أن فتنته لغة فيرناندو بيسوا حين قرأه لأول مرة في أثناء تواجده في السوربون إبان ستينات القرن العشرين، فتعلّمها حتى برع فيها وأصبح أستاذًا لها في جامعة سيينا الإيطالية. وليس هذا فحسب، فمن شدّة عشقه لهذه "اللغة المختلفة" وهيامه بها، أقدم تابوكي في العام 1991 –وبعد أن كان قد ترجم معظم أعمال بيسوا– على نشر رواية "قدّاس: هذيان"، والتي كان قد كتبها باللسان البرتغاليّ مباشرة ودون تكلّف أو عناء. بيد أن أوجه الشبه والمماثلة لم تقف عند هاتين المسألتين فحسب، بل تعدّتها إلى إحجام كلا الكاتبين عن ترجمة ما كتباه في "مطرح الوجدان والتأمل" بنفسيهما، تاركين ذلك إلى من هو أعرف منهما بأسرار اللسان الخفيّة وتجلّياته النورانية، ترجم سيرجيو فيكيو رواية تابوكي، فحصد بها جائزة "رابطة القلم" الإيطالية في العام 1992؛ فيما تركت لاهيري عناء نقل "مذكراتها غير التقليدية" إلى آن غولدستين التي ذاع صيتها في أعقاب ترجمتها لروايات إيلينا فيرانتي وبريمو ليفي.

لغتي الأقوى

وفي "ملحوظة المؤلف"، وهي القطعة النثرية الوحيدة التي كتبتها بالإنكليزية منذ رحيلها إلى روما، رفقة بعض المراسلات الضرورية الأخرى، تشرح لاهيري أنّ سبب عزوفها عن ترجمة الكتاب بنفسها كان محاولة منها "حماية لغتها الإيطالية" وأنّ "العودة إلى الإنكليزية كانت محيّرة ومحبطة وغير مشجعة". ثم تمضي قائلة "كانت الكتابة بالإيطالية خيارا اتخذته على عاتقي، ومجازفة أشعر بأنه قد أُوحيَ إليّ أن أقتحمها. إنها تتطلب انضباطيّة صارمة أشعر بأنني مضطرة، في هذه اللحظة، للحفاظ عليها. ستؤدي ترجمة الكتاب بنفسي إلى كسر ذلك الانضباط؛ سيعني إعادة الاشتباك، بحميميّة، مع إنكليزيّتي، وأن أغالبها بدلًا من الإيطاليّة. ناهيك عن أنني لو ترجمت هذا الكتاب، فإنّ الإغواء سيكون أن أجوّده، وأن أجعله أكثر قوّة عبر لغتي الأقوى. ولكنّني رغبت في أن تؤول الترجمة لغتي الإيطالية بأمانة، دون أن تصقل أطرافها الخشنة، وتبطل غرابتها، وتعبث بشخصيّتها. لقد شعرتُ على نحو غريزيّ حين علمت بأن الكتاب سوف ينشر بالإنكليزية، بأنّ مترجمة أخرى، واحدة أكثر خبرة وذات موضوعية فائقة، سوف تكون مؤهلة على نحو أفضل لإنجاز هذه المهمة".

جومبا لاهيري صوت روائي متحقق بقوّة في مدونة الأدب المكتوب بالإنكليزية. فمجموعتها القصصية الأولى "ترجمان الأوجاع (1999)، باعت أكثر من 600 ألف نسخة، وفازت بجائزة هيمنغواي لأفضل عمل قصصي أوّل في ذات العام، وبجائزة البوليتسر المرموقة في القَص للعام 2000. صدرت الترجمة العربية لهذه المجموعة بتوقيع المصرية مروة هاشم في العام 2009. أمّا روايتها الأولى، "السَّميّ" (2003)، فقد تم تحويلها إلى فيلم سينَمائي بذات العنوان أخرجته الهنديّة المرموقة ميرا ناير في العام 2007. صدرت الطبعة العربية لهذه الرواية بترجمة الأردنية سُرى خريس في العام 2014. كما احتلت مجموعتها القصصية الثانية "أرض عجيبة (2008)، المرتبة الأولى في قائمة النيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعًا في ذلك العام، وفازت بجائزة فرانك أوكونر العالمية للقصة القصيرة للعام 2008، وبجائزة الأدب الآسيوي الأميركي للعام 2009. وفي العام 2014، تم تتويجها بالوسام الوطني في الإنسانيّات، والذي يمنح من قبل رئيس الولايات المتحدة بالتشاور مع وكالة المنحة الوطنية في حقل الإنسانيات، وهي وكالة فدرالية مستقلة تابعة للحكومة الأميركية.

وتاليًا ترجمة لمقاطع منتخبة من الكتاب:

أريد أن أعبر بحيرة صغيرة. إنها صغيرة حقًا، ولكنّ الضفة الأخرى تبدو بعيدة جدًا، أبعد من طاقتي. أدرك بأنّ البحيرة عميقة في المنتصف، وعلى الرغم من أنني أعرف السباحة، إلّا أنني خائفة من أكون وحيدة في الماء دون أيّ عون.

رفيقي القاموس

أوّل معجم إيطالي اشتريه قاموس جيب، يحتوي على التعاريف بالإنكليزية. إنه العام 1994، وإنني على وشك الذهاب إلى فلورنسة لأول مرّة، رفقة أختي. أذهبُ إلى مكتبة في بوسطن تحمل اسمًا إيطاليا: ريزولي. مكتبة عصرية وراقية، والتي لم تعد موجودة هناك.. للقاموس الذي أختاره غلاف بلاستيكيّ أخضر، غير قابل للتلف، وكتيم. إنه خفيف، وأصغر من يدي. له أبعاد قد تزيد عن فلقة صابون أو تنقص قليلًا.. أمّا اليوم فإنني أمتلك معاجم أخرى كبيرة، قواميس أكثر أهميّة على مكتبي. إثنان منها أحاديّا اللغة، بلا أيّ كلمة إنكليزيّة. يبدو غلاف القاموس الصغير الآن وقد بهت قليلًا، واتّسخ على نحو ما. الصفحات مصفرّة. وبعضها سائب من مكانه. إنه يقبع في الغالب على المنضدة التي بجانب السرير، حتى أستطيع البحث بسهولة عن معنى كلمة مجهولة وأنا أقرأ. يسمح لي هذا الكتاب بقراءة كتب أخرى، أن أفتح الباب إلى لغة جديدة. إنه يرافقني، حتى الآن، حين آخذ عطلة، وفي الرحلات. لقد أصبح ضرورة. ولو نسيت، حين أغادر، أن أصحبه معي، فإنني أشعر بالضيق قليلًا، كما لو أنني قد نسيت فرشاة الأسنان أو جوارب إضافية. يبدو هذا القاموس، حتى الآن، كأخ أكثر من كونه أبًا. وعلى الرغم من ذلك فإنه ما زال مفيدًا با لنسبة إليّ، ما زال يرشدني.

ما زال طافحًا بالأسرار. سيبقى هذا الكتاب على الدوام أكبر منّي.

أسمع حماسة الأطفال وهم يتمنّون لبعضهم البعض "عيد ميلاد سعيدًا" في الشوارع. أسمع الرقّة التي تسألني بها ذات صباح المرأة التي تنظف الفندق: هل نمت جيدًا؟ وحين يرغب رجل يمشي خلفي على الرصيف أن يعبر، فإنني أسمع التّأفف الطفيف الذي يسأل به: هل تسمحين؟ لا أستطيع الإجابة. فلست قادرة على المحاورة. أُنصت. إنّ الذي أسمعه، في الحوانيت وفي المطاعم، يستدعي استجابة فوريّة، منفعلة ومتناقضة. كما لو أنّ الإيطالية كانت للتوّ في داخلي، وبرّانيّة في الوقت ذاته تمامًا. إنها لا تبدو لغة أجنبية، على الرغم من أنني أعرف بأنها كذلك. تبدو مألوفة على نحو غريب. أعرف شيئًا ما، بالرغم من حقيقة أنني لا أفهم شيئًا. ما الذي أعرفه؟ إنها جميلة، بالتأكيد، ولكنّ الجمال لا دخل له. إنها تبدو كلغة يتوجب عليّ أن أقيم علاقة معها. إنها كشخص قابلته صدفة ذات يوم، فشعرت على الفور بأصرة تربطني به، أشعر بأنني أحبّه. كما لو أنني قد عرفت ذلك لسنين، حتى لو ما زال كل شيء بحاجة إلى أن يكتشف. سأكون غير راضية، وغير كاملة، إن لم أتعلّمها. أدرك بأن ثمّة فضاء في داخلي يرحّب بذلك. أشعر بأصرة وانفصال في اللحظة ذاتها. بقرب وتباعد في الآن ذاته. إنّ ما أشعر به شيء محسوس، يتعذّر تفسيره. إنه يؤجج صبابة طائشة، عبثيّة. توتّر فتّان. حبّ من النظرة الأولى.

أفكر في دانتي

حدثت علاقتي مع الإيطالية في المنفى، في مقام من المباعدة والافتراق. تنتمي كل لغة إلى مكان محدّد. تستطيع الهجرة، تستطيع أن تنتشر. ولكنها مرتبطة في العادة بمنطقة جغرافية، ببلد. تنتمي الإيطالية بالدرجة الأولى إلى الإيطاليين، وإنني أعيش في قارة مختلفة، حيث لا يصادفها المرء بسهولة. أفكّر في دانتي الذي أنتظر تسع سنين قبل أن يكلّم بياتريس. أفكر في أوفيد منفيًا من روما إلى مكان قصيّ. إلى نقطة لغويّة محاطة بأصوات غريبة. أفكر في أمّي التي تكتب قصائد بالبنغالية، في أميركا. وبعد أكثر من نحو خمسين سنة على الانتقال للعيش هناك، فإنها لا تستطيع العثور على كتاب مكتوب بلغتها هي.

> أفكر في دانتي الذي أنتظر تسع سنين قبل أن يكلم بياتريس. أفكر في أوفيد منفيا من روما إلى مكان قصي. إلى نقطة لغوية محاطة بأصوات غريبة. أفكر في أمي التي تكتب قصائد بالبنغالية، في أميركا

أنا ابن عشتار السورية وأطرب لصوت أورنينا

أسعد فرزات: هناك دائما ناجي العلي يولد كل يوم

مجموعة من الأعمال الجديدة للفنان: مغامرة لونية وتعبيرية تتجدد لتكون مستقبلية

روز جبران
كاتبة من سوريا

❏ لطالما كان الفن من وسائل التعبير عن خصوصية الثقافات المتعددة، وهو المرآة التي تعكس عادات الشعوب وتقاليدها، والفن التشكيلي خصوصا هو الناقل لجملة من الأفكار والتصورات والرؤى لهذا العالم وهذا الوجود، والفنان التشكيلي يظل حاملا لرسالة هادفة.

"العرب" التقت الفنان التشكيلي السوري أسعد فرزات للحديث إليه حول مسيرته الفنية، والمشهد الفني في سوريا اليوم، في خضم ما تشهده من أحداث، وعن عدة مواضيع أخرى فكان الحوار التالي.

ولد الفنان السوري أسعد فرزات في مدينة حماة العام 1959، وتخرج من كلية الفنون الجميلة بدمشق العام 1987، وأقام العديد من المعارض الفردية داخل سوريا وعدد من البلدان العربية والأجنبية، كما شارك في العديد من الملتقيات الفنية العربية والدولية، وهو من الفنانين الذين تم اقتناء البعض من أعمالهم من قبل المتحف الوطني، وضمن مجموعات خاصة في كلّ من لبنان والكويت وتونس وفرنسا وألمانيا وسويسرا وأميركا.

نشأ الفنان السوري أسعد فرزات في عائلة فنية تمتهن الرسم والكتابة، وهو الأمر الذي أثّر في توجهاته منذ الصغر، إلا أن ولعه بالفن اشتدّ عندما اكتشف موهبته منذ الصغر والتي صقلها بالممارسة الفعلية. والحقيقة أن هناك العديد من العائلات التي ارتبط اسمها بالفن فذاع صيتها واشتهرت.

فرزات الذي دخل مجال الفن التشكيلي حبّا فيه، طوّر موهبته لوجود عوامل عديدة، لعل أبرزها ثقته بنفسه وتوفّر الظروف الملائمة المحيطة به لنحت مسيرة إبداعية متميزة وتجربة فنية لافتة.

يتميز الفن السوري في نظر الفنان بالعديد من الخصوصيات التي اشتهر بها على مرّ العصور، فهو ضارب في التاريخ، وشكّل في العديد من محطات البشرية العلامة البارزة، وفي هذا السياق يشير فرزات إلى أن ما يميّز الفن السوري هو ارتباطه بالزمان والمكان، وذلك لتعاقب الحضارات منذ آلاف السنين، كما يعتبر الفنان السوري متجددا دائما ومنفتحا على جميع الحضارات والفنون.

كما يعيب فرزات على المؤسسات المشرفة على هذا الميدان والتي تتعامل مع الفنان بطريقة قاسية ودكتاتورية في بعض الأحيان، كما أنها تقبل الأعمال الرديئة وتعمل على إقصاء الأسماء الجادّة التي تحمل رؤى وتصورات متجددة، يقول فرزات، في هذا السياق "ما يهم أصحاب صالات العرض هو الربح، بالإضافة إلى اعتمادهم على مقتنين لا ينتمون إلى المجال الفني وتنقصهم التجربة والدراية بهذا الميدان".

وما زاد الوضع سوءا وخطورة هو انتشار ظاهرة المحسوبية، التي شملت بقية الفنون كالدراما مثلا، الأمر الذي حدا بالفنانين الجادّين وأصحاب التجارب الهامة للابتعاد عن هذه المناطق، والذين آثروا الدخول احترقوا نتيجة تحول العملية إلى غسيل أموال فراحوا ضحية لهذه العمليات والتصرفات الرخيصة. كل هذه العوامل والظواهر التي انتشرت أصابت المشهد الفني في سوريا بالشللية وحوّلت صورة هذا القطاع إلى صورة باهتة لا ملامح فيها فلا ابتكار ولا تجديد في ظل ممارسات المسؤولين.

الفن والعصر

مع دخول الإنترنت والتطور التكنولوجي الذي نعيشه اليوم صار من السهل نشر اللوحات الفنية على مواقع التواصل الاجتماعي، وهي ظاهرة بدأت في الانتشار، وهو ما أكده فرزات الذي يقول "العالم، اليوم، صار صغيرا بسبب الإنترنت، والعديد من التشكيليين السوريين كشفوا عن أعمال مهمّة تصل إلى حدّ الدهشة، هؤلاء هم من كانوا خارج الضوء والاهتمامات من قبل المشرفين على قطاع الفن في سوريا".

لكل فنان تشكيلي خصوصيّاته وتجاربه ومدرسته الفنية التي تساهم في تكوين وعيه وشخصيّته، وأسعد فرزات يرى أن على الرسّام أن لا يكتفي بالاطلاع على الأعمال بنظرة سطحية بل عليه تفكيكها والولوج إلى أعماق كل لوحة، يقول "الفن عبارة عن لعبة بيد طفل لا بد من تفكيكها وتحطيمها لاكتشاف ماهيتها لكي يأخذ المشهد بعدا آخر، والمسألة لا تعتمد على أفكار مسبقة، بل تتعلق بتفكيك الرموز وإعادة الصياغة".

يرى الكثيرون أن الفن قادر على تحرير الإنسان من قيوده، ومن مأزقه الوجودية، وهو في الآن نفسه مأزق، وصراع جمالي يخوضه الفنان، في عالم تسيطر عليه فكرة القبح بمختلف أشكاله، هذا الرأي، حسب أسعد فرزات يتعلق بماهية الفكرة، يقول "الفن لم يكن يوما بمأزق فكري نتيجة القبح، فهناك أشكال من القبح تحمل موضوعا جماليا. فالمسألة تتعلق بالصّراع الفكري الذاتي والوجودي وماهية البحث للتخلص من شوائب عالقة عبارة عن طفيليات، هذه هي التي ترسم مشهدا مأزقيا يصعب التخلص منه".

اللون والعين والفكرة، كلّها تتحد لتكوّن اللوحة، إلا أن الحكم عليها يبقى مرتبطا بالذائقة، وبإحساس المتلقّي، من هنا تبرز الشخصية الفنية التي تظلّ باحثة خصوصا إذا كان الفن حرفة، نسأل ضيفنا متى يمكننا القول عن عمل ما بأنّه عمل فني، وكيف يمكن الفصل بين الفنّ كحرفة، يمكن أن ينالها المرء بالفطرة، وبين الشخصية الفنية التي تتخبط في وجع اللون، والفكرة، وجع العين والقلب والحاسة؟

كل شيء واضح

يجيب فرزات "العين والقلب والإحساس عوامل مشتركة بالإضافة إلى ثقافة المتلقي، وهي التي تفصل ما بين الحرفة كمفهوم حرفي لقطعة جمالية تناسب الاستخدام، وما بين العمل البصري الذي يحمل بمضمونه رؤية ثقافية وتقنية بحرفية عالية. وهذا المفهوم الفنّي ينطبق على جميع الفنون من العمارة إلى الفن السابع .

طالما هناك حلم واسع وأفق مفتوح على جميع الاتجاهات، يبقى المشهد البصري بلا حدود في اكتشافاته ورغباته الدفينة لدى الفنّان. وبين معاناة الواقع، بعلاقاته المعقدة، وضحالته، مقارنة بالحلم المفتوح على اللانهايات، يرسم أسعد فرزات عوالمه.

نسأل الفنان كيف ينظر ويقوم ما يحدث الآن في سوريا، وهو الذي مازال حتى الآن يعيش في دمشق ويشاهد عن كثب، والحدث بكل تفاصيله؟

يقول ضيفنا "المشهد في سوريا كان واضحا وصريحا لو عدنا لعام 2011، شعب أعزل انتفض لاستعادة حريته وكرامته التي سلبت منه لمدة خمسين عاما، بشعارات راقية جدا أهمها 'سلمية سلمية'.. 'واحد واحد الشعب السوري واحد'.

لكن على ما يبدو فإن تلك الحناجر النظيفة هي أكثر ما يخيف الأنظمة الدكتاتورية، لذا جابهتها باستخدام كلّ أنواع القمع لاقتلاعها، واتهمتها بالإرهاب، وممّا زاد الطين بلة تسهيل الطريق للمتطرّفين لتشويه تلك الحناجر. كنت أتمنى أن نبقى بصدور عارية ونهتف بالحرية لكن للأسف مع تلك الرصاصات التي اخترقت الصدور، لم يكن هناك خيار آخر سوى السلاح للدفاع عن الأطفال الذين طالت صدورهم الرصاصات. نحن نقتل وندمر ونغرق ونختنق بالغازات السامّة أمام مرأى العالم أجمع. هذا شذوذ حقيقي إنهم يستمتعون بموتنا".

عن رأيه بفكرة الربيع العربي ونظرته إلى مردوديّتها على أرض الواقع، يعتبر فرزات أن الربيع ليس كذبة أو وهما، كما أنه ليس له علاقة بإسرائيل كما تسوّقه لنا الأنظمة الدكتاتورية، يقول "البوعزيزي البائع التونسي الجوّال الذي أحرق نفسه من أجل الكرامة، والطفل حمزة الخطيب، كلاهما لا يعرفان ماذا تعني كلمة موساد. ربما الربيع يأتي متأخرا أحيانا، وإذا أتى بعنفوانه الجميل قد يطول مهما حاولوا إطفاء عنفوانه، فالأرض تزهر دائما".

معادلة صعبة

وفي رد عن سؤالنا كيف يكون الفنّان حرّا، في عالم ضد الفن وضد الإنسان وضد الحرية؟ يجيب الفنان "إنها معادلة صعبة حقا، وخاصة في ظل الأنظمة الدكتاتورية، فإذا أردنا الحرية فالثمن غال جدا. وكما حصل مع علي فرزات بتحطيم أصابعه، فهناك البعض مازال يقبع إلى الآن في غياهب الأقبية، والبعض الآخر دفع حياته ثمنا كما حصل مع ناجي العلي سابقا، ومؤخرا مع الصحفي والفنان ناجي الجرف. هكذا هو حال الدكتاتوريات، لكن ما لم تدركه هذه الأنظمة الدكتاتورية هو أن هناك دائما ناجي العلي ومبدعون آخرون يولدون كل يوم".

بعد الأحداث التي شهدتها سوريا، ومنذ اندلاع ثورة مارس 2011، عاش الفنانون ظروفا صعبة أثّرت على نفسيتهم في ظل الاقتتال والحروب الدائرة، وأسعد فرزات أثر البقاء ولم يغادر وطنه رغم ما يشعر به من ألم، وهو يؤكد أنه كأيّ مواطن سوري يبحث عن ملاذ آمن يتشبث دائما بالحلم، يقول "أخاف أن تهرب منّي الحرية، أخاف أن أفتقدها، وهذا الشعور انعكس على تجاربي الفنية قبل 2011.

يحضر في لوحات فرزات الجسد الأنثوي بكثافة، وهو ما يفسّر الحضور الطاغي للمرأة في ذهن الفنان، عن هذا الاختيار والتوجه يقول "أنا ابن عشتار السورية وأطرب لصوت أرونينا العذب على شاطئ الفرات، كيف لا تحضر الأنثى وأنا ابن تلك المرأة السورية التي تشاركني حلمي. أنا لن أنسى مشهد تلك المرأة التي كانت تحمل يافطة في إحدى الساحات بداية الثورة تقول فيها نحن أبناء فارس الخوري وسلطان باشا الأطرش وإبراهيم هنان وصالح العلي، حقيقة المرأة السورية تمثلني، وستبقى تتصدر المشهد عندي".

وعن جديد أسعد فرزات، يقول "خلال هذا العام سأقيم معرضا في عمان، لكن أعمالي ما تزال معلقة لدى الجمارك الأردنية. أتمنى أن يفرج عنها قريبا، حتى لوحاتنا أصبحت محاصرة".

> في لوحات فرزات يحضر الجسد الأنثوي بكثافة، وهو ما يفسر الحضور الطاغي للمرأة في ذهن الفنان، عن هذا الاختيار والتوجه يقول أنا ابن عشتار السورية وأطرب لصوت أرونينا العذب على شاطئ الفرات

شيء عن الفنان

❏ ولد الفنان السوري أسعد فرزات في مدينة حماة العام 1959، وتخرج من كلية الفنون الجميلة بدمشق العام 1987، وأقام العديد من المعارض الفردية داخل سوريا وعدد من البلدان العربية والأجنبية، كما شارك في العديد من الملتقيات الفنية العربية والدولية، وهو من الفنانين الذين تم اقتناء البعض من أعمالهم من قبل المتحف الوطني، وضمن مجموعات خاصة في كلّ من لبنان والكويت وتونس وفرنسا وألمانيا وسويسرا وأميركا.

نشأ الفنان السوري أسعد فرزات في عائلة فنية تمتهن الرسم والكتابة، وهو الأمر الذي أثّر في توجهاته منذ الصغر، إلا أن ولعه بالفن اشتدّ عندما اكتشف موهبته منذ الصغر والتي صقلها بالممارسة الفعلية. والحقيقة أن هناك العديد من العائلات التي ارتبط اسمها بالفن فذاع صيتها واشتهرت.

فرزات الذي دخل مجال الفن التشكيلي حبّا فيه، طوّر موهبته لوجود عوامل عديدة، لعل أبرزها ثقته بنفسه وتوفّر الظروف الملائمة المحيطة به لنحت مسيرة إبداعية متميزة وتجربة فنية لافتة.

إنغمار برغمان الباحث عن لغز الوجود

ابتسم في «ليلة صيف» ولعب الشطرنج مع الموت

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

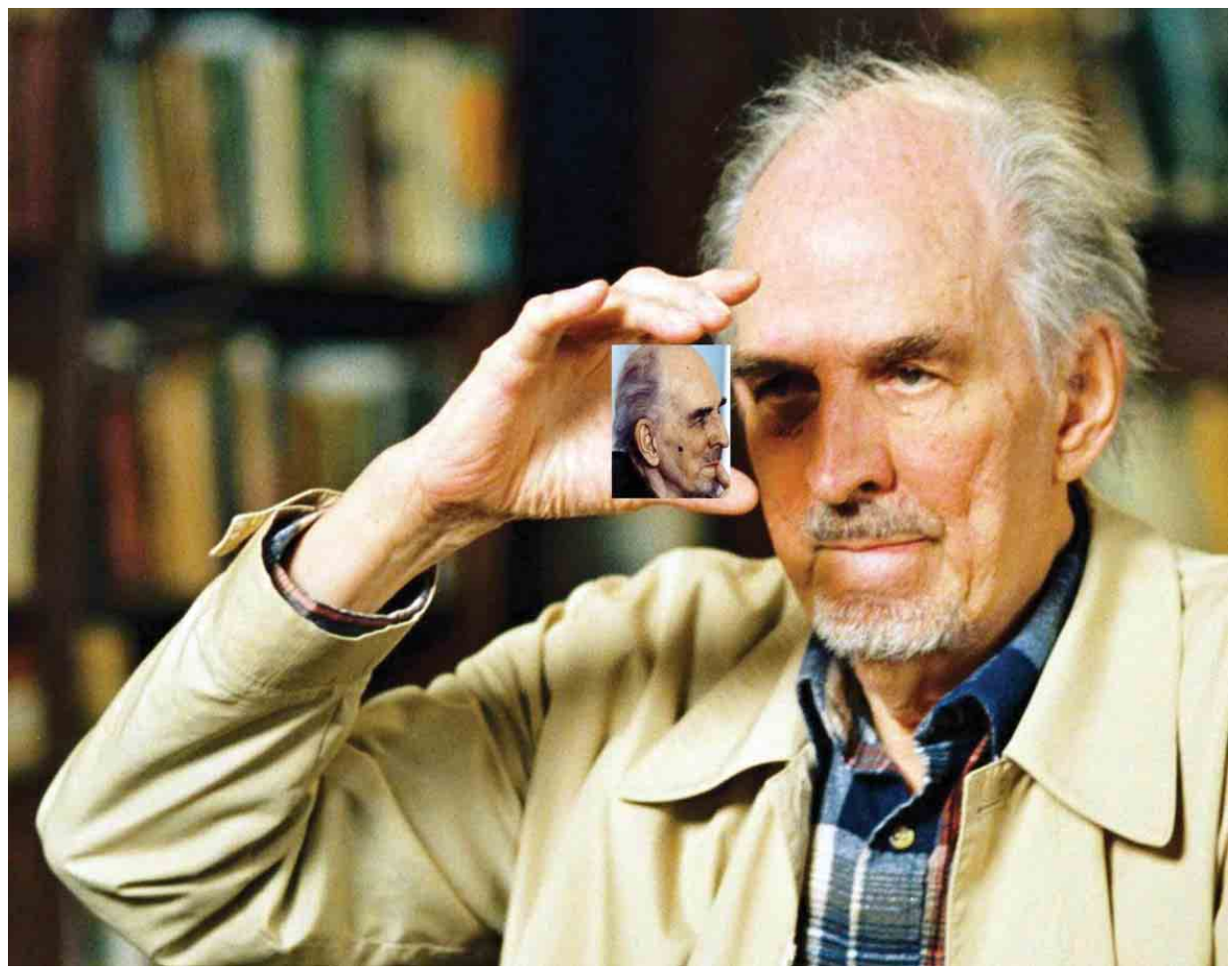

برغمان.. فنان سينمائي باحث عن جوهر الإيمان

❑ ينتمي إنغمار برغمان إلى الجيل الثالث من السينمائيين العظماء في السينما العالمية، هذا الجيل الذي يضم جون فورد وأورسون ويلز وأنطونيوني وفيلليني وفيسكونتي ولويس بونويل وكيروساوا، بعد الجيل الأول، جيل الروّاد الأوائل أمثال شارلي شابلن وغريفيث وبودوفكين وأيزنشتاين وإريك فون ستروهايم، ثم الجيل الثاني، جيل العصر الذهبي أمثال رينيه كلير وجان رينوار وفريتز لانغ وهوارد هوكس.

ويمكن اعتبار برغمان أوّل سينمائي ينقل السينما من مجال الانشغال بتنسيق وترتيب الصور مع بعضها البعض بحثا عن إيقاع عام يعكس دلالات بصرية وفكرية معينة، إلى مجال البحث عمّا يكمن تحت جلد الصورة نفسها من دلالات فلسفية ونفسية عميقة، مع البحث الدائم بالطبع عن إيقاع خاص للقطة – المشهد. وربما لا يضاهي بحث برغمان في هذا الإطار إلا تجارب السينمائي الروسي الراحل أندريه تاركوفسكي.

الذات المعذبة

ينشغل برغمان في أفلامه بالبحث الصوفي المعذّب في أغوار الذات، ذاته الخاصة، وأيضا كمعادل للذات الإنسانية كلّها، الأمر الذي يتفق مع مقولة سارتر الفلسفية الوجودية "عندما أختار فأنا لا أختار لنفسي فقط بل للآخرين جميعا أيضا". وكان برغمان أوّل من أدخل القضايا والمواضيع الذهنية والفلسفية المجردة إلى مجال هذا الفن البصري، فهو دائم البحث في أفلامه في قضايا الزمن وحتميّة الموت والمصير الإنساني وكوميديا الحيرة الإنسانية وطبيعة الشر، الأنانية الإنسانية وقيمة الفنّ، والمرأة في حياة الرجل، والرجل في حياة المرأة.

ولد إنغمار برغمان في 14 يوليو عام 1918، لأب قس كان ملحقا بالخدمة في القصر الملكي، ولذا نشأ برغمان الطفل في جو شديد التزمت، وكان والده يعاقبه باستمرار، وكان يحبسه أحيانا في غرفة مظلمة لعدة ساعات. ولا شك أن طفولة برغمان القاسية تركت تأثيرها الكبير عليه، وظلّ دائما يعود إليها في أفلامه وأعماله المسرحية.

تعرّف برغمان على المسرح للمرة الأولى وهو بعد في الخامسة من عمره، عندما شاهد إحدى مسرحيات الكاتب السويدي الكبير سترنبرغ. وفي التاسعة من عمره، صنع برغمان لنفسه خشبة مسرح صغيرة يتحكم بنفسه فيها أسفل المنضدة الموجودة في غرفة الألعاب.

درس برغمان الأدب والرسم في جامعة ستوكهولم، وأثناء دراسته، قام بالإخراج والتمثيل في مسرح الجامعة، ثم التحق عقب تخرّجه بالعمل في مسرح ستوكهولم كمخرج تحت التمرين. وكتب خلال تلك الفترة بعض المسرحيات والروايات والقصص القصيرة، لكنه لم يتمكن قط من إنتاج مسرحياته أو نشر قصصه ورواياته.

البذور الأولى

وفي عام 1941، التحق بالعمل في مدينة السينما، حيث قام بإعادة كتابة السيناريوهات وإصلاحها وجعلها صالحة للسينما. وجاءته الفرصة الكبيرة عام 1944 عندما كتب سيناريو فيلم "نوبة جنون" الذي أخرجه المخرج السويدي الشهير إلف شوبيرغ. وحقق الفيلم نجاحا كبيرا مما أتاح لبرغمان الفرصة لإخراج فيلمه السينمائي الأول "أزمة" عام 1945، أعقبه أفلام "إنّها تمطر على حبنا" (1946)، و"امرأة بلا وجه" و"سفينة تتجه إلى الهند" أو أرض الرغبة، و"الليل مستقبلي" عام 1947. ولم تلق أفلام برغمان الأولى نجاحا كبيرا. وترجع أهمية مشاهدتها حاليا إلى قيمتها التاريخية عند عشاق سينما برغمان، فهي تحتوي على البذور الأولى التي نضجت فيما بعد في أفلامه الكبيرة. وكان برغمان مشغولا في هذه الأفلام بتناول مشاكل وإحباطات الشباب، وبالفجوة العميقة التي نشأت بين الجيل الجديد والجيل القديم في المجتمع السويدي.

أما أول أفلامه الهامة فقد أخرجه عام 1949 بعنوان "سجن"، وكتب له السيناريو بنفسه كما سيفعل فيما بعد في كل أفلامه. ويحوي هذا الفيلم كلّ التقاليد التي ستصبح من الخصائص المميزة لسينما برغمان. يتناول الفيلم موضوع انتحار عاهرة شابة، ومن خلاله يطرح برغمان أفكاره الخاصة عن الله والشيطان والحياة والموت، وهي الأفكار التي ظلّت دائما ماثلة في أفلامه جميعها.

سيكولوجية المرأة

الموضوع الذي برز مبكرا في سينما برغمان يتعلق بسيكولوجية المرأة وتفردها ككائن إنساني. وقد برز اهتمام برغمان المكثف بالمرأة للمرة الأولى في فيلم "العطش" (1949) ثم تعمق أكثر في أفلامه التالية مثل "استراحة صيف" (1950) الذي يعتبره برغمان أكثر أفلامه قربا إلى نفسه، و"أسرار النساء" و"المرأة المنتظرة" و"الصيف مع مونيكا" و"رحلة في الخريف" و"ابتسامات ليلة صيف".

ازداد اهتمام برغمان في أفلامه الكبيرة فيما بعد، بالبحث في الحساسية الخاصة للمرأة، والعلاقة بينها وبين الرجل. وفي معظم هذه الأفلام نرى "امرأة" أو مجموعة من النساء، في بؤرة الأحداث، بينما الرّجال على الهامش. وتنجح علاقة الرجل بالمرأة فقط بفضل عاطفة أو ذكاء أو صبر المرأة، ويعتمد نجاح العلاقة على كيفية تمكّن المرأة من النيل من خيلاء الرجل وغروره.

عربة مصاص الدماء

ظلت أفلام برغمان غير معروفة خارج السويد إلى أن حصل على جائزة الإخراج في مهرجان كان عام 1956 عن فيلم "ابتسامات ليلة صيف"، ثم على جائزة لجنة التحكيم الخاصة في كان عام 1957 عن فيلم "الختم السابع". ومنذ ذلك الوقت ذاع صيته في العالم كأعظم فنان سينمائي قادم من الدول الأسكندنافية.

كان فيلم "الختم السابع" بوجه خاص بمثابة نقلة كبيرة في استخدام الصورة السينمائية كما في تقديم المحتوى الفلسفي في السينما. ويناقش برغمان في الفيلم موضوعة الله، وفكرة المواجهة بين الإنسان والموت التي يجسدها برغمان بشكل مرئي، ورغم الطابع الظاهري للفيلم، الذي يبدو كإحدى قصص الأطفال الأسطورية، إلا أن برغمان يمزج ببراعة نادرة بين تأملاته الذاتية الخاصة وبين لغة الصورة، مع اهتمام كبير بالضوء والتكوين وحركة الكاميرا على نحو مركّب ولكن شديد الجاذبية.

في "الختم السابع" يتعامل برغمان مع قضية وجودية من خلال ذلك الفارس المحارب الذي يعود من الحروب الصليبية في القرن السابع عشر إلى بلدته، فيجد وباء الطاعون يفتك بأهلها، ويصبح هو الآخر مطاردا من الموت الذي يتجسد له في هيئة شخص يرتدي الملابس وقلنسوة الرأس السوداء. ويقرر الفارس أن يتحدى الموت، ويستدرجه لكي يلعب معه الشطرنج على أن يعفيه من الموت إذا ما تفوّق عليه في اللعب. ورغم معرفته بنتيجة تلك المراهنة مسبقا، إلا أنه يسعى لكسب الوقت، للّهو بفكرة الموت بل وبالموت نفسه كأفضل وسيلة لكسب الحياة: أليست الحياة عبارة عن هروب مؤقت من الموت!

يصطحب الفارس تابعه في رحلة يشاهدان خلالها كيف يتهم القساوسة امرأة بالتهمة الشهيرة، أي السحر، ويحمّلونها مسؤولية انتشار الطاعون، ثم يحكمون عليها بالموت بمباركة الجميع، ويرون أيضا كيف تحوّل القساوسة إلى تجار يسعون للاستفادة من الخوف والذعر، واستثمار الطاعون للحصول على منافع دنيوية.

التابع يتعامل مع الموت كمزحة، وهو رغم إلحاده، يعطف على المحتاج ويتعاطف مع الضحية. أما الفارس فهو مؤمن بإمكانية إنزال الهزيمة بالموت عن طريق الجمع بين فروسيته وشجاعته البدنية، وبين اليقين الروحي المستقر عند رجل الدين (القس). وعندما يروي للقس كيف يتحدى الموت ويلعب معه الشطرنج يكتشف أن القس هو نفسه الموت.

يكشف هذا الفيلم، رغم ما يتردد فيه من "تشكك"، عن رغبة برغمان في الوصول إلى اليقين الروحي، وهو ما سيتضح أكثر فأكثر في أفلامه التالية: أي بحثه الشاق عن الإيمان، وعن جوهر فكرة الله، فقد اتجه برغمان بعده إلى التعمق أكثر في الذات بحثا عن الحقيقة فيما وراء ما يؤرقه ويعذبه. وأصبحت عملية الخلق السينمائي عنده عملية شديدة الذاتية كالعلاقة بين الفنان واللوحة، أو بالأحرى نوعا من المناجاة القوية واستدعاء القيم الروحية في عالم يسيطر عليه الفساد ويغرق في الرذيلة ويحيا أجواء العزلة الباردة.

أشهر أفلام برغمان بعد ذلك فيلم "الفراولة البرية" الذي يتناول موضوع العزلة الإنسانية. ويستخدم برغمان هنا، كما فعل مرارا، الرحلة كشكل للبناء في فيلمه. وفيه نرى عالما في الطب يجمع مذكراته، ويستعد لحضور حفل لتكريمه بعد 50 عاما من العطاء، إلا أنه يقرر أن يتجه إلى موطنه الأصلي. وخلال الرحلة يراجع البروفيسور العجوز حياته في سلسلة من المشاهد، وينتقل في ذاكرته من الجمال إلى الشرّ، ومن الرقة إلى العنف، من الطفولة إلى الشباب إلى الشيخوخة، وفي نهاية الرحلة التي تمتلئ بالهواجس والكوابيس والرؤى الغريبة، يصبح الرجل أكثر تصالحا مع نفسه وأكثر قبولا لفكرة توديع رحلة الحياة.

ثلاثية العزلة

في أوائل الستينات، قدم برغمان ثلاثيته الشهيرة "من خلال زجاج معتم" و"ضوء الشتاء" و"الصمت". وفي الأفلام الثلاثة بلغت تجربة برغمان السينمائي ذروتها في استخدام الفيلم لتناول أكثر الأفكار الإنسانية ارتباطا بالميتافيزيقا، كموضوعات الله والإحساس الإنساني بالعزلة والاغتراب والصراع الدائم بين الشك والإيمان والموت.

في "ضوء الشتاء" مثلا يعبّر عن تشككه في جدوى الحياة عندما يجعل القس يقول لرجل يوشك على الانتحار "إننا يجب أن نعيش" فيرد عليه الرجل متسائلا "ولماذا يجب أن نعيش؟". فلا يجد القس سوى أن يطرق برأسه ويصمت. والفيلم بأسره رحلة في البحث عن الله إذا جاز التعبير، فهو يطرح الكثير من التساؤلات التي تتعلق بفكرة الله، كما يتصورها القس انطلاقا من مخاوفه الداخلية، ومن آماله وتطلعاته الشخصية. وهنا يتساءل برغمان "هل الله هو ما نعكسه من ذواتنا، من خوفنا، من داخلنا، أم إنه أشمل من هذا وأكبر؟".

> برغمان ينشغل في أفلامه بالبحث الصوفي المعذب في أغوار الذات، ذاته الخاصة، وأيضا كمعادل للذات الإنسانية كلها، الأمر الذي يتفق مع مقولة سارتر الفلسفية الوجودية «عندما أختار فأنا لا أختار لنفسي فقط بل للآخرين جميعا أيضا»

عالم الأحلام

من عالم الأحلام يستمد برغمان أفكارا بارزة تتكرر في أفلامه كلها، حتى ليبدو للمتأمل أن برغمان يصنع الفيلم نفسه في كل مرة. لكن عظمة برغمان تتلخص تحديدا في قدرته على إحاطة الفكرة بإطار جديد، ومنحها مزيدا من خبرته المتراكمة في الحياة.

في فيلم "برسونا" (أو القناع) عام 1966، عاد برغمان فواصل رحلته لفهم السيكولوجية الإنسانية المعقدة، الإنسان في مواجهة نفسه، مرآة الذات ومرآة الحياة، الحياة والموت، والرغبة الغامضة في التشبث بالحياة. لكنه عاد إلى نفس الموضوع كأقوى ما يكون في أحد أروع أفلامه كلها وهو فيلم "صرخات وهمسات" الذي أخرجه عام 1972. وفيه يعبر للمرة الأولى باستخدام الإمكانيات الدرامية الهائلة للألوان بعد أن كان دائما يستخدم التصوير بالأسود والأبيض.

قيمة برغمان

تكمن قيمة برغمان الكبرى في كونه جعل من عمل المخرج السينمائي قيمة كبرى تتساوى مع قيمة الرسام العظيم والفيلسوف والموسيقار. ونجح برغمان دائما في الاحتفاظ بحريته كفنان سينمائي مبتكر وأصيل يكتب أفلامه بنفسه، لذا فهو نموذج فذ للمخرج ـ المؤلف.

ولم يعمل أبدا في الولايات المتحدة رغم الإغراءات، لكنه اضطر إلى العمل خارج السويد في ألمانيا عندما قدم فيلم "بيضة الأفعى" عام 1977، ثم فيلم "سوناتا الخريف" في بريطانيا، بعد أن غادر السويد بعد المعاملة الخشنة التي تعرض لها من جانب مسؤولي الضرائب في بلده، لكنه عاد إلى السويد عام 1978، وأخرج آخر أفلامه الروائية السينمائية الطويلة (وهو أطول أفلامه أيضا) فيلم "فاني وألكسندر" الذي اعتزل على إثره العمل السينمائي، وإن كان قد أخرج بعض الأفلام للتلفزيون، وكتب روايتين هما "أفضل النوايا" و"أطفال الأحد". وتحولت الاثنتان إلى السينما في فيلمين أخرجهما بيلي أوجست وابنه دانييل برغمان.

ورغم الاحتفاء الكبير بالفيلم وبأفلام برغمان عموما، فقد كان هناك من أخذ يطعنه ويسدد له السهام ويهاجم أفلامه بضراوة، فالسينمائي والناقد الفرنسي جان ميتري مثلا اتهم فيلم "الصمت" بأنه "فيلم مضاد للسينما، أدبي، يحتوي على كل ما ينبغي تفاديه في الأفلام"، والمخرج السويدي الشهير، بوفيدربرج، اتهم برغمان في بيان أصدره عام 1962 بالترويج لأنماط ثابتة في أفلامه للشخصية السويدية، ودعا إلى ضرورة ظهور سينما سويدية جديدة تتعامل مع القضايا الاجتماعية.

لكن برغمان ظل "أيقونة"، ليس فقط في السينما بل وفي المسرح أيضا. وكان يقول إنه إذا كان يعتبر السينما عشيقته، فهو يعتبر المسرح زوجته المخلصة.

أخرج برغمان 50 فيلما روائيا، و أكثر من 100 مسرحية، و15 عملا دراميا للتلفزيون، وعددا من الأوبرات، كما كتب سيناريوهات عديدة نفذها مخرجون آخرون. وأصدر مذكراته وسيرته الذاتية في كتابين "الفانوس السحري" (1987) و"أحاديث خاصة" (1996).

إنغمار برغمان لا يزال يثير خيال الكثير من الشباب الباحثين عن جوهر هذا الفن وليس الانزلاق على سطحه اللامع من الخارج.

اختتم برغمان علاقته بالسينما بفيلم «فاني وألكسندر» وهو سيرة ذاتية

شيكاغو.. الموسيقى لا تتوقف في مدينة كل الفصول

نكهة المطبخ العربي تفوح بين ناطحات السحاب

الجولة السياحية بشيكاغو تحمل الزائر إلى مواطن الفن والرياضة وإلى منابع المعمار والطبيعة المتنوعة، وهي مدينة تفوح بروح العطاء المادي والمعنوي، حيث يتهافت سكانها على قيادة الزوار في جولات سياحية مجانية.

إطلالة بنورامية لاكتشاف المدينة

❑ **شيكاغو** – تمتاز مدينة شيكاغو بالتنوع الكبير في نشاطاتها وإسهاماتها في مختلف المجالات الثقافية والموسيقية والفنية مثل المسرح والسينما وموسيقى الجاز والبلوز، فهي مقصد عشاق الفن بامتياز.

وتحتفي شوارع هذه المدينة بتماثيل بابلو بيكاسو وجوان ميرو، وبناطحات سحاب تعانق عنان السماء من تصميم أشهر المهندسين، كما تصدح موسيقى البلوز في البارات والمطاعم المنتشرة في أرجاء المدينة الرائعة، التي تقع على الضفة الجنوبية الغربية لبحيرة ميشيغان، وتزخر بالعديد من الحدائق والمتاحف البديعة والكثير من مناطق الجذب السياحي الأخرى.

رحلة بالقارب

ويمكن لعشاق الفن المعماري القيام برحلة بالقارب في نهر شيكاغو للتعرف على الكنوز المعمارية، التي تزخر بها المدينة الأميركية، لا سيما بعد أن تحول هذا النهر المهجور من قبل السكان الذين قاموا بتشييد منازلهم على ضفته بحيث تكون نوافذهم بعيدة عن منظره المقزز ورائحته السيئة، من مرتع العفن والتلوث إلى واحة للهدوء والاسترخاء وسط المدينة المزدحمة.

النهر لا يوفر رحلة بالقارب فحسب للتمتع بكل ما يحيطه من معمار، بل ويضطر السياح كذلك لدفع تكاليف باهظة نظير إيجار المنازل، التي توفر إطلالة على مياهه من غرف المعيشة.

ويمكن للسياح ملاحظة هذا التغير، الذي طرأ على المدينة عند القيام بجولة بالقارب في النهر، حيث تم تحويل مباني المستودعات والمخازن القديمة إلى شقق ومنازل فاخرة، بالإضافة إلى تشييد العديد من ناطحات السحاب الضخمة، بما في ذلك برج ويليس، الذي كان يُعرف في السابق باسم برج سيرز، ويبلغ ارتفاعه 442 مترا، ويعتبر ثاني أطول ناطحة سحاب في الولايات المتحدة الأميركية.

ويحظى السياح في هذه المدينة بالاستقبال الجيد من قبل العديد من المتطوعين في شيكاغو لتعريفهم بالمدينة واصطحابهم لزيارة المعالم السياحية بها مجانا.

حي أستور.. حي المشاهير

ومن بين هذه الجولات التطوعية يقوم السياح بزيارة حي أستور، رفقة أحد هؤلاء المتطوعين ويدعى ويلي، حيث يوجد مطعم بارون ستون والكثير من المنازل المشيدة على طراز "أرت ديكو" والعديد من المباني والفيلات، التي كانت في السابق مقر إقامة صفوة المجتمع في شيكاغو. ويشتهر حي أستور أيضا بوجود فندق عام، معروف باسم "إمباسادور إيست"، كان مقر إقامة المطرب فرانك سيناترا الشهير.

أوركسترا في حديقة الألفية

وتعتبر حديقة الألفية، التي تم افتتاحها خلال عام 2004، بمثابة واحة خضراء في وسط المدينة، وتتدفق أعداد غفيرة من السياح خلال فصل الصيف لحضور حفلات الأوركسترا غرانت بارك في جناح "جاي بريتزكر"، وتوجد على حافة الحديقة نافورة التاج، حيث يوجد برجان من الأبراج في مواجهة بعضهما البعض بارتفاع 15 مترا، ويتم عرض فيديو للوجوه، التي دائما ما تتدفق المياه من أفواهها.

وتزخر حديقة الألفية أيضا بأشهر موقع لالتقاط صور السيلفي في مدينة شيكاغو، عند بوابة السحاب "كلاود غيت" من إبداع النحات البريطاني إنيس كابور، ويطلق أهل مدينة شيكاغو على هذا العمل الفني الضخم واللامع والمصنوع من الفولاذ المقاوم للصدأ اسم الحبة "ذا بين".

فنون وموسيقات

ولعل أهم ما يميز مدينة شيكاغو أنها وجهة سياحية مثالية لعشاق موسيقى البلوز والجاز، حيث يقوم الفنانون بنصب أجهزتهم الموسيقية في الشوارع والطرقات وتقديم فنونهم الساحرة في الهواء الطلق وأمام المارة. علاوة على أن العديد من المطاعم والحانات تقدم لضيوفها وجبة موسيقية دسمة كل مساء بواسطة الفرق الموسيقية التقليدية، وقد ظلت مدينة شيكاغو لعقود طويلة مهد موسيقى البلوز وظهر بها أشهر الفنانين مثل ويلي ديكسون وليتل والتر.

وتتمتع الفنون المختلفة بنصيب كبير في مدينة شيكاغو، حيث تظهر المنحوتات والأعمال الفنية في مختلف الميادين، مثل تمثال بابلو بيكاسو في ميدان دالي بلازا، وكذلك تمثال جوان ميرو في ميدان برونزويك بلازا. كما تزخر شيكاغو بالعديد من المتاحف المختلفة، منها على سبيل المثال متحف الفنون، الذي يحتوي على الإبداعات الفنية لكبار الفنانين العالميين مثل كلود مونيه ومارك شاغال وهنري ماتيس وبابلو بيكاسو وغيرهارد ريختر وغيرهم. كما يقدم متحف الفن المعاصر الأعمال الفنية لجوزيف بويس وآندي وارهول وفرانسيس بيكون وآخرين.

وسيجد الزائر مساحات واسعة لعرض اللوحات وأعمال النحت مقارنة بالمساحات الضيقة في معهد الفنون. ويمكن رؤية مشهد مريح للبحيرة والسماء في حديقة المنحوتات عندما يكون الطقس معتدلا.

لكن الفن في شيكاغو لا يقتصر على المتاحف، إذ يلتقي محبو اقتناء الأعمال الفنية في فصل الربيع من كل عام في معرض الفن بشيكاغو الذي يعقد هذا العام في الفترة بين 29 أبريل وحتى 2 مايو 2016. بجانب انتشار بعض المعارض الصغيرة في أحياء ريفر نورث وويستلوب.

إطلالة فريدة

وعندما يرغب السياح في الاستمتاع بإطلالة فريدة من نوعها على وسط مدينة شيكاغو، يمكنهم الصعود إلى اثنتين من أبرز ناطحات السحاب المنتشرة في المدينة، حيث يمكن للسياح الصعود إلى الطابق 94 في ناطحة السحاب 360 شيكاغو والاستمتاع بإطلالة بديعة من ارتفاع يبلغ 300 متر على بحيرة ميشيغان والرصيف البحري. وتوجد منصة المشاهدة الأخرى أعلى برج ويليس في الطابق 103، وهنا يمكن للسياح الوقوف في صناديق زجاجية والنظر إلى أسفل ومتابعة ما يدور تحت أقدامهم من ارتفاع يبلغ 412 مترا.

ويوجد بشيكاغو أيضا ثلاثة معالم بمتحف الحرم الجامعي من أفضل معالم المدينة وهي: قبة أدلر السماوية والمتحف الميداني للتاريخ الطبيعي وإكواريوم شيد. وإلى الجوار يقع متحف العلوم والصناعة، حيث يتم قضاء أوقات ممتعة جدا ومفيدة وتعليمية في نفس الوقت.

وهنالك الكثير من مواقع السياحية الأخرى في المدينة التي تغري السائح بإلقاء نظرة على كامل أرجاء المدينة كالحي الصيني وهو أحد أكثر أحياء المدينة تنوعا وحيوية، إلى جانب "إكواريوم" شيد في متحف الحرم الجامعي المناسب للزيارات العائلية، فهو يحتوي الكثير من معارض الحياة المائية والمعارض التفاعلية.

شيكاغو هي أيضا موطن بعض أكبر الفرق الرياضية شهرة في العالم، حيث تتيح للسائح صيفا التمتع بمشاهدة لعبة البيسبول في ملعب ريجلي فيلد ومشاهدة فريق ذا كبز، أو مشاهدة فريق وايت سوكس بيو اس سيليولير فيلد، أما شتاء فإن يونايتد سنتر، وهو موطن نادي فريق كرة السلة شيكاغو بولز وفريق بلاك هوكس من دوري الهوكي الوطني، يكون قبلة الزائرين. وخريفا يكون التمتع بمشاهدة لعبة كرة القدم الأميركية لفريق ذا بيرز في ملعب سولدجر فيلد.

الفرق الموسيقية التقليدية تقدم لضيوفها وجبات فنية دسمة في ليالي شيكاغو

رغيف الفلافل

وتضم شيكاغو أفضل المطاعم بين كل مدن أميركا الشمالية، حيث يتميز كل حي فيها بأطباق ومطابخ مختلفة، مثل اليونانية والهندية والصينية. وتعد المناطق مثل الباني بارك وساحة لنكولن من أفضل الخيارات للتمتع بالأطباق الألمانية والكورية وطعام الشرق الأوسط، أما منطقة ويكر بارك فهي تشتهر بوجود مطاعم حائزة على جوائز عالمية.

وتفوح من المدينة الأطعمة العربية بمختلف أصنافها، فالعديد من المطاعم العربية تقدم أشهى الوجبات مثل رغيف الفلافل وصحن الحمص المدمس، كونها تحوي أكبر تجمع سكاني عربي في الولايات المتحدة، والذي يصل تعداده إلى نحو 250 ألف مواطن عربي في مدينة شيكاغو الكبرى.

ويحظى الزائر كذلك بالتجول في شارع التسوق "ماجنيفيسنت مايل" أكثر شوارع شيكاغو شهرة، والذي يمكن العثور فيه، تقريبا، على كل ألوان وأصناف المنتوجات.

■ أخبار سياحية

◄ الثورة الرقمية محور معرض برلين

■ معرض بورصة برلين الدولي للسياحة والسفر حمل هذا العام شعار "ترافل 0.4"، ودارت فعالياته حول الثورة الرقمية في عالم السياحة والسفر.

وقد شارك في هذا المعرض في نسخته الخمسين، نحو 10 آلاف جهة عرض من 187 دولة ومنطقة.

وبلغ عدد زائري المعرض هذا العام نحو 100 ألف زائر متخصص، مما حقق دفعة قوية في قطاع السياحة خلال فترة الفعاليات التي استمرت لخمسة أيام.

◄ تباطؤ قطاع السياحة في لندن

■ المواقع السياحية الأبرز في لندن تشهد منذ العام الماضي تراجعا في قطاع السياحة بلغ 1.6 بالمئة، حيث انخفض عدد الزائرين لثاني أبرز منطقة جذب سياحي شهيرة في لندن وهي الصالة الوطنية للفنون بنسبة 8 بالمئة لتصل إلى 5.9 مليون زائر، في حين انخفض عدد الزائرين لكل من مركز ساوث بنك وتيت مودرن بنسبة 20 بالمئة تقريبا.

ومازال المتحف البريطاني في لندن يتصدر قائمة الرابطة، التي تضم أبرز 230 منطقة جذب سياحي في لندن، حيث سجل ارتفاعا العام الماضي بنسبة 2 بالمئة.

◄ زيادة الأسعار تعالج اكتظاظ «ديزني»

■ والت ديزني رفعت أسعار تذاكر متنزهاتها لما يصل إلى 20 بالمئة خلال مواسم الإجازات وبعض عطلات نهاية الأسبوع، وذلك في محاولة لإعادة توزيع الزوار، بالتزامن مع نمو مستويات الإقبال على المتنزهات وحدوث اكتظاظ.

وأفادت الشركة أن تلك التغييرات بمثابة الطريقة التي يمكن من خلالها معالجة مشكلة الإقبال المتنامي مع الالتزام في الوقت نفسه بتقديم تجارب تتجاوز توقعات الضيوف الذين يتوافدون باستمرار على مختلف المتنزهات.

◄ منتجع صديق للبيئة في الإمارات

■ الإمارات تعلن عن مشروعها الجديد المتعلق بتطوير منتجع بيئي هو الأكثر توافقا مع معايير الحفاظ على البيئة في العالم. وسيتم تصميم المنتجع في الصحراء على شكل نجمة باستخدام ألواح شمسية كما سيتم تزويده ببعض أشكال الحياة البرية، بجانب واحة في الوسط تتسم بالهدوء والروعة.

وسيتم إعادة تدوير مياه الصرف الصحي واستخدامها في الريّ مع جعلها منطقة خالية من أيّ انبعاثات، ليكون المكان متوافقا مع معايير البيئة بشكل تام.

ومن المنتظر أن يتم افتتاح المنتجع البيئي بحلول عام 2020.

◄ تطبيق «أي بيكون» لسفر مريح

■ مطار حمد الدولي بقطر أطلق، مؤخرا، تطبيق الجوال "أي بيكون" لمنح المسافرين تجربة رائعة والبقاء على اتصال أثناء سفرهم عبر مطار قطر.

ويستطيع هذا التطبيق، بعد إجراء مسح بسيط على بطاقة الصعود إلى الطائرة واختيار إذن الكشف عن الموقع، توفير معلومات فورية عن وضع الرحلة واستلام الأمتعة وتوقيت الصعود إلى الطائرة وتحديد الاتجاهات إلى بوابة الصعود وكذلك جميع العروض الترويجية الخاصة بالمأكولات والمشروبات ومتاجر البيع.

التطبيق متاح حاليا في الهواتف التي تعمل بنظام تشغيل "أي. أو. أس ، كما تتضمن خارطة الطريق المستقبلية إطلاق تطبيق الأندرويد في الربع الثاني من عام 2016.

أطراف ذكية تعيد حاسة اللمس للمعاقين

علماء يوظفون شرائح إلكترونية لإعادة الإحساس لأطراف مبتورة

طفرة تقنية تبعث الإحساس بالأشياء من جديد لدى كل من فقد أحد أعضائه، حيث تمكّن علماء من ابتكار أطراف اصطناعية ذكية، تصل بحيويتها وقربها إلى الحقيقة مراحل لم تصل إليها الأطراف الاصطناعية الحالية.

الاشتياق إلى الإحساس

❏ **لندن** – نجح العلماء في استحداث تقنية تعيد للإنسان الذي يعاني من الإعاقة اكتساب أطراف اصطناعية ذكية تنقل الأحاسيس، كالبرودة والسخونة وغيرها، وتحاكي الأعضاء الطبيعية.

وتمكّن باحثون سويسريون وإيطاليون من ابتكار أنامل ذكية مكنت أحد مبتوري الأصابع ويدعى دينيس آبو سورنسن من أن يتحسس بأنامله الأسطح بصورة آنية.

وتم توصيل الأعصاب في عضده بآلة متصلة بالأنامل وتتحكم الآلة في حركة أطراف الأصابع عند تحريكها على قطع من البلاستيك ذات قوام أملس أو خشن.

وعندما تتحرك الأنامل على البلاستيك تقوم أجهزة استشعار بتوليد إشارات كهربية تترجم إلى سلسلة من النبضات تحاكي لغة الجهاز العصبي وتنتقل بدورها إلى أعصاب سورنسن.

وأفاد الباحثون أن الشاب سورنسن، هو أول إنسان في العالم يتعرف على ملمس الأشياء مستخدما أطراف أصابعه الخارقة المتصلة بأقطاب كهربية تمت زراعتها جراحيا في المنطقة التي تعلو الجزء المبتور.

وعندما تتحرك الأنامل على البلاستيك تقوم أجهزة استشعار بتوليد إشارات كهربية تترجم إلى سلسلة من النبضات تحاكي لغة الجهاز العصبي وتنتقل بدورها إلى أعصاب سورنسن.

وقال سورنسن "عندما قام الباحثون بتنشيط أعصابي بدأت أشعر بالاهتزازات وحاسة اللمس في الإبهام. حاسة اللمس هذه أقرب ما تكون إلى ما تستشعره بالإصبع ويمكنك الإحساس بخشونة الأسطح والارتفاعات والانخفاضات".

وقال سلفسترو ميسيرا من المعهد الاتحادي السويسري للتكنولوجيا "أكدنا أن بالإمكان تزويد مبتوري الأصابع بجزء متطور للإحساس لاستعادة حاسة اللمس من خلال التمييز بين ملمس وقوام الأسطح،

> العلماء يتوقعون أن يكون بمقدورهم زراعة أو استبدال أي عضو بشري بآخر إلكتروني ذكي، بما في ذلك الدماغ

وأمكن تحقيق ذلك من خلال الأقطاب الكهربية التي زرعت جراحيا في الأعصاب الطرفية للشخص".

وتم تكرار نفس التجربة مع أشخاص طبيعيين لا يعانون من البتر بعد أن تم توصيل الأقطاب الكهربية بالأعصاب بصفة مؤقتة من خلال الجلد وأمكنهم الإحساس بملمس الأسطح في 77 بالمئة من الحالات، كما تم قياس الإشارات الواصلة إلى المخ في الحالتين الطبيعية ولدى مبتوري الأصابع، واتضح تفاعل واستجابة مناطق الإحساس بالمخ ما يشجع العلماء على تطوير الابتكار واستخدامه في مجال الأجهزة التعويضية.

وتمكّن باحثون في مشروع أوروبي في فلورنسا الإيطالية، من تطوير أرجل اصطناعية، وقد شرح نيكولا فيتيللو، المنسق للمشروع، أبعاد هذه التجربة قائلا "نحاول إيجاد حلول لمسألة الأرجل المبتورة باستخدام ما يدعى بالربوت القابل للارتداء. سواء عن طريق وصل طرف اصطناعي مع الجهاز العصبي، أو باستخدام أجهزة تقويم آلية، تقوم بضخ الطاقة في المفاصل المتبقية، في محاولة لجعل عملية المشي أسهل".

وتسمح الساق الاصطناعية بالسير إلى الوراء وإلى الأمام والصعود أو النزول على الدرج، والانتقال من الجلوس إلى الوقوف دون تكبيد المستخدم للكثير من العناء والجهد. وقد أعرب 10 أشخاص عن ارتياحهم عند تجربتها.

وتمكن فريق من جامعة تكساس من تطوير لسان إلكتروني يحاكي قدرة البشر على اكتشاف المذاقات المختلف للأطعمة.

ويأمل العلماء في تطوير عين اصطناعية يمكن التحكم بها عبر تقنية الاستشعار، لا سيما وأن فريقا علميا من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا تمكن من اختراع عين إلكترونية، عن طريق زرع شريحة إلكترونية دقيقة مغطاة بالتيتانيوم، داخل العين وتوصيلها بعدسة خارجية وكاميرا دقيقة.

وتمكّن علماء من جامعة ملبورن الأسترالية في وقت سابق من تطوير أداة تتحكم في الأطراف الاصطناعية يمكنها أن تحاكي عمل العمود الفقري الطبيعي، ما من شأنه أن يساعد الأشخاص المصابين بخلل في عمل الحبل الشوكي أو العمود الفقري من تحريك أعضاء الجسم والمشي.

وقال العلماء إنهم يعتزمون إجراء تجارب على البشر، عبر زرع غرسات في أدمغة ثلاثة من المرضى، بتقنيات فائقة يمكنها التقاط ونقل إشارات من المخ، حيث يمكن استغلال هذه الإشارات في غضون 10 سنوات لتحريك الأطراف الصناعية.

ويتوقع العلماء أن يكون بمقدورهم زراعة أو استبدال أيّ عضو بشري بآخر إلكتروني ذكي، بما في ذلك الدماغ البشري، مع إمكانية إنتاج كرات دم بيضاء ذكية، يمكن استخدامها وتوجيها لمهاجمة الخلايا المريضة، كما يمكن برمجتها لإنجاز مهام طبية محددة، والأمر نفسه ينطبق على إمكانية تصنيع خلايا دم حمراء صناعية، وكلى وأكباد بشرية، وهو ما يتوقع العلماء تحقيقه فعليا في المستقبل غير البعيد.

طموحات العلماء لا تتوقف عند تعويض الأعضاء البشرية غير العاملة بأخرى ذكية بل ويتوقعون إمكانية زرع حاسة سادسة داخل الإنسان، وذلك عن طريق زرع شريحة إلكترونية صغيرة مزودة بمغناطيس صغير للغاية بالإبهام.

تطبيقات تنقل «مايكروسوفت أوفيس» إلى الهواتف الذكية

الاعتماد على حزمة البرامج المكتبية مايكروسوفت أوفيس تمنح المستخدم فرصة التنصل من الالتصاق بالمكتب طيلة الوقت وتسلك به أسهل الطرق للقيام بالأعمال المكتبية المعتادة عبر الأجهزة المحمولة كاللاب توب والهواتف الذكية.

❏ **هانوفر (ألمانيا)** – لم يعد استعمال البرامج المكتبية قاصرا على أجهزة الكمبيوتر الشخصية في المكاتب، بل يمكن للمستخدم تحرير النصوص ومعالجة الجداول وإنشاء ملفات العروض التقديمية بواسطة أجهزة اللاب توب أو الهواتف الذكية أو الكمبيوترات اللوحية أيضا.

وتتوفر حزم البرامج المكتبية حاليا لجميع منصات التشغيل.

وأوضح لارس بوده، من مجلة "تي 3 إن" المتخصصة، "يتوفر للمستخدم بشكل أساسي خمس حزم من البرامج المكتبية، هي "أوفيس 365" و"أبل آي وورك" و"سوفت ميكر أوفيس"، "ليبر أوفيس" وكذلك "أوبن أوفيس". ويعتمد معظم المستخدمين على حزمة البرامج المكتبية من شركة مايكروسوفت.

ووقال الخبير الألماني ديتر برورس، "تتمثل ميزة البرامج المكتبية من مايكروسوفت في أنها تعمل على أجهزة الكمبيوتر المزودة بنظام تشغيل ويندوز وأبل "أو إس إكس"، كما أنها تتوفر كتطبيقات للأجهزة الجوالة المزودة بنظام غوغل أندرويد وأبل "آي. أو. إس".

وبالتالي يتمكن المستخدم من مشاركة ملفات النصوص والجداول والعروض التقديمية بين أنظمة التشغيل المختلفة مع إمكانية معاينتها وتحريرها على الهواتف الذكية والكمبيوترات اللوحية بشكل مطابق للأصل إلى حد كبير.

وعند الاعتماد على حزمة البرامج المكتبية مايكروسوفت أوفيس فإن المستخدم يسلك أسهل الطرق للقيام بالأعمال المكتبية المعتادة.

وأضاف الخبير الألماني أن حزمة البرامج المكتبية "أوفيس 365" تفيد المستخدم الذي قام بشراء منتجات تدعم خمسة أجهزة أو مستخدمين والتي ينص عليها برنامج تراخيص مايكروسوفت غير المحدود، إذا رغب في استغلال التراخيص الخمسة التي تتوفر له بمجرد شراء هذه المنتجات والقيام بتثبيت البرامج على خمسة أجهزة.

وتعمل حزمة البرامج المكتبية من شركة مايكروسوفت بشكل مستقل عن نظام التشغيل. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الشركة الأميركية هي صاحبة أكثر صيغ الملفات شيوعا، ومنها مثلا "دوكاكس" وكذلك "إكس إل أس إكس". وقد تتسبب هذه الصيغ في ظهور مشكلات في البرامج الأخرى.

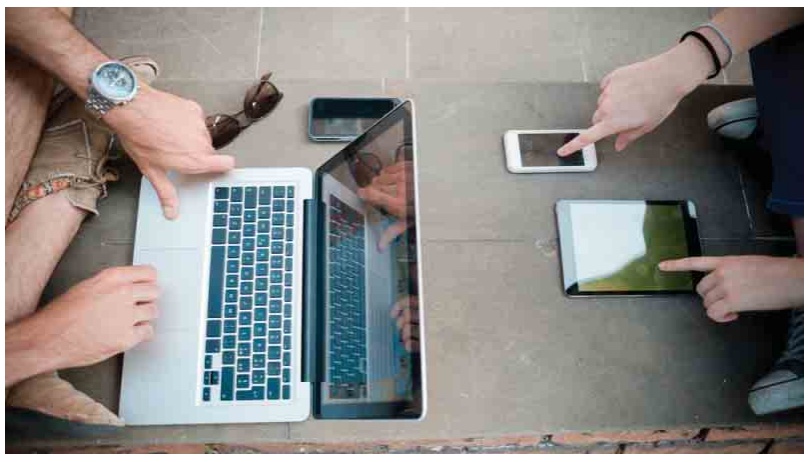

البرامج المكتبية تتبعك حيثما كنت

وعلى الجانب الآخر توفر حزمة البرامج المكتبية "أي وورك" من أبل للمستخدم إمكانية القيام بجميع المهام المكتبية، سواء كان ذلك على أجهزة الكمبيوتر أو الهواتف الذكية أو الكمبيوترات اللوحية.

وأوضح مارتن رايت باور، من مجلة "سمارت فون مغازين" النمساوية، "يمكن لأصحاب الهاتف الذكي آيفون والحاسب اللوحي آيباد وكمبيوترات الماك استعمال برامج 'أي وورك' للقيام بالعديد من المهام، مثل تحرير النصوص ومعالجة الجداول مجانا".

وبالإضافة إلى ذلك، تتوفر تطبيقات من برامج "بيجز" و"نبرز" و"كينوت" مجانا لأصحاب الهواتف الذكية والكمبيوترات اللوحية من شركة أبل. وبإمكان هذه التطبيقات أيضا فتح مستندات مايكروسوفت وعرض محتوياتها، ولكن ليس بالدقة الكاملة. ولذلك ينصح برورس بتثبيت تطبيقات أوفيس بشكل إضافي من أجل عرض ملفات "وورد" و"إكسل" و"باور بوينت" بصورة أفضل. وأشار رايت باور إلى أن هناك برامج بديلة لتطبيقات مايكروسوفت مثل "دبليو. بي. اس أوفيس" أو "أوفيس– سويت فري" من شركة موبي سيستمز.

وأضاف رايت باور أن مستخدمي الأجهزة الجوالة المزودة بنظام غوغل أندرويد يمكنهم استعمال تطبيقات غوغل درايف، التي تعتمد على الحوسبة السحابية مثل غوغل دوكس، وبعد ذلك يمكن استعمال هذه المستندات في متصفح الويب على الكمبيوترات المكتبية أو أجهزة اللاب توب.

وبالنسبة إلى أصحاب هواتف أندرويد ينصح برورس باستعمال تطبيقات "تكست ميكر موبايل" و"بلان ميكر موبايل" و"برسنتيشن موبايل"، حيث يتمكن المستخدم عن طريق هذه التطبيقات من تحرير مستندات مايكروسوفت وورد وإكسل وباور بوينت دون أيّ مشكلات.

وعلى الرغم من أن حجم الوظائف المتوفرة في هذه التطبيقات ليس كبيرا للغاية مثل برامج أوفيس الأصلية، إلا أنها تكفي للقراءة ولإجراء التعديلات الطفيفة. ويمكن للمستخدم الوصول إلى هذه التطبيقات عندما يبحث عن المصطلح "فري أوفيس" في متجر تطبيقات غوغل بلاي.

وإذا رغب المستخدم في البحث عن تطبيقات فائقة الأداء للكمبيوترات اللوحية، فإن برورس ينصح باستعمال الإصدار "هاش. دي" من تطبيق سوفت ميكر أوفيس موبايل.

جديد التكنولوجيا

❏ فيسبوك تختبر نسخة مخصصة لمستخدمي نظام ويندوز 10 من تطبيقها للدردشة ماسنجر، وانتشرت على شبكة الإنترنت اليوم صور توضح شكل التطبيق، بالإضافة إلى مقطع فيديو يظهر استخدامه بشكل فعلي.

ويحتوي التطبيق على العديد من المميزات مثل الحصول على تنبيهات لعدم تفويت أيّ رسالة وإرسال الصور ومقاطع الفيديو والصور المتحركة "جيف" والكثير غيرها، بالإضافة إلى إمكانية استخدام الملصقات ضمن المحادثات ومعرفة متى تمت مشاهدة الرسائل.

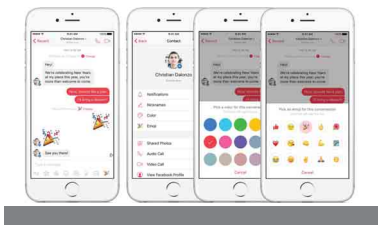

❏ سكايب يعلن رسميا إضافة اللغة العربية إلى قائمة اللغات التي تدعمها خدمة المترجم الفوري "سكايب ترانسليت"، ليصبح مجموع اللغات المدعومة 8، إلى جانب دعم 50 لغة لترجمة الدردشة الفورية.

وأوضحت خدمة الدردشة أن اللغة العربية المدعومة هي العربية الفصحى الحديثة التي تُستخدم في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كصيغة قياسية للغة العربية.

❏ موزيلا تعلن عن تعطيل الأداة الإضافية "يوتيوب إنبلوك" في متصفح "فايرفوكس لدواعي أمنية.

وأوضحت المؤسسة الأميركية أن هذه الأداة الإضافية، التي تساعد المستخدم في التحايل على القفل الإقليمي لمقاطع الفيديو بمنصة يوتيوب، قامت بتنزيل برمجيات خبيثة وأكواد ضارة، بالإضافة إلى تغيير إعدادات الأمان بمتصفح فايرفوكس.

كما تمّ قبل أيام قليلة تعطيل الأداة الإضافية "تاب اكستنشنز الخبيثة، والتي كانت تعمل أيضا على التلاعب في إعدادات الأمان بالمتصفح.

❏ بوابة التكنولوجيا "هايزه أون لاين" الألمانية تفيد أن خطأ بنظام تشغيل أبل "آي أو إس يتسبب في ظهور رسائل إلكترونية وهمية في صندوق الوارد بكل من الهاتف الذكي آيفون والكمبيوتر اللوحي آيباد.

وأوضحت البوابة أن هناك رسالة تظهر في صندوق الوارد دون اسم مرسل أو عنوان مع تاريخ الإرسال ويتعذر على المستخدم فتح هذه الرسالة، كما أنه لا يتمكن من حذفها في بعض الأحيان.

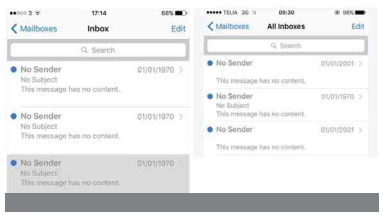

❏ موقع التدوين المصغر تويتر يعلن عن قيامه بدمج حزمة أدوات التطوير خاصته "فابريك" مع منصة تطوير الألعاب الأكثر شعبية "يونتي"، وتأتي هذه الخطوة ضمن خطة الموقع في التحول نحو خدمات الهاتف المحمول بشكل أكبر.

ويتم استخدام منصة "يونتي" لبناء الألعاب ثنائية وثلاثية الأبعاد بجودة عالية، ولمختلف المنصات مثل الهواتف المحمولة وكمبيوترات سطح المكتب ومنصات الألعاب والواقع الافتراضي.

وتساعد حزمة "فابريك" المطورين في الحصول على مقاييس المستخدم المفهومة وتوليد الإيرادات واكتساب والاحتفاظ بالمستخدمين عبر الألعاب متعددة المنصات.

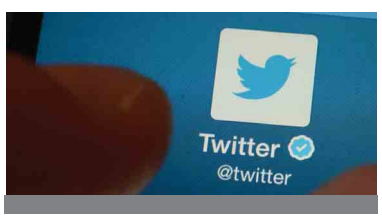

رفع الأثقال أثناء المشي يضعف من لياقة العضلات

التحميل الزائد على الأعضاء يضاعف من الشد العضلي

يميل الكثير من الناس إلى ممارسة رياضة المشي ويعتبرونها من الرياضات البسيطة التي لا تتطلب تجهيزات أو أموالا ويجدون فيها متنفسا من إيقاع الحياة اليومي، فجلّ من يمارسونها يفضلون الاستمتاع، في الآن نفسه، بالطبيعة. وأثبتت البحوث أن هذه الرياضة، على بساطتها، قادرة على تعزيز اللياقة والقوة الجسدية في حال الالتزام بأدائها، بشكل منتظم. لكن يخيّل إلى البعض أنها تظل غير كافية لبلوغ القدر الذي يأملون تحقيقه فيلجأون إلى إضافة رفع الأثقال، بحثا عن عضلات أقوى ورشاقة أكثر.

إجهاد العضلات طريق مختصرة للإصابات البليغة

❏ **دوسلدورف (ألمانيا)** – حذر مركز حماية المستهلك بولاية شمال الراين وستفاليا بألمانيا من حمل الأثقال أثناء ممارسة رياضة المشي بغرض زيادة مستويات حرق الطاقة؛ حيث قد يتسبب ذلك في الإصابة بشد عضلي.

وبدلاً من ذلك، ينصح المركز بممارسة رياضة المشي في الأراضي المرتفعة أو دمج فواصل السرعة البينية مع التدريب، وذلك من أجل زيادة مستويات حرق الطاقة. ومن الأفضل المشي بشكل طبيعي لمدة خمس دقائق من أجل الإحماء قبل ممارسة رياضة المشي.

ويوصي مدربو اللياقة بالراحة قبل وبعد التمرين أو الرياضة، لمنع التشنجات التي تنتج عن النشاط البدني القوي. وكذلك فإن الترطيب الجيد قبل وأثناء وبعد النشاط مهم، خصوصا إذا كانت المدة تزيد عن ساعة واحدة، واستبدال المعادن المفقودة (وخصوصا الصوديوم والبوتاسيوم، والتي هي المكونات الرئيسية للعرق) عن طريق تناول كميات صغيرة من الوجبات الخفيفة المملحة أو الأطعمة التي تحتوي على الصوديوم في وجبات الطعام. وينبغي تجنب التعب المفرط، وخاصة في الطقس الحار.

وللتحكم أكثر في طاقة الجسم وتفادي الإجهاد، ينصح، في البداية، بالسير لمدة 10–15دقيقة ثم زيادة المدة تدريجياً كل أسبوع حتى تصل إلى 45 دقيقة يومياً، بمعدّل ثلاث إلى خمس مرات أسبوعياً. وحتى تكون رياضة المشي مفيدة فلا بد من السير بخطوة سريعة لزيادة ضربات القلب إلى المعدل المطلوب، فالمشي البطيء لا يؤدّي الغرض المنشود. فإذا كان الشخص يمشي مثلاً بسرعة 2 ميل في الساعة فإن استهلاكه من الطاقة يكون بمعدل 120–240 سعرة حرارية في الساعة الواحدة. أما عند السير بسرعة 4 ميل في الساعة فإن استهلاكه من الطاقة يرتفع إلى 360– 420 سعرة حرارية في الساعة.

وفي حال تعرض العضلات للشد، نتيجة الإجهاد، يفضل التوقف عن المشي والقيام ببعض التمارين الخاصة للتخلص من الآلام.

وتتلخص تمارين الشد في شد العضلة إلى الأمام والقيام بتدليكها بلطف للعمل على ارتخاء العضلات. وبالنسبة إلى عضلة الساق يمكن تحميل وزن الجسم على الرجل التي بها الشد العضلي وثني الركب ببطء. وفي حال العجز عن الوقوف يمكن شد القدم إلى الوراء في اتجاه الجسم مع شد الرجل في وضع مستقيم. أما بالنسبة إلى الشد العضلي في منطقة الفخذ، فيمكن الجلوس على كرسيّ للاسترخاء وشدّ القدم الموجودة في اتجاه الفخذ المصاب ثم جذبها إلى الأرداف.

وعندما يكون الشخص متعوّدا على الإصابة بالشدّ العضلي، أثناء الليل، يمكنه التقليل من ذلك عبر القيام بالتمارين قبل الخلود إلى النوم، مثل الوقوف، على بعد 96 سم من الحائط، ووضع اليد عليه، مع إبقاء كعب الرجل على الأرض ثم الانحناء في اتجاه الحائط بركبة واحدة والبقاء 30 ثانية لشد الرجل وتقويتها ثم القيام بنفس الخطوات مع الرجل الأخرى لثلاث مرات.

ويتفق المدرّبون على أن فائدة هذه الرياضة تتضاعف، في حال، المشي في طريق به مرتفع بسيط فإن ذلك سيؤدي إلى زيادة الجهد المبذول وزيادة سرعة ضربات القلب. وليس هناك أيّ ضرر من رياضة المشي على عكس بعض أنواع الرياضة التي قد تؤدي إلى إصابات.

ولا ينصح الأخصائيون بتكثيف فترات المشي وإجهاد الجسم بتمارين موازية لها ويحثّون على الالتزام بأداء تمارين الإحماء التي تساعد على تجنب الإصابة بالإجهاد العضلي. ويمكن أيضا ممارسة تمرينات الإطالة بعد الانتهاء من الرياضة. وأوضحت بعض الدراسات في مجال الطب الرياضي أنه من الأفضل وضع نظام للإحماء قبل ممارسة التمرينات الرياضية الشاقة، مثل الركض في المكان لبضع دقائق قبل بداية التمرين.

وتجدر الإشارة إلى أن التمارين الأرضية كالمشي تخفّف الألم وتحسّن القدرة على الحركة عند المرضى المصابين بالتهاب المفصل العظمي في الركبة. وهو أحد الأمراض المصاحبة للشيخوخة والتقدم في السن ولكنه قد يظهر عند الشباب. ويحدث عندما تبدأ المفاصل بالبلى والتراجع مع الزمن أو عند إصابتها بالتلف جراء الرضوض أو الجروح.

وأشار الأطباء إلى أن أهم أعراض هذا المرض تتمثل في آلام المفاصل وتصلّبها، مما يعيق الحركة الكاملة ويسبّب العجز. وغالبا ما يخضع المصابون بالتهاب المفاصل العظمي في الأوراك لعمليات استبدال الورك الصناعية. وكشفت النتائج بعد تحليل تسع دراسات، تم فيها تتبع الأوضاع المرضية لحوالي 1633 شخصا وعاداتهم الرياضية، عن أن الرياضة المعتدلة وخصوصا المشي، تؤثر إيجابيا على المفاصل وتخفف آلامها وتصلبها وتحسّن الوظائف الحركية عند المريض بشكل كبير.

ومن ناحية أخرى، قال باحثون إن المشي لمدة أربع ساعات أسبوعيا قد يقلل بنسبة 40 في المئة من احتمالات إصابة النساء بكسور الفخذ الناتجة عن هشاشة العظام.

وخلصت إحدى الدراسات إلى أن مجرّد المشي، لمدة ساعة يوميا أو الركض، ثلاث ساعات، أسبوعيا، يقدم نفس الحماية التي يوفّرها العلاج بالهرمونات ضد الإصابة بكسور الفخذ.

وتبين أن ثلث البالغين الأميركيين من سن 65 عاما أو أكثر الذين يسقطون كل عام تتسبب كسور الفخذ لديهم في أكبر عدد من الوفيّات وفي أخطر المشاكل الصحية. ويصاب أكثر من 300 ألف شخص سنويا بكسر في الفخذ. وتظهر الدراسات أن المشي والركض يبطئان من فقد الكالسيوم في العظام وهو من الأسباب الرئيسية لهشاشة العظام. وقال الباحثون في إحدى أعداد دورية المجلس الطبي الأميركي إنهم درسوا حالة أكثر من 61 ألف امرأة تتراوح أعمارهن بين 40 و77 عاما، وخلص الباحثون إلى أن السيدات اللائي زاولن المشي أو الركض أو قمن بتمرينات مشابهة كنّ أقل عرضة بكثير للإصابة بكسور في الفخذ على مدى 12 عاما.

ويفسر الأطباء خطر رفع الأثقال، أثناء المشي، بأنه تحميل إضافي على العضلات وزيادة في حجم الضغط على القدمين وهو ما قد يعرّضها للإجهاد والشدّ والتمزق ، الأمر الذي قد يجرّد تمرين المشي من فوائده ويحوّلها إلى إصابات بليغة تستدعي العلاج والخضوع إلى العمليات الجراحية، في كثير من الأحيان.

> رفع الأثقال، أثناء المشي، زيادة في حجم الضغط على القدمين وهو ما قد يعرضها للإجهاد والشد والتمزق

والإجهاد العضلي أو الشد أو حتى التمزق العضلي، كلها مسميات تطلق على أيّ مشكلة قد تصيب العضلة أو الأوتار المتصلة بها، حيث من الممكن، أيضا، للأنشطة اليومية المعتادة أن تتسبب في حمل زائد على العضلات: مثل رفع أشياء ثقيلة بشكل مفاجئ، أو أثناء ممارسة الرياضة بشكل خاطئ أو أثناء القيام بمهام العمل المختلفة. وتلف العضلات يمكن أن يحدث في صورة تمزق (جزئي أو كلي) لليفة العضلية وكذلك الأوتار المتصلة بالعضلة. كما أن تمزق العضلة يمكن أن يؤدي إلى تمزق بعض الأوعية الدموية الصغيرة المحيطة بالعضلة مما قد يتسبب في نزيف موضعي (كدمة) وألم موضعي ناتج عن استثارة النهايات العصبية بتلك المنطقة.

وتشمل أعراض الإصابة بالإجهاد العضلي التورم والكدمات أو الاحمرار والجروح القطعية بسبب الإصابة. وإذا صاحب الإصابة سماع صوت "طرقعة"، وفي حال العجز على المشي مجددا أو كان هناك تورم شديد أو ألم شديد بموضع الإصابة أو ارتفاع في درجة الحرارة أو جروح قطعية فيجب الخضوع فورا للفحص في قسم الطوارئ بالمستشفى. ومن المهم أثناء الفحص أن يتم التأكد من إذا ما كان تمزق العضلة جزئياً أو كلياً (ممّا قد يتطلب فترة أطول للشفاء أو إجراء عملية جراحية أو نقاهة أكثر تعقيداً). أما التورّم والنزيف الموضعي بالعضلة، الناتج من تمزق بعض الأوعية الدموية في موضع الإصابة، فيمكن معالجته في المنزل، مبكراً، عن طريق وضع قطع من الثلج على مكان الإصابة وإبقاء العضلة ممددة. كما يمكن تعريض العضلة للحرارة ولكن بعد أن يقلّ الورم حيث أن استخدام الحرارة مبكراً من الممكن أن يسبب مزيداً من التورم والألم. ويوصي الأطباء بحماية الجلد من التعرض المباشر للثلج أو الحرارة المستخدمة في العلاج عن طريق استخدام عازل –فوطة مثلاً– ولا يستخدم أيّ منهما على الجلد مباشرة دون غطاء.

الإكسسوارات والتطبيقات تحفز الرياضيين على بلوغ أعلى درجات اللياقة

❏ **هانوفر (ألمانيا)** – أوضح الطبيب الألماني أورس فيتو ألبرشت أن سوار اللياقة البدنية يوفر للمستخدم العديد من الوظائف المهمة مثل قياس المسافة والوقت ومقارنتها مع الآخرين.

وعلى الرغم من أن هذه الأجهزة الجوالة لم تثبت فائدتها العامة حتى الآن، إلا أن هذا لا يعني أنها لا توفر للمستخدم بعض المزايا؛ حيث تعمل أساور اللياقة البدنية والتطبيقات الخاصّة بها على تحفيز الرياضيين من خلال مقارنة أدائهم مع الأشخاص الآخرين.

وأضاف نائب مدير معهد، بي إل رايخ أرتس بجامعة براونشفايغ التقنية، أنه يمكن للمبتدئين في ممارسة الرياضة تحقيق تقدّم سريع من خلال استعمال أساور اللياقة البدنية، ومع ذلك فإنهم يتعرضون أكثر لإجهاد أنفسهم بشكل مفرط. ولذلك يتعين عليهم القيام بالتمرينات مع مراعاة الإرشادات التحذيرية، التي تصدر عن الجسم.

> تطبيقات اللياقة البدنية تساعد بشكل كبير في التحفيز على ممارسة الرياضة وتخفيف الوزن والحفاظ على لياقة بدنية عالية

وأشار أورس فيتو ألبرشت إلى أن أساور اللياقة البدنية المتوفرة في الأسواق تفيد الرياضيين المحترفين، الذين يرغبون في متابعة أدائهم دون الاهتمام كثيراً بدقة القياس. وعادةً ما تكون دقة قياس هذه الأجهزة الجوالة غير كافية للرياضين المحترفين.

وأظهرت دراسات أميركية حديثة، نشرها موقع "شيب" الألماني، أن تطبيقات اللياقة البدنية تساعد بشكل كبير في التحفيز على ممارسة الرياضة وتخفيف الوزن والحفاظ على لياقة بدنية عالية.

وتوجد العديد من التطبيقات الرياضية التي يمكن تحميلها على الهواتف الذكية. وتكمن مهمّتها الأساسية في التحفيز على ممارسة الرياضة والمساعدة في التدريبات والحفاظ على الوزن.

وتقدم هذه التطبيقات برامج وتمارين رياضية، تجعل المتدرّب قادرا على ممارسة الرياضة بشكل صحي ومريح، دون مساعدة المدربين أو الذهاب إلى الصالات الرياضية. وقام موقع " شيب" الألماني المتخصص في الشؤون الصحية والرياضية باختبار أحدث هذه التطبيقات ومن بينها:

■ **تطبيق رانتاستيك:** يعتبر من التطبيقات الرياضية الأكثر شعبية على الإنترنت. ويقوم هذا التطبيق بقياس السرعة والمسافة ونسبة السعرات الحرارية، التي يتم حرقها أثناء الجري. ثم يقوم بتسجيل هذه البيانات وتقديمها على شكل إحصاءات، يمكن أيضا تبادلها مع الأصدقاء. والهدف من ذلك هو مراقبة التطور في اللياقة البدنية وتعزيز التنافسية مع الأصدقاء والاستمرار في ممارسة الرياضة.

■ **تطبيق فاتبورنر كوتش:** يقدم برنامجا رياضيا لمدة 12 أسبوعا ويتألف من تمارين رياضية مختلفة، تهدف إلى تقوية العضلات ورفع مستوى التحمّل عند الرياضيين، بالإضافة إلى تخفيف الوزن.

■ **تطبيق ماي فيتناس بال:** يقوم بتتبّع نسبة المأكولات اليومية وقياس السعرات الحرارية والبروتينات وباقي المعطيات المتعلقة بالتغذية.

■ **تطبيق وورك آوت ترينر:** هو عبارة عن برنامج لتقوية العضلات ورفع مستوى التحمل عند الرياضيين، بالإضافة إلى تخفيف الوزن، حيث يقدم أكثر من 1000 تمرين رياضي. ويتم شرح التمارين في أشرطة فيديو قصيرة.

■ **تطبيق نايك ترينر كلاب:** يقدم برامج رياضية مختلفة وتمارين رياضية متنوعة.

تطبيقات الرشاقة تحدد عدد السعرات المطلوب حرقها

ومن أجل تحفيز الممارسين على الاستمرار يقوم البرنامج بتقديم تمارين رياضية مشتركة مع أبطال عالميين.

■ **تطبيق كالوري كاونتر:** من بين أبرز تطبيقات حرق السعرات الحرارية. وبعد إدخال الطول والوزن والعمر، يحدد التطبيق كيفية المحافظة على النظام الغذائي المناسب للوزن والعمر. وهذا التطبيق مفيد جداً للحفاظ على الرشاقة، لأنه يحافظ على النظام الغذائي بالتسجيل المستمر لكل الأغذية التي يتم تناولها.

■ **تطبيق هاندريد بوش آبس:** تطبيق لكمال الأجسام يساعد على الحصول على لياقة بدنية عالية عبر تمارين الضغط والبطن وبعض التمارين الأخرى، دون الحاجة لصالات اللياقة البدنية.

الصورة النمطية تلاحق المرأة العربية أينما حلّت

نجاحات النساء العربيات في المهجر لم تغير تعاطي الإعلام مع واقعهن

لم تفلح الجهود المبذولة من قبل المرأة العربية الأميركية على مدى عقود من الزّمن مصحوبة بالعمل الدؤوب في تغيير الصورة النمطية للنساء العربيات لدى المجتمع الأميركي وذلك على الرغم من الإنجازات والانتصارات التي حقّقتها في ميادين شتّى وشهد الجميع لها بما حققته باجتهادها ومثابرتها من تفوق قيادي. ويرجع ذلك أساسا إلى عدم وجود إعلام عربي قويّ ومؤثّر في دول المهجر بحيث يكون فعّالا ويسهم في تغيير صورة العرب والمسلمين عامة وصورة المرأة العربية خاصة ويركّز على جهود النساء في بلد الإقامة أميركا التي يعتبرها بعضهن موطنهن الجديد. وفي غياب هذا الإعلام يغيب نقل صور مشرفة لأعمال المرأة العربية في العالم العربي وتهمل نجاحاتها.

في ظل غياب واضح لوسائل الإعلام العربي القادمة من الشرق لأجل أن تلعب دورا إيجابيا، والتي بالرغم من كثافتها في بعض دول المهجر إلا أنها تسعى فقط لتحقيق "الشو" الإعلامي من خلال التسابق في نقل الأحداث في مناطق العنف مع التركيز على نقل مشاكل المرأة العربية وإهمال الجوانب الإيجابية في حياتها وما تحققه من إنجازات في العديد من المجالات. يضاف إلى ذلك الإعلام الغربي الذي يقتصر عمله على تقديم صورة واحدة وموحّدة للعرب والمسلمين وللنساء العربيات ويريد الترويج لها على أنها هي الحقيقة الوحيدة دون النظر والتعمق في مسائل أخرى.

نسرين حلس

❑ **واشنطن** – يمتلك الشعب الأميركي انطباعا واحدا عن المرأة العربية يستمد جذوره من الثقافة الغربية وتصوّراتها للحضارة والثقافة العربيتين اللتين يبرز من خلالهما القمع الذي تلقاه المرأة داخل المجتمعات العربية حيث تسلب حقوقها ويمارس ضدها العنف المنزلي وتعاني باستمرار من عدم مساواتها في جميع مناحي الحياة بالرجل، إلى جانب ربطها بنمط معين في اللباس مثل الحجاب والنقاب اللذين باتا يقدمان أبعادا رمزية تتجاوز كونهما مجرد قطع قماش يتم ارتداؤها. هذه الصور التي تختزل المرأة العربية في الفكر الغربي يرى فيها المجتمع الأميركي تكبيلا لحرية المرأة . لذا فهو يعتبر أن أيّ نجاح لها هو نجاح فردي ولا يمكن تعميمه واعتباره نجاحا للنساء العربيات ككل لأن في وعيه الجماعي هناك قالب أوحدود معينة معروفة للمرأة العربية وغير ذلك هو مجرد إنجاز عابر وفردي.

ترى الإعلامية ليلى الحسيني المذيعة في إذاعة صوت العرب، أحد أهمّ الإذاعات العربية التي تبثّ من داخل الولايات المتحدة وتقدم برامج إذاعية متنوعة باللّغتين العربية والإنكليزية، وهي تبث من ولاية ميشغان وواشنطن دي سي الأميركية، بأنه حتى الآن لم تستطع المرأة العربية الأميركية تغيير الصورة النمطية السائدة عنها في أميركا رغم الجهود الفردية التي تقوم بها بعض السيدات العربيات في أميركا، وهذا إذا نظرنا للمجتمع الأميركي بشكل عام، لكن بشكل فردي يوجد في هذا المجتمع بعض الأفراد الذين تغيرت صورة المرأة العربية الأميركية لديهم وذلك بحكم الاختلاط بين الطرفين. وعادة ما ينتمي هؤلاء إلى فئة المثقفين أو فئة الطلاب وهي شرائح غير كبيرة عدديا لكنها مؤثرة.

وتعتبر الحسيني بأن الصورة النمطية المكرّسة عن المرأة العربية في أميركا مستمدة في الواقع من الميديا ووسائل الإعلام الأميركية، التي مازال بعضها يسعى جاهدا إلى تعزيز تلك الصورة والمحافظة عليها كما هي وحصرها في نفس القالب. هذه الصّورة الضعيفة يتعمّد الإعلام الأميركي استخدامها لتقدم بدورها صورة عن العالم العربي الذي يعيش نوعا من التخلف في المعاملة غير العادلة للنساء. وتذهب الحسيني إلى اعتبار هذا الممارسة تمثل شكلا تضليلا إعلاميا يحدث في حق النساء العربيات وللأسف تشارك فيه الجالية العربية بطرق غير مباشرة فتعبر عن ذلك قائلة "هناك جزء كبير من المسؤولية يقع على عاتقنا نحن العرب المقيمون هنا ونحن مسؤولون عنه، فتكريس الصورة المغلوطة جزء منه نساهم فيه نحن وذلك يعود لعدم تفاعل وتواصل الكثير من النساء مع المجتمع الأميركي وبسبب عدم وجود إعلام عربي أميركي مؤثر في المهجر".

من ناحية أخرى تؤكد محدثتنا أن الإعلام إذا توفرت له عناصر القوة يصبح قادرا على أن يؤثر مع الوقت في تغيير صورة العرب والمسلمين بصفة عامة، ومن ذلك يسعى للتركيز على صورة المرأة العربية ويقدم حقائق حول حياتها والدور الذي تلعبه في المجتمع الأميركي كما يمكنه أن يقدم صورة جديدة تبرز المرأة العربية كعنصر فاعل مثابر وقوي يسعى دوما لتحقيق التقدم في المجتمع.

ترسيخ الصورة السلبية

تشاطر الدكتورة نسرين صوان الحاصلة على البورد الأميركي في الأمراض النفسية والعصبية ونائب رئيس الجمعية الطبية العربية الأميركية لفرع شيكاغو في ولاية إلينوي رأي الإعلامية الحسيني، وهي تعتبر أن المرأة العربية الأميركية قد حققت قفزات نوعية من خلال المثابرة والاجتهاد في العمل على مدى سنوات استطاعت فيها تحقيق إنجازات ر في مجالات كثيرة، ومع ذلك لازالت الصورة النمطية عنها لا تبرح مكانها ولازالت معظم فئات المجتمع الأميركي تراها من نفس المنظور من خلال عين واحدة في صورة المرأة الضعيفة المغفلة مسلوبة الإرادة التي لا رأي لها ولا تستطيع اتّخاذ القرارات. وتحمل صوان وسائل الإعلام الغربية مسؤولية ذلك لأنها تتبع أجندات خاصة هدفها تشويه صورة العرب بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة وهدفها الترويج لصورة معينة عن المرأة العربية التي لا تفقه شيئا علي الإطلاق، متجاهلين القيادات النسائية الناجحة المتواجدة في الجالية العربية المسلمة.

الأحكام المسبقة تعوق إظهار الصورة الحقيقية للمرأة العربية

كما تعتبر صوان أن بعض العادات والتقاليد العربية القادمة من الشرق والتي حملها العرب معهم من بلدانهم ساهمت هي الأخرى في تعزيز هذه الصورة ومنها عدم الاهتمام بتعليم الفتاة، فبعض الأسر العربية المهاجرة المقيمة في المدن والولايات الأميركية ترى أن أفضل حماية للفتاة هي عدم إعطائها الفرصة لإكمال تعليمها بل وتزويجها في سن مبكرة ما ينتج عنه وجود أمهات لا يتعدين العشرين سنة من العمر، ورغم وجود فرص تعليم جيدة إلا أنهن لا يستطعن إكمال دراستهن بسبب الزوج أو الأطفال القادرين على إرباك أو منع عودتها بعد الزواج لمقاعد الدراسة. وفي حالة الطلاق فإن الزوجة غير المتعلمة تتحول إلى عبء على الدولة التي تصبح مسؤولة عن توفير نفقات لها.

وتؤكد الدكتورة نسرين أنه لا بد من التخلص من هذه الصورة الضعيفة عن المرأة العربية لأنها لا تنقل صورة حقيقية وكاملة مئة بالمئة؛ فالمرأة العربية في أميركا ربما تكون أفضل من غيرها فهي رغم طموحاتها الشخصية والمهنية إلا أنها تسعى جاهدة لتوفير الراحة في بيتها لزوجها وأطفالها حتى لا تتهم بالإهمال، وهذا يضاعف من مجهودها داخل المنزل وخارجه. لذا فإنه من الظلم أن تبقى هذه المرأة أسيرة لتلك الصورة غير الحقيقية وغير الواقعية، والتحرر من هذه الصورة النمطية لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الاهتمام بالتعليم وتعريف المرأة بحقوقها المدنية والاجتماعية. وتقول صوان "لن يتم ذلك إلا من خلال العمل على تثقيف المرأة العربية الأميركية وتعريفها بحقوقها الاجتماعية والسياسية وتربيتها من الأساس على عدم الاعتماد على الرجل بل على الاهتمام بإظهار شخصيتها وكينونتها من خلال اختلاطها بالمجتمع والاندماج مع محيطها الخارجي، مع الإصرار على المحافظة على ثوابتها الأخلاقية لأنها تظل أهم ما يميز المرأة العربية في أميركا وهي التي يمكن أن تروّج للصورة الحقيقية المميزة لها".

> حافظت معظم نساء الرعيل الأول في المهجر على تقاليد المجتمع الأصلي التي نقلتها معها لدولة الإقامة، فهي الزوجة والأم وربة البيت قبل كل شيء، ولم تّفقد السلطة الذكورية مفعولها وسطوتها عليها

الإعلام العربي دور غير فعال

من جانبها لا تختلف سحر خميس دكتورة الإعلام والاتصالات في جامعة ميرلاند الأميركية وعضو مجلس إدارة خدمات الجالية العربية في الولاية نفسها، عن آراء كل من سبقوها، بل تؤكد أنه بالرغم من وجود نماذج مشرّفة من النساء العربيات الأميركيات سواء في الطب أو الهندسة أو المحاماة أو أساتذة الجامعات والإعلاميات وغيرها من المجالات إلا أن الصورة الراسخة في أذهان الأميركيين وفي معظم وسائل الإعلام الغربي لازالت إلى حد بعيد صورة سلبية أكثر منها إيجابية سواء فيما يخص العرب والمسلمين عموما أو بخصوص المرأة العربية والمسلمة.

وترجع خميس السبب في ذلك إلى غياب إعلام عربي مميز يسعى لتقديم صورة العرب والمسلمين بالشكل الأمثل والصحيح وبصورة واضحة تبرز الجوانب المشرقة في الحضارة العربية الإسلامية بشكل عام ولكن مع الأسف الإعلام العربي الأميركي مازال إعلاما ضعيفا يكرر ما تنقله وسائل الإعلام الغربية والعربية.

أما الإعلام الغربي فمعظمه مسيّس يتبع أجندات خاصة وينقل ما يريد من خلال تصوير بعض المحطات في حياة المرأة العربية والوقوف عليها لتقديمها للمجتمع الغربي بصورة سلبية، فهو لا يركز إلا على السلبيات في المجتمع العربي والمسلم والتي منها ما يختص بالمرأة من خلال تصوير واقعها الصعب الذي لا يمكّنها من أن تكون واجهة مشرفة أو امرأة منتجة، بالإضافة إلى الاهتمام بنقل الصورة التي تظهر الإسلام بطريقة لا يحترم فيها المرأة وخاصة في أماكن النزاع الحالية والحروب، والذي من خلاله شوهت صورة المرأة العربية بالكامل متجاهلين أن في الحروب دوما هناك ضحايا من الجانبين ليس للدين علاقة بها وبالتالي فهو إعلام منحاز انحيازا كاملا لكل ما هو ضد العرب والمسلمين بصفة عامة بسبب تصاعد الإسلاموفوبيا.

كما تشير عضو مجلس إدارة خدمات الجالية العربية في ميريلاند إلى أن بعض التقاليد التي تمارس في بعض البلاد العربية كتعدد الزوجات والنقاب والختان وضرب الزوجة وجرائم الشرف رسّخت في عقل المواطن الأميركي فكرة مغلوطة عن المرأة العربية التي بمجرد سماعه عنها أو رؤيتها تطرأ في ذهنه كل هذه الأمور، وهذا ما نجده من خلال مناقشات تتم أحيانا مع الأميركيين. لأجل ذلك تقول سحر خميس "يبقى التغيير فرديا في بعض الحالات وليس عاما، فعدد قليل من الأميركيين لديهم القبول لتغيير آرائهم في المرأة العربية وفي العرب والمسلمين إلا أن الأغلبية لازالت تحمل هذا الفكر وتتوارثه". وتنهي خميس حديثها موجهة دعوة للجالية العربية في المهجر بأنه من الواجب زيادة تفاعلها وتواصلها مع المجتمع الأميركي، كما تطالب المرأة العربية بزيادة الانخراط في المجتمع والاندماج فيه مع المحافظة على الهوية والاهتمام بمسألة التعليم وهي من السبل الفعالة لأنها التي ستسهم في نقل صورة مشرّفة عنها وعن الجميع بالإنابة.

الرجل العربي يأبى التخلي عن عرش مملكته الذكورية

❑ الدكتور أسعد الدندشلي رئيس تحرير جريدة المنتدى الأميركية العربية الصادرة في مدينة ديربورن في ولاية ميشغان يقول إن هناك نسبية ومفارقات حادة في الذهن الأميركي حول المرأة العربية الأميركية، وما تزال الصورة في عقول الأميركيين مشوّشة وغير واضحة المعالم نتيجة تعدد الصور والأشكال التي تظهر عليها المرأة العربية، ففي حين يرى أمامه سيدات أو فتيات تتبوأن المراكز العليا في الإدارات والمؤسسات الرسمية وتحققن النجاح في الجامعات والمهن الحرة من طب وهندسة وتجارة وفنون.. فإنه أيضا يرى غلبة لصورة تلك المرأة العربية الأميركية التي ما تزال محافظة وتقليدية وكل تصرفاتها تدل على عدم تكيفها وثقتها بالمجتمع الجديد الذي تعيش فيه والذي صار في نهاية الأمر وطنها ووطن أولادها وأحفادها. فالمواطن الأميركي يلاحظ هذين النموذجين ويقف أمام صورتها وأمام بعض نواحي حياتها العملية".

ويؤكد الدندشلي بأن السبب في عدم انطلاق المرأة على نحو واثق يعود للتربية المتأصلة في لا وعيها الاجتماعي الذي ما يزال حيا داخلها ونقلته معها إلى المجتمع الجديد.. وهذا ما جعلنا نقف أمام صورتين أساسيتين للمرأة العربية الأميركية وأمام تداعيات كل واحدة منهما ضمن حالات نفسية وسلوكية متعددة. في الصورة الأولى حافظت معظم نساء الرعيل الأول على تقاليد المجتمع الأصلي التي نقلتها معها لدولة الإقامة، فهي الزوجة والأم وربّة البيت قبل كل شيء، ولم تفقد السلطة الذكورية مفعولها وسطوتها عليها في هذه الحالة، وكذلك سلطة الأعراف والتقاليد المجتمعية المتراكمة في أعماقها دينيا وتربويا وثقافيا واقتصاديا.. لكنها في المقابل بدأت تشعر أن الشمس هنا أكثر إشراقا ووضوحا لتدل على أنوثتها ولكنها لا تقوى على التغيير، فما كان منها إلا أن استكانت مع حالة من شبه الانفصام أو الإذعان دون الجهر برفضها.. وإن كانت العقود الثلاثة الأخيرة بدأت تشهد تمردا لهذه المرأة على التقاليد ويتجلّى ذلك من خلال ارتفاع نسب رفضها لواقع حياتها الزوجية أو ما شابه من رفض للسلطة الذكورية.. وكذلك ارتفاع نسبة طلب الطلاق في صفوف النساء المتزوّجات دون الخوف من فقدان الزوج المعيل أو الخوف من وضع اقتصادي مهين، أو خشية رميها بصفات أخلاقية سلبية أو تعرضها للإهانة من الأهل والجيران والأصدقاء والعشيرة أو القبيلة.

أما الصورة الثانية فهي تلك الصورة التي سعت المرأة العربية الأميركية من خلالها إلى تقديم نموذج مبهر في النجاح منذ وطئت أقدامها الأرض الأميركية، فدخلت معترك الحياة بالنمط الأميركي وهي مقتنعة بأنها ليست مضطرة للزواج المبكر.. وهي ليست أداة أو سلعة تتحكم فيها وتسيرها السلطة الذكورية سواء كان الأب أو الأخ أو الأهل أو المجتمع أو الزوج.. فهي آمنت بأنها قادرة على تخطّي الصعاب ومواجهة ظروف الحياة ولمَ لا على اقتناص الفرص المتاحة لها في هذا المجتمع لتبدأ في كشف طاقاتها وإبداعاتها العلمية والمعرفية والتعليمية والمهنية والحرفية.. الخ. لكن هذا النمط الثاني من الصورة الثانية كانت له بعض المحاذير الأسرية أو العائلية العالقة في بعض الأحيان لكن مع الجيل الثاني والثالث ستنتصر هذه الصورة وتكون متقدمة على النمط الأول من الصورة الأولى التي تحدثنا عنها سابقا.

ويضيف الدندشلي "بقيت ملاحظة أساسية يجب أن أسوقها في هذا المضمار وهي إن لم تكن مقوّمات التغيير كامنة في أعماق المرأة العربية نفسها وفي صلب إرادتها، فالمجتمع هنا مثلا وإن كان يساعدها على ذلك تبقى تلك الصورة المشوشة الضعيفة راسخة في ذهنه. ونحن اليوم نلمس سرعة في التغيير ولو نظرت المرأة العربية الأميركية بدقة المتأمل لمراحل نمو ابنتها وابنها ذهنيا وسلوكيا، ولو أصغت بانتباه لطريق الحوار أو عزوفه عن الحوار معها أو مع الأب لأدركت أن التغيير قادم لا محالة. وإن كانت بعض الصور النمطية للمرأة العربية ما تزال قائمة وهي تلقي إلى اليوم بظلالها على العقل الأميركي، فإنما أغلبها نتيجة إصرار العرب على الحياة الأسرية بحسب التقاليد والأعراف العربية التي تعشش في شخصية الرجل العربي الأميركي أيضا وتجعله يأبى أن يبرح "سلطنة" مملكته الذكورية وإن كان يعيش الواقع الأميركي أو الغربي الذي يقلقه في داخله ويسبب للكثيرين من الرجال الوافدين من مجتمعات عربية حالات من الارتباك والخوف على ذكوريتهم أمام أنوثة تعودوا أن تكون مطيعة، مطواعة، وفي أحسن الحالات امرأة تستمد منه بقاءها ومقومات وجودها.

تلبية الأم لمتطلبات طفلها يحد من ممارساته السلبية

فوضى الأطفال تعالج بالرفق حينا وبالصرامة أحيانا أخرى

يحتاج الأطفال في السنوات الأولى من حياتهم إلى درجة معيّنة من الاهتمام من قبَل الأبوين، نظرا لأنهم يتسمون ببعض الصفات التي تتطلب الردع أحيانا والرقة في التعامل أحيانا أخرى.

محمد إبراهيم

الفوضى تجعلك تهتمين بي

❏ **القاهرة** – تؤدي الفوضى وترك الألعاب والملابس في كل مكان بالمنزل، بالإضافة إلى اللعب في متعلقات الوالدين أثناء انشغال الأم في أمر ما وإتلافها، حتى يصبح المنزل يعج بالفوضى، وصولا إلى غضب الأم وانزعاجها من طفلها، وتكون النتيجة إما الردع باستخدام الضرب، أو تركه حتى يهدأ، لكن معظم الأمهات لا يلتفتن إلى الأسباب التي دفعت طفلها لفعل هذه الفوضى، فقد يكون إهمال منها لمتطلباته، أو محاولة منه لجذب انتباه والدته إليه، أو نتيجة لوضع صحي معيّن، مثل إصابة المخ بنشاط زائد عن الطبيعي، يمده بطاقة تدفعه إلى فعل أشياء متعدّدة وغير محسوبة.

وفي هذا الإطار، تقول هبة عبدالرحمن، أخصائية تقويم السلوك في مصر "إن الأطفال في السنوات الأولى من حياتهم تتغيّر طبائعهم وفقا للبيئة النفسية التي يعيشون فيها، فإذا كانت مستقرة تستقر أمامها تصرّفاتهم واحتياجاتهم، أما إذا كانت متذبذبة سيشهد الوالدان ممارسات غير مفهومة من أطفالهم، وبالتالي يكون العامل النفسي لدى الأطفال الدافع الأول للفوضى التي يمارسونها داخل المنزل".

وأكدت عبدالرحمن أن الأطفال يتأثّرون بعدم اهتمام الوالدين بهم، وبالتالي ينبغي الحديث إليهم والتعرّف على طبائعهم منذ عمر السنتين، وتوجيه الأطفال على بعض المعلومات البسيطة مثل الفرق بين الصواب والخطأ، بأسلوب يسهل عليهم تقبّله واستيعابه.

وأضافت موضحة "رغم أن عقول الأطفال في هذه السن غير مؤهلة بالشكل المطلوب للاستيعاب، إلا أن التعوّد يجعل الطفل يفرّق بنفسه بين الصواب والخطأ".

كما أشارت إلى أن اعتراض الطفل على عدم الاهتمام به من خلال إجراء الفوضى في المنزل أو البكاء بشدة، بالإضافة إلى عدم الاستجابة لمتطلباته في الأطعمة والألعاب أو الخروج من المنزل، من الأمور التي لها أثر قوي على رد فعل الطفل تجاه العلاقة بينه وبين والديه.

وبينت أن أهم أسباب الفوضى عند الأطفال محاولة جذب انتباه الوالدين لهم، بسبب شعورهم بتجاهل متعمد يمارس تجاههم، لذلك يلجأ الأطفال إلى الأشياء التي تثير غضبهم لا سيما الأم، لأن الاهتمام المتوقع منها يختلف بالنسبة إلى الطفل عن الاهتمام المتوقع من الأب، فالعلاقة بين الطفل والأب تكون علاقة سطحية ليس لها ملامح بارزة بعكس الأم، حيث ينتظر منها الحنان الوفير والاستجابة الفورية والتواجد المستمر.

من جانبه، أكد يوسف عبدالحي، أخصائي تقويم السلوك، أن الجانب الصحي لدى الطفل يؤثر كثيرا على تصرّفاته ويدفعه لممارسة بعض الأشياء الخاطئة، مثل زيادة نشاط المخ التي تعزّز لديه الطاقة، ويظهر ذلك في الفوضى التي يمارسها في المنزل، واللعب بكل ما يراه أمامه، وترك الأشياء الخاصة به وبوالديه هنا وهناك، كما تدفعه هذه الحالة إلى محاولة إتلاف الأشياء التي يجهل التعامل معها، فإذا رأى جهازاً خاصاً بالأب وحاول فتحه ولم يستطع يلجأ فوراً لاستخدام القوة معه ومن ثم إتلافه، وفي هذه الحالة يشعر بأنه وصل إلى النتائج المرجوّة.

> الأطفال في السنوات الأولى من حياتهم تتغير طبائعهم وفقاً للبيئة النفسية التي يعيشون فيها، فإذا كانت مستقرة تستقر أمامها تصرفاتهم واحتياجاتهم

ونبه عبدالحي إلى أن اتّباع العنف مع الطفل من قبَل أحد الوالدين يسبّب له اضطراباً نفسياً وصحياً، يظهر في حالات الفوضى والارتباك التي يحدثها في المنزل، ولا يجد طريقة يعبّر بها عن غضبه واحتجاجه على هذا الأسلوب سوى رمي الأشياء في كل مكان، وعدم انصياعه لأوامر الوالدين بتنظيم أشيائه، أو الكف عن إحداث الفوضى انتقاما منهما.

كما حذّر من ترك الوالدين لأطفالهم بمفردهم داخل الغرفة أو المنزل أثناء الخروج، لأن ذلك يصيبهم بالخوف الشديد وفي أحيان أخرى بالصرع، مما يدفعهم لإجراء الفوضى داخل المنزل شعوراً منهم أنها تجذب لهم الأمان، وتجعلهم يعتقدون أن ثمة شخصا آخر موجودا معهم في المكان.

وبدوره، نصح وليد مرزوق، استشاري الطب النفسي، بضرورة متابعة حالة الأطفال الصحية والنفسية بين وقت وآخر، للاطمئنان على حالة المخ لأن النشاط الزائد فيه لا تتوقف عوارضه عند حدّ إحداث الفوضى، ولكن قد تدفع الطفل إلى الانعزال كلياً عن المحيطين به، بالإضافة إلى أهمية تشجيعه على اللعب مع قرنائه لإعادة توازنه النفسي، والحدّ من ممارساته الخاطئة، وبالتالي تبدو تصرّفاته طبيعية مع مرور الوقت.

وقال موضحا "إن الاهتمام بالأطفال يعزّز لديهم الرغبة في إرضاء والديهم من خلال التصرّفات المحسوبة، وعدم ترك الأشياء في غير موضعها، والكف عن إحداث الفوضى والارتباك داخل المنزل خوفاً على شعور الوالدين". وذكر مرزوق أن الرقة في التعامل مع الطفل عند ارتكاب خطأ ما تمنعه من تكرار الخطأ، لذلك على الوالدين معالجة فوضى الأطفال بتوجيه النصيحة، وتعريفهم أن ما فعلوه خطأ يجب إصلاحه، عن طريق مساعدة الأم في ترتيب المنزل.

وتؤكد فوزية التهامي، أخصائية الطب النفسي، أن اهتمام الأم بتلبية متطلبات ورغبات طفلها، يحدّ من ممارساته السلبية داخل المنزل، لأنه يشعر باحتواء يرى أنه كاف لتعزيز الإيجابية داخله، وبالتالي لا يريد إغضابها أو إزعاجها من أمر فعله مثل إحداث الفوضى أو كسر أواني الطعام اعتراضاً منه على أسلوبها.

وبينت التهامي أن الأب له دور كبير في توجيه الطفل ولكن بأسلوب مختلف، فقد يعوّض ما فشلت الأم في القيام به، لأن الأطفال في السنوات الأولى بحاجة إلى التجديد الحسي دائماً، لذلك يلجأون إلى البكاء بشدة أحياناً والضحك أحياناً أخرى لأسباب بسيطة، مثل استخدام الأب للهجة الردع مع الطفل في حالة إحداث الفوضى أكثر من مرة حتى لا يقوم بها ثانية.

ولفتت إلى أن الاضطرابات النفسية التي تدفع الطفل إلى إحداث الفوضى داخل المنزل، يجب على الوالدين القضاء عليها من خلال تهيئة البيئة النفسية المناسبة لتنشئة طفل إيجابي، يحترم مشاعر والديه ويخشى غضبهما، ويجب إظهار تعاون الأب والأم في تربية الطفل أمامه، حتى لا يقوم باستغلال تعاطف أحدهما معه لكي يفعل ما يريد ويغضب الآخر.

تحديث المجلات النسائية

هيفاء بيطار
كاتبة من سوريا

❏ لا أعرف سبب الانعكاس الذي تسببه لي المجلات النسائية في عالمنا العربي حين أتفحّصها، إذ يفرز خيالي للتوّ صورة امرأة بلا رأس! فهذه المجلات المتخصصة بشؤون المرأة العربية والمُتكاثرة كبذر البقلة، وذات الطباعة الفاخرة والأنيقة والغاصّة بصور الحسناوات، مجلات لا علاقة لها إطلاقا بواقع المرأة العربية خاصة بعد اندلاع ثورات الربيع العربي، ولا تُعبر عنها ولا تمثلها، بل هي مجلات تجارية دعائية بامتياز للعطور الفاخرة والساعات الأنيقة والأزياء المميزة التي لا تستطيع امرأة عادية اقتناءها.

تشترك المجلات النسائية في عالمنا العربي بقواسم مشتركة عديدة فهي:

أولا: أكثر من 70 بالمئة من صفحاتها تهتم بالموضة والتجميل والماكياج من أرقى وأغلى الماركات العالمية، إضافة إلى أنواع الحمية من أجل رشاقة القوام، ثم تهتم بأثاث المنزل وضرورة تبديله كل مدة لمحاربة الاكتئاب!

ثانيا: غالبا ما تختار تلك المجلات كاتبا مرموقا أو كاتبة مرموقة ليكتبا في كل عدد زاوية، مجرد زاوية تحمل اسم مبدعها اعتقادا من مدير المجلة أو مموّلها بأن هؤلاء الكتاب يضيفون قيمة أدبية وفكرية للمجلة النسائية، وغالبا ما تكون الكتابة الأدبية مُفتعلة ومُفبركة وغير متجانسة مع مواضيع المجلة التي تهتم بالشكل والإبهار الشكلي والدعايات للعطور والمكياج والمجوهرات. وبعد أشهر يستنفد الكاتب أو الكاتبة المواضيع التي يكتب عنها حتى أن أحدهم أخذ يروي لنا أحلامه!

ثالثا: وهو الأهم، فما تبقّى من المجلة وهو أقل من 20 بالمئة من صفحاتها، والتي يعتقد القيمون عليها أنها تُعالج مشاكل المرأة، أعتبره كارثة من ناحية اختيار الموضوع وطريقة معالجته وأعطي بعض الأمثلة مثلا:

ثمة مجلة تناولت موضوعا –اعتبرته خطيرا– بعنوان "خاطفات الأزواج"، وقد خصصت صفحات لعلاج هذه المشكلة وعرضت صفحة كاملة للصورة النمطية لخاطفة الأزواج: صورة امرأة تشبه الساحرة بعينين مكحّلتين حتى صيوان الأذن ونظرة يقدح منها الشرر وأظافر كالمخالب مصبوغة بالأحمر الفاقع، كما لو أن خاطفة الأزواج من فصيلة مصاصي الدماء.

واستفاضت الدراسة بالنصائح الكثيرة التحذيرية للزوجات من مخاطر خاطفات الأزواج، كما لو أن الزوج طفل بريء يتم الإيقاع به بسهولة وتُنصب له الفخاخ، وكما لو أنه لا يتحمل أيّ مسؤولية في خطفه من قبل الساحرة خاطفة الأزواج. وأكدت الدراسة إياها أن كل الخطر يكمن في الأرامل والمُطلقات –خاطفات الأزواج النموذجيات– ولم تلمّح الدراسة أنه غالبا ما يسعى الزوج لملاحقة النساء خاصة أن القانون يسمح له بالزواج من أربع.

موضوع آخر تطرقت له إحدى المجلات العربية النسائية هو موضوع العنوسة، وهو موضوع بالغ الأهمية في الحقيقة لكنني صُعقت أن من قامت بالدراسة اختارت عيّنة لدراستها أعمارها ما بين 25 و30 سنة! معتبرة أن هذا هو مجال العنوسة في عالمنا العربي.

الأهم من اختيار الموضوع هو طريقة معالجته فهنالك تغييب عفوي بسبب الجهل أو مُتعمد لتغييب العقل والمنطق والكرامة أيضا، ولا أنسى تلك الصفحة في إحدى المجلات المتخصصة بحل المشاكل، وكانت المشكلة التي طرحتها سيدة متزوجة في السابعة والثلاثين من عمرها ولديها أربعة أولاد في سن المراهقة، فوجئت بأن زوجها تزوّج من قريبة لها بعد ترمّلها بأشهر، وطلبت السيدة المفجوعة النصيحة من المرأة الحكيمة التي تحلّ المشاكل في المجلة فكان الجواب على النحو التالي: زوجك رجل عظيم حمى أرملة من السقوط في الغواية وتبنى أطفالا أيتاما! ولم يكن لموضوع الكرامة والصدمة النفسية والعاطفية للزوجة الأولى وأولادها أيّ ذكر وأيّ قيمة!

لماذا لا توجد مجلات نسائية عربية تعكس واقع المرأة العربية الحقيقي، ومعروف أن أفقر الفقراء هم من النساء؟ لماذا لا تُعالج تلك المجلات بشكل علمي وصادق وعميق حقيقة مشاكل عمل المرأة ومسؤولياتها في البيت والأسرة وتجاه الأهل، وتحميلها مسؤولية التقصير بأيّ مشكلة تواجهها الأسرة، حتى خيانة الزوج تُبرّر بأن زوجته لم تعرف كيف تجذبه جيدا! أين التناول الفعلي والحقيقي لمشاكل المرأة العربية وقد تحوّلت نسبة كبيرة منهن إلى أمهات ثكالى بعد أن فقدن فلذات أكبادهن في حروب أجبروا عليها، لماذا كل عناوين المجلات تهتم بالشكل، الجميلة، الحسناء، لها، هي، الفارسة، الفاتنة.. لماذا لا يوجد عنوان واحد لمجلة نسائية عربية مثل المُفكرة مثلا أو المثقفة، أم أن الشكل هو جوهر المرأة العربية والتفكير والثقافة تحصيل حاصل والبعض يعتبر هاتين الصفتين متعارضتين مع الجمال والأنوثة: كوني جميلة واصمتي. شعار لا يزال يؤمن به الكثيرون.

وأخيرا أحبّ أن أسرد تلك الحادثة التي جرت معي شخصيا فمنذ سنوات طلبت مني إحدى المجلات النسائية أن أكتب قصة بمناسبة عيد الأم وأرسلت قصة عن أم لديها ابن معوق وقد استعملت تعبير (قلبها المطعون بحربة الألم) وتم حذف العبارة وأثار هذا استغرابي فاتصلت بالمسؤولة عن المجلة لأستوضح الأمر فقالت بأن العبارة توحي بالعنف وبأن كلمة الطعن ترضّ مشاعر المراهقين بما أن قسما كبيرا منهم يقرأ هذه المجلات. لكن في العدد نفسه أفرد أكثر من 12 صفحة لسفّاح ذبح أربعا من أطفاله على مرأى عيون زوجته والمقال حافل بالصور والساطور –أداة الجريمة– الذي يقطر دما وصور الأطفال المذبوحين. فهل ينفع التعليق!

أتمنى أن توظّف كل هذه الأموال الطائلة من أجل المجلات النسائية العربية ليس لإنعاش المرأة كدمية ومجرد جسد يجب تزيينه دوما بل أن يتذكر هؤلاء الممولون أن للمرأة رأسا وعقلا مُفكرا وبأن أنوثتها لا تساوي شيئا إن لم يلتحم رأسها بجسدها.

طبق اليوم

كسكسي بالدجاج واليقطين

*** المقادير:**

- ربع كوب من زيت الزيتون.
- 8 أوراك دجاج.
- 2 حبات متوسطة الحجم من البصل، مقطعة.
- 2 أكوب من اليقطين.
- 2 أكوب من الكوسة الإنكليزية.
- ملعقة طعام من الكركم.
- رشة من الزعفران.
- ملعقة طعام من القرفة.
- 4 أكواب من مرق الدجاج.
- 2 أكوب من الكسكسي سريع التحضير.
- ربع كوب من الكزبرة المقطعة.
- ملح.
- فلفل أسود مطحون وطازج.

*** طريقة الإعداد:**

- يوضع زيت الزيتون في قدر، ثم تضاف أوراك الدجاج وتحمّر.
- تُضاف الخضروات والتوابل وتطهى لمدة 5 دقائق حتى تطرى.
- يضاف مرق الدجاج ويطهى لمدة 30 دقيقة حتى تنضج أوراك الدجاج.
- يوضع الكسكسي في مبخرة مبطنة بقماش قطني خفيف على القدر التي تغلي محتوياتها برفق حتى ينتفخ وينضج.
- يُقدم الكسكسي مع أوراك الدجاج ويُزين بالكزبرة.

موضة

أناقة مفعمة بالأنوثة من إيلي صعب

❏ فاجأت المجموعة الجديدة للمصمم اللبناني إيلي صعب التي عرضها مؤخرا في باريس عشاق الموضة، فجاءت متميزة بتفاصيل جديدة وأسلوب شبابي متمرد عن المألوف.

تضمنت الأزياء الكثير من التفاصيل المستوحاة من الستايل الغجري كالشراشيب والكشكشات الأنيقة، وتمازجت الأقمشة والمواد في إطلالات غلب عليها الأسود ولم تخل من تدرجات لونية كالليلكي، والأرجواني، والأزرق واللؤلؤي. وكان حضور الدانتيل طاغياً في هذه المجموعة وكذلك طبعات الأزهار، كما برزت الفساتين الطويلة المزركشة التي تزيّنت بالبروكار والأزهار، وأدخل عليها الغيبور المشغول والمخمل المخرّم وحبيبات الستراس كما أضاف الفرو إليها فخامة لافتة.

وأكد خبراء الموضة أن التصاميم التي قدمها صعب أذهلت جميع الحضور ومتابعي أخبار الموضة، مشيرين إلى أن أسلوب إيلي صعب بدأ يأخذ طريقاً جديداً، وبدأ يتغير مع الحفاظ على الرقيّ الذي لا يغيب عن تصاميمه مهما تغير أسلوبه.

أندية الوسط تنتزع صدارة ترتيب الهدافين من الأهلي والزمالك

صفقات «القطبين» لم تمنح اللاعبين اعتلاء ترتيب هدافي الدوري المصري

رمضان صبحي لاعب وسط الأهلي يحتفل بإحراز هدف في مرمى المقاصة

باتت الأندية الكبرى تفتقر إلى هدافين صريحين في مختلف الدوريات العالمية ولا سيما خلال البطولات العربية القوية خاصة في ظل اعتماد جل الفرق على لاعبين أجانب، فمنهم من فشل في التجربة ومنهم من لم يتأقلم مع الوضع العام للدوري، وهو ما مهد الطريق أمام أندية الوسط لاكتشاف مواهب كبيرة قادرة على التهديف وسحب البساط من تحت أقدام عمالقة اللعبة.

عماد أنور

□ **القاهرة** – رغم أن الأهلي والزمالك، الأقوى بين أندية الدوري الممتاز في مصر، حيث يحتلان المركزين الأول والثاني، ويمثل لاعبو الفريقين التشكيلة الرئيسية لقوام منتخب الفراعنة، إلا أن ذلك لم يفلح في تصدر أي من لاعبيهما قائمة الهدافين بعد مرور 21 أسبوعا من عمر المسابقة. فحتى الملايين من الجنيهات التي ظل الناديان (الأهلي والزمالك) ينفقانها لشراء الصفوة من بين لاعبي مصر، بخلاف المحترفين الأجانب، لم تمكن مهاجمي الفريقين من التواجد حتى بين المراكز الثلاثة الأولى، وتصدر لاعبو أندية الوسط رأس القائمة حتى المركز السادس.

ويستأنف الدوري المصري مباريات الأسبوع الـ22 الاثنين، بسبب مشاركة 4 فرق مصرية في البطولات الأفريقية، حيث يشارك فريقا الأهلي والزمالك بدوري أبطال أفريقيا، في حين يشارك مصر المقاصة وإنبي في كأس الكونفيدرالية.

ويتصدر المراكز الثلاثة الأولى في قائمة الهدافين كل من حسام باولو مهاجم سموحة، الذي يحتل المركز الأول بـ11 هدفا، وستانلي مهاجم وادي دجلة في المركز الثاني بنفس عدد الأهداف، رغم وجود فريقه بالمركز العاشر، بينما يحتل أحمد رؤوف مهاجم المصري البورسعيدي المركز الثالث بـ10 أهداف. ومن بين المراكز العشرة الأولى في القائمة، يحتل مهاجم الزمالك محمود عبدالمنعم الشهير بـ"كهرباء"، المركز السابع بـ7 أهداف، ويقبع مالك إيفونا مهاجم الأهلي في المركز الثامن بـ7 أهداف أيضا، ويتذيل زميله عبدالله السعيد القائمة بنفس عدد الأهداف. ورغم أن الأهلي والزمالك تكبدا الملايين من الدولارات لتدعيم صفوفهما بمهاجمين أفارقة مع بداية الموسم الحالي، غير أن القائمة التي ضمت ثلاثة لاعبين فقط من الناديين الذين يطلق عليهما في مصر "قطبي الكرة المصرية"، خلت من المهاجم الصريح باستثناء إيفونا الذي حل ثامنا، بينما يلعب كهرباء والسعيد في مركز لاعب الوسط المهاجم.

طريقة لعب هجومية

الخبراء علقوا على هذه الظاهرة بالقول إن هذا ليس فشلا لمهاجمي الأهلي أو الزمالك، وإنما طريقة اللعب الهجومية للفريقين هي من تمنح فرص التهديف للاعبي الوسط المهاجمين، ما يقلل من فرص المهاجمين الأساسيين. وأضاف الخبير الكروي، طه إسماعيل لـ"العرب"، أن فريقي الأهلي والزمالك يتبعان طريقة لعب هجومية تعتمد على اللعب الجماعي، حيث يتحول لاعبو الأطراف من موقف الدفاع إلى الهجوم مع كل هجمة، ما يمنح الفرصة للاعبي الوسط لإحراز أهداف.

> الدوريان السعودي والإماراتي يحتل فيهما لاعبو فرق الصدارة مكانا متقدما بين الهدافين والحال نفسه مماثل في الدوريات الأوروبية

وأعطى طه الملقب بـ"الشيخ طه"، مثالا حيث قال "الأهلي في حالة الهجوم ينطلق لاعبوه رمضان صبحي، وصبري رحيل، من جهة اليسار، ومؤمن زكريا من جهة اليمين في اتجاه مرمى المنافس، ومع لعب الكرات العرضية على الجانبين يكون لاعب الطرف المقابل في موقع مهاجم، إضافة إلى المهاجم الرئيسي إيفونا ولاعبي الوسط عبدالله السعيد ورمضان صبحي. الطريقة نفسها يتبعها الزمالك في حالة الهجوم عن طريق لاعبيه مصطفي فتحي (يمينا) ومحمود كهربا (يسارا)".

وأضاف أن "لاعبي الفرق الأخرى مثل سموحة ووادي دجلة وبتروجيت تعتمد على طريقة لعب أقرب للدفاع، لذلك يلاحظ أن أغلب الأهداف تأتي من كرات طولية من هجمة مرتدة تصل إلى المهاجم الوحيد، الذي يعتمد على مهاراته في تسجيل الهدف، في حين يقل اللعب من على طرفي الملعب".

وفي وقت تعاني فيه الأندية المصرية من نقص الموارد، تمكن فريق الأهلي من عقد صفقتين هجوميتين خلال فترة الانتقالات الصيفية في يوليو الماضي الأولى مع الغيني جون أنطوي القادم من السعودي تصل مدتها إلى 5 سنوات وبلغت قيمتها 3 ملايين دولار، والثانية مع الغابوني ماليك إيفونا، القادم من الوداد المغربي بـ2 مليون ونصف دولار. وفي حين تعاقد غريمه التقليدي الزمالك مع الزامبي إيمانويل مايوكا في موسم الانتقالات الشتوية الماضي، وبلغت قيمة الصفقة نحو مليون ونصف دولار، ولم يظهر الثلاثي بالمستوى المأمول حتى الآن.

وضع مختلف

يختلف الوضع في الدوريات العربية الأخرى، التي تنفق فرقها أيضا مبالغ طائلة لضم لاعبين محترفين لتعزيز صفوفها والمنافسة على الألقاب المحلية والقارية. ففي الدوري السعودي للمحترفين مثلا، يحتل مهاجمو الفرق أصحاب المراكز الأولى (الأهلي، الهلال، والاتحاد) صدارة جدول الهدافين وجميعهم محترفون من الخارج. ويأتي الفنزويلي جيلمين ريفاس لاعب الاتحاد في المركز الأول بـ17 هدفا، ويحتل السوري عمر السومة، مهاجم الأهلي وأحد أفضل مهاجمي الموسم الحالي، المركز الثاني بـ13 هدفا، بينما يحتل البرازيلي كارلوس إدواردو المركز الثالث بـ12 هدفا، بعد مرور 19 أسبوعا من عمر المسابقة. أما في الدوري الإماراتي فتحتل فرق (الأهلي، العين، والوصل) المراكز الثلاثة الأولى، بينما يحتل ثلاثة مهاجمين أجانب جدول ترتيب الهدافين بينهم واحد فقط ضمن الثلاثة الأوائل، وهو البرازيلي فابيو دي ليما لاعب الوصل صاحب المركز الثاني بـ14 هدفا، بفارق 4 أهداف عن الأرجنتيني سبستيان تيغالي لاعب الوحدة وصاحب المركز الأول، بينما يأتي مواطنه خوالين لاريفي مهاجم بني ياس ثالثا بـ14 هدفا، وذلك بعد مرور 20 أسبوعا من عمر المسابقة.

على المستوى الأوروبي، يبدو الوضع متشابها إلى حد كبير، حيث يتواجد أحد مهاجمي فرق الصدارة ضمن جدول ترتيب الهدافين، ففي الدوري الأسباني مثلا تحتل فرق (برشلونة، أتليتكو مدريد، وريال مدريد) صدارة جدول ترتيب المسابقة على التوالي، ويحتكر لاعبو الفريقين الكاتالوني والملكي صدارة الهدافين حتى المركز الخامس. وليس غريبا أن يتصدر البرتغالي كرستيانو رونالدو نجم ريال مدريد الترتيب برصيد 27 هدفا وبفارق هدف واحد عن الأوروغوياني لويس سواريز صاحب المركز الثاني، ومن بعده الأرجنتيني ليونيل ميسي الحاصل على الكرة الذهبية كأفضل لاعب للعام المنصرم 2015 الذي يوجد في المركز الثالث بـ21 هدفا بعد مضي 28 أسبوعا من عمر المسابقة. وبالانتقال إلى إنكلترا، أحد أقوى الدوريات الأوروبية، يأتي جيمي فاردي مهاجم ليتسر سيتي على رأس جدول ترتيب الهدافين بـ19 هدفا، بينما يتصدر فريقه جدول ترتيب المسابقة بعد مرور 29 أسبوعا، بينما يأتي البلجيكي روميلو لوكاكو مهاجم إيفرتون في المركز الثاني بـ18 هدفا، ومن بعده هاري كين مهاجم توتنهام في المركز الثالث بـ17 هدفا.

لويس هاميلتون الطائر ينتقل إلى طائرة أخرى

السائق البريطاني يعيش حياة المشاهير لا الرياضيين

يستطيع لويس هاميلتون أن يكون أول بريطاني يفوز ببطولة العالم لسباقات فورمولا 1 للسيارات أربع مرات، لكن مجموعة من السائقين السابقين يشعرون بالقلق من أن أسلوب حياته قد يقف عائقا أمام تحقيق هذا الإنجاز.

❑ لندن – يقضي السائق البريطاني لويس هاميلتون، والبالغ من العمر 31 عاما، وقتا طويلا من عطلته في الولايات المتحدة برفقة مجموعة من المغنين والممثلين المشهورين، حيث يعيش هاميلتون حياة المشاهير التي لا تستطيع مجموعة كبيرة من السائقين الحاليين الوصول إليها، والتي تتضمن الظهور في الكثير من المناسبات العامة مثل حضور حفلات في هوليوود، وعروض أزياء في نيويورك وما شابههما.

وفي الوقت ذاته يفضل زميله في الفريق الألماني نيكو روزبرغ، وصيف البطل في الموسمين الماضيين والفائز في آخر ثلاثة سباقات في الموسم الماضي، قضاء الوقت في منزله مع زوجته وطفلته الرضيعة، في حين يفضل الألماني سيباستيان فيتل، بطل العالم أربع مرات وسائق فيراري المرشح أن يكون الخطر الأكبر على ثنائي مرسيدس في سويسرا، إبقاء عائلته وأطفاله بعيدا عن الأضواء، حيث يركز الاثنان بشدة على التغلب على السائق البريطاني في الموسم الجديد.

وقال ديفيد كولتهارد السائق السابق لصحفيين بريطانيين "طرح السؤال، هل يستطيع لويس الفوز بلقب آخر، يبدو جنونيا خاصة بعد فوزه بآخر لقبين"، وأضاف "لكن السؤال، هو أين تذهب طاقته، فلا يوجد أيّ شك في أن لويس يكون جاهزا بدنيا ويركز بقوة عندما يكون على الحلبة، لكن لديه حياة اجتماعية حافلة خارج الحلبات"، وتابع القول "الجميع يعلم أنه ليس من السهل السفر والسهر كثيرا، هل يكون هذا الموسم الذي يدفع فيه ثمن ذلك؟".

> هاميلتون يملك أموالا كثيرة، بالإضافة إلى مجموعة من السيارات الرياضية ومنزلا في كولورادو وآخر في مونت كارلو، وطائرة خاصة زاهية الألوان

العيش فوق السحاب

ويبدو هذا الأمر ما يتمناه السائق السابق كولتهارد الذي ما يزال يمثل رد بول، لكنه لم يكن الوحيد الذي أبدى مخاوف، فعندما كان هاميلتون مع مكلارين، حيث فاز ببطولة العالم للمرة الأولى في مسيرته في 2008، استطاع الفريق السيطرة عليه، لكن منذ انتقاله إلى مرسيدس في 2013 سمح له الفريق بأن يعيش الحياة التي يرغبها.

ويملك هاميلتون الآن أموالا أكثر ممّا يعرف ماذا يفعل بها، بالإضافة إلى مجموعة من السيارات الرياضية ومنزلا في كولورادو وآخر في مونت كارلو، بالإضافة إلى طائرة خاصة زاهية الألوان.

وذهب لويس مؤخرا للتزلج على الجليد مع الأميركية الشهيرة ليندزي فون البطلة الأولمبية، كما التقطت صور له بينما كان يقود سيارة فيراري فخمة بصحبة المغني جاستن بيبر في بيفرلي هيلز.

وقال السائق السابق مارتن برونديل المعلق بشبكة سكاي التلفزيونية "أشعر أنني أعرفه الآن أقلّ عمّا كان عليه الأمر من 15 عاما، انتقل إلى مستوى آخر ولا أقول ذلك على سبيل الانتقاد"، وأضاف "لويس السائق الذي أعرفه انتقل إلى مستوى معيشة لا أستطيع الوصول إليه، ولا أعلمه ولا أفهمه، يبدو بالنسبة إليّ أنه انتقل إلى مكان آخر".

وبعد أن قطع مسافة كبيرة في فترة الاختبارات الأولى في الموسم في برشلونة، سافر هاميلتون إلى لوس أنجلوس لحضور حفل توزيع جوائز الأوسكار، قبل أن يستكمل الاختبارات فيما بعد.

وكما يعلم كل متابعيه على موقع إنستغرام فإنه سافر إلى باريس لحضور عرض أزياء ثم إلى إنكلترا لنفس السبب، وإذا كان البعض يعتقد أن عليه قضاء الكثير من الوقت في مصنع الفريق للتحدث مع المهندسين والمصمّمين، وهو ما يفعله أيضا فإن بيرني إيكلستون مسؤول الحقوق التجارية لفورمولا 1 يبدو سعيدا بذلك، ويرى أن هاميلتون ليس بحاجة لتغيير أي شيء.

وقال السائق البريطاني الذي يقضي وقتا طويلا في أستوديوهات تسجيل الموسيقى لموقع فورمولا 1 في الشهر الماضي "أحاول موازنة الأمور في حياتي".

وأضاف "بالطبع تكون بحاجة إلى إعادة النشاط والتركيز بقوة من أجل الموسم. نعم طريقة حياتي مختلفة كثيرا عن الآخرين، لكن من يقول إنه يجب إتباع نفس النهج؟"، وتابع قوله "أسلوبي يتوافق معي تماما، والأمر هو محاولة الاستمتاع بكل لحظة، أتنقل كلما أستطيع، وأقوم بعملي بأفضل طريقة ممكنة".

يذكر أن هاميلتون انتصر في 21 سباقا (عشرة سباقات في 2015 و11 في 2014) ، وجاء تراجع مستواه في نهاية الموسم بعد حسمه لقب بطولة العالم للمرة الثالثة.

رانييري المتواضع ينوّم منافسيه

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ تحول المدرب الإيطالي كلاوديو رانييري هذا الموسم إلى مصدر إلهام وإعجاب لدى الجميع، ليس في إنكلترا فحسب، حيث يقود نادي ليستر سيتي إلى تحقيق نتائج لافتة ويسير به نحو منصة التتويج بلقب الدوري بخطى ثابتة، بل في أوروبا والعالم بأسره.

هذا المدرب البالغ من العمر 65 عاما يتأهب إلى تحقيق إنجاز أسطوري من النادر حدوثه في عالم كرة القدم التي تنبني في عصرنا الحديث على القوة المادية ومدى القدرة على استقطاب أبرز النجوم بمبالغ طائلة، بيد أن رانييري اختار سياسة مغايرة تماما ومختلفة بالمرة عن بقية المنافسين.

هذه السياسة جعلته اليوم وحتى قبل الوصول إلى تحقيق هذا الإنجاز التاريخي يتحول من مدرب منبوذ من قبل وسائل الإعلام إلى مدرب ناجح وذكي، والأهم من ذلك أنه مدرب يتخذ التواضع صفته الرئيسية خلال هذه التجربة الفريدة والمنفردة مع ليسر سيتي.

رانييري الذي كانت تصفه وسائل الإعلام بمدرب النجاح المنقوص، و"مستر" المركز الثاني نسبة لحصوله في عدة تجارب تدريبية سابقة على المرتبة الثانية، بات اليوم يتفوق على جميع منافسيه، بمن فيهم مورينهو الذي نعته منذ سنوات بالمدرب الفاشل.

اليوم، يحصد المدرب الإيطالي المحنك ثمار سنوات طويلة قضاها في إعادة ترتيب عدة بيوت متصدعة وآيلة للسقوط، ففي أواخر التسعينات من القرن الماضي أشرف على تدريب فالنسيا الأسباني وتمكن من تكوين توليفة رائعة من اللاعبين الذين تمكنوا بعد ذلك من الوصول إلى نهائي دوري الأبطال في مناسبتين.

رانييري منحت له مهمة إعادة فيرونتينا إلى الواجهة بعد أن عانى الفريق في الدرجات السفلى إثر إبعاده عن الدرجة الأولى لأسباب مالية، لكنّ هذا المدرب نجح في مسعاه وكوّن فريقا قويا تمكن معه من الحصول على بعض الألقاب.

قام بالأمر ذاته مع اليوفي منتصف العشرية الأخيرة، فرانييري درّب الفريق في فترة صعبة للغاية تلت نزوله إلى الدرجة الثانية بسبب العقوبة، لكنه أفلح في مساعدة يوفنتوس ونافس على الألقاب وتفوق في بعض الأحيان على مورينهو الذي أشرف على تدريب إنتر ميلان آنذاك.

تجارب عديدة عاشها كلاوديو، لكن في كل مرة يخرج من الباب الصغير ولا يتم الاعتراف بما قدمه لهذه الفرق، غير أن هذا المدرب لم يتجرأ ولو في مناسبة على التبرم، بل كان دوما يقول إن المدرب هو المسؤول الأول في حالة الإخفاق، كان متواضعا وخجولا حتى لو كان مظلوما.

رانييري سار على الدرب ذاته هذا الموسم، عندما جاء إلى ليستر سيتي، مؤكدا أن هدفه الرئيسي، هو تفادي النزول، قال أيضا إنه يريد أن يضمن لهذا الفريق مكانا دائما ضمن الدرجة الإنكليزية الممتازة، وبدأ في العمل.

حافظ على أغلب اللاعبين الذين ساهموا الموسم الماضي في نجاة الفريق من الهبوط، ودعّم مجموعته ببعض اللاعبين الجدد، كانت فلسفته هي تأمين الجانب الدفاعي ومن ثمة الحرص على إصابة المنافسين بـ"سلاح" الهجومات الخاطفة والمباغتة، معوّلا في ذلك على نجمين رائعين هما الجزائري رياض محرز والإنكليزي جيمي فاردي، فسارت الأمور مثلما اشتهى رانييري وأراد.

ومع ذلك، فالأهم من هذه الفلسفة أن المدرب الإيطالي اتبع دوما سلاحه القديم، وهو التواضع ونبذ الغرور إلى درجة أنه تغلب على كل منافسيه بهذا السلاح.

فوز يتلوه انتصار، والفريق يتقدم في الترتيب، تجاوز أعتى الفرق واحتل الفريق مكانا أرقى من فرق قوية مثل تشيلسي ومانشستر يونايتد، وصعد إلى المركز الأول منذ الجولات الأولى لدوري هذا الموسم.

وفي المقابل، حافظ رانييري على هدوئه وتواضعه، وكان يكرر بعد كل فوز ونجاح أن هدفه الأساسي هو ضمان البقاء، مضيفا أن الهدف الأساسي هو إنهاء مرحلة الذهاب بحصد 30 نقطة.

ومع ذلك، حقق الفريق أكثر من ذلك بكثير، وواصل ثورته الهادئة بثبات، سار الفريق بخطى ثابتة نحو القمة وحافظ عليها منذ جولات عديدة، غير أن رانييري المتواضع لم يكن متفائلا إلى درجة الغرور، بل قال أيضا إن الهدف الرئيسي بعد ضمان البقاء هو احتلال مركز في وسط الترتيب، مؤكدا أن الفرق الأخرى هي الأكثر حظا للظفر باللقب.

هذه التصريحات بقدر ما ساهمت في وضع لاعبيه على أرض الواقع وجنّبتهم الانجراف نحو متاهة الغرور وفقدان التركيز، بقدر ما كانت بمثابة المنوّم الذي دفع بقية منافسيه إلى التقليل من شأن ليستر سيتي، بل وسلطت عليهم ضغوطا مضاعفة.

الآن، وقبل الوصول إلى المنعطف الأخير من السباق، مازال رانييري مصرّا على التحلي بالتواضع رغم أن ليستر مازال في المركز الأول بفارق مريح عن أقرب ملاحقيه، رانييري أكد أن الفريق لم يضمن الحصول على اللقب، بل لم يضمن احتلال مركز مؤهل لمسابقة دوري الأبطال.

وفي المحصلة، فإن السير على النهج نفسه قد يجعل رانييري الذي نجح في تحويل الضغوطات إلى معاقل "الخصوم" يجني ثمار تواضعه، ويتحول من مدرب مظلوم ومنبوذ إلى مدرب رائع ساحر مساهم في صنع المعجزات.

أرقام قياسية لبوفون ويوفنتوس في ليلة واحدة

❑ روما – أهدت نتيجة لقاء يوفنتوس وساسولو (0–1)، في افتتاح الجولة التاسعة والعشرين من الدوري الإيطالي، رقمين قياسيين، أحدهما للحارس العملاق جانلويجي بوفون والآخر كان من نصيب فريق يوفنتوس.

وبانتهاء نتيجة المباراة بهدف مقابل لا شيء، ثأر يوفنتوس بطل المواسم الأربعة السابقة ومتصدر الترتيب الحالي في الدوري الإيطالي، من هزيمته السابقة أمام ساسولو، والانتصار عليه بالنتيجة ذاتها بهدف مقابل لا شيء.

وفي سياق أحداث المباراة كان نادي ساسولو تغلب على أرضه على يوفنتوس في الجولة الماضية بنتيجة واحد صفر في المرحلة العاشرة من مرحلة الذهاب، عندما كان فريق "السيدة العجوز في حالة عدم اتزان حينها، ومن ناحية أخرى حقق يوفنتوس فوزا ثمينا بفضل الأرجنتيني باولو ديبالا الذي استثمر كرة عرضية من الكولومبي خوان كوارادو أنهاها في شباك فريق ساسولو في الدقيقة 36 من عمر اللقاء.

وحطم بوفون خلال اللقاء وتحديدا في الدقيقة 68 الرقم القياسي السابق للحارس العملاق دينو زوف، والذي حافظ على شباكه نظيفة لمدة 903 دقيقة، لينتهي اللقاء بوصول بوفون إلى 926 دقيقة، متواصلة دون أن تهتز شباكه في الدوري.

وأصبح بوفون بذلك في حاجة إلى 3 دقائق فقط لمعادلة الرقم القياسي لحارس ميلان السابق سيباستيانو روسي، والذي حافظ على شباكه نظيفة لمدة 929 دقيقة، وهو الرقم الأعلى بين جميع حراس الكالتشيو على مدار التاريخ.

وحقق يوفنتوس هو الآخر رقما قياسيا، بعدما أصبح أول فريق يحقق سلسلة متتالية من المباريات تبلغ 10 مباريات دون أن تهتز خلالها شباكه، حيث يملك ميلان ويوفنتوس قبل ذلك الرقم القياسي والذي يبلغ 9 مباريات متتالية دون أن تهتز الشباك في أيّ مباراة، كما حقق إنتر ميلان الرقم ذاته من قبل، ولكن عبر موسمين وليس في موسم واحد.

وفي السياق ذاته أشاد ماسيمو أليغري، المدير الفني لفريق يوفنتوس الإيطالي، بجانلويجي بوفون، حارس السيدة العجوز عقب الحفاظ على نظافة شباك فريقه لـ926 دقيقة.

وقال أليغري "أعتقد بأن بوفون يستحق هذا الرقم القياسي، بالطبع هو يحتاج فقط لدقائق أخرى أمام تورينو من أجل أن يحطم رقم سيباستيانو روسي القياسي".

وتطرق أليغري للحديث عن فرص لحاق جورجيو كيليني، مدافع الفريق بمواجهة بايرن ميونيخ بدوري أبطال أوروبا، وأوضح مدرب البيانكونيري "لا أعرف متى سيعود، لم يتدرب بعد مع الفريق حتى الآن، إن لم يبدأ بالتدرب قريبا فقد لا يكون جاهزا".

ويمثل الفوز الأخير لليوفي على ساسولو دافعا معنويا للفريق الإيطالي قبل خوضه مباراة الإياب دور الـ16 في دوري الأبطال يوم الأربعاء المقبل أمام بايرن ميونيخ الألماني، حيث يتعين عليه الفوز بهدف نظيف على الأقل من أجل ضمان التأهل المباشر للدور ربع النهائي.

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

معرض برلين للسياحة يستعرض أنواعا من الروبوت لخدمة نزلاء الفنادق

يعدّ الروبوت العدّة لدخول قطاع السياحة في معرض السياحة العالمي في برلين "آي تي بي"، فهو قادر على الترحيب بالضيف وتقديم بطاقة غرفته، وإعطائه كلمة السر لولوج شبكة الإنترنت اللاسلكية.

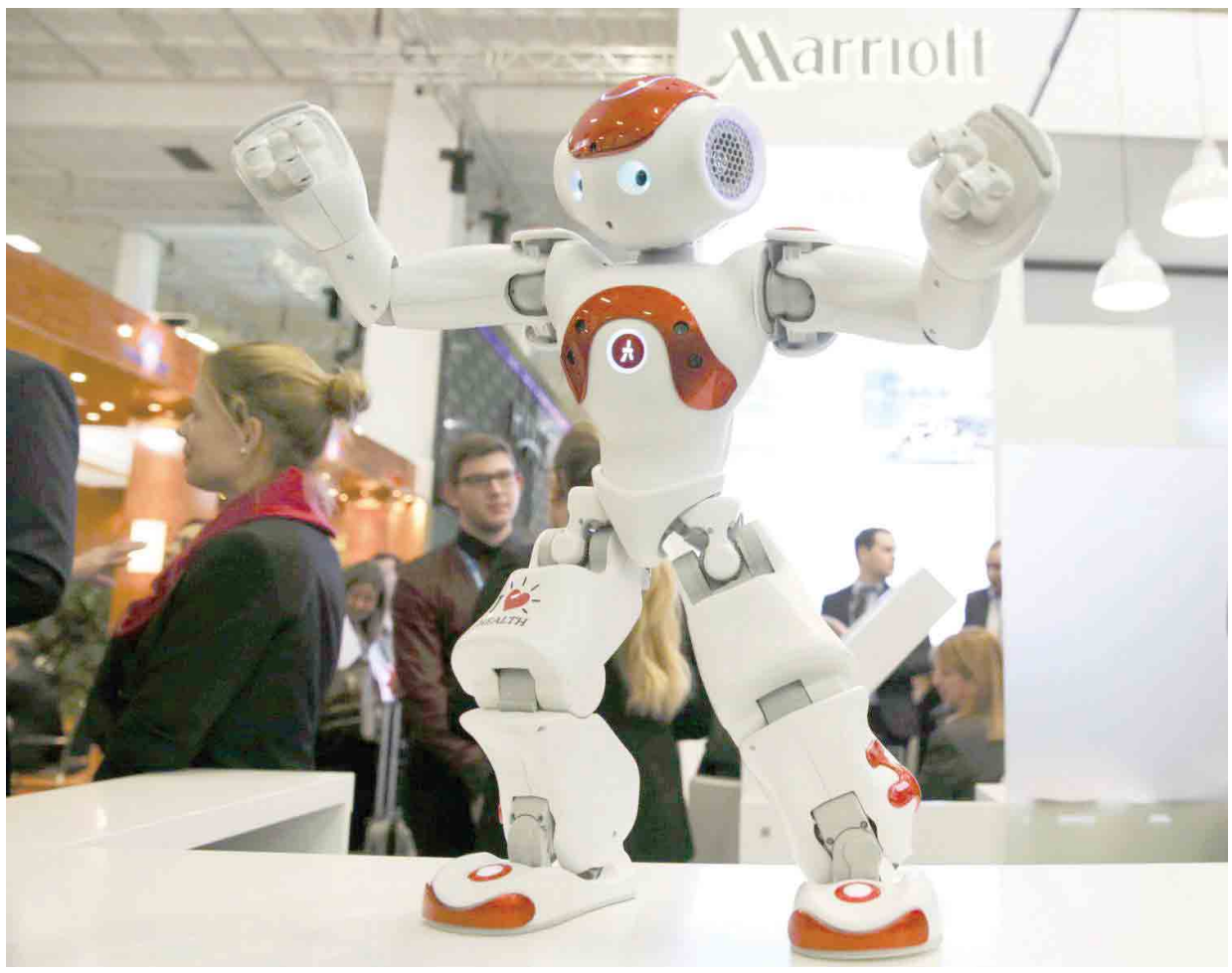

خدمات بلا «بقشيش»

❑ **برلين** – يرحب الروبوت "شيهيراكاني" عند مدخل الموقع بالزوار في أكبر معرض للسياحة في العالم في العاصمة الألمانية برلين، باللغات الإنكليزية والألمانية والصينية واليابانية، حيث تكون هذه هي المرة الأولى التي يسافر فيها هذا الروبوت المصنوع على شكل شابة في السادسة والعشرين من العمر إلى أوروبا، ومنذ ثلاثة أشهر تعمل نسخة منه في مركز تجاري في طوكيو، وتتوقع مجموعة "توشيبا" التي تصنعه مستقبلا واعدا لهذه الآلات في قطاع السياحة.

وقد وجد الروبوت "ماريو" وظيفة، فهو يعمل منذ يونيو في فندق "ماريوت" في بلجيكا، وقد كلف باستقبال الزبائن بـ19 لغة، وعرض الأطباق اليومية عليهم، كما أنه يرقص ويغني، لكنه لا يتخذ في المقابل شكل إنسان، فقد وضعت له مكبرات صوت محل الأذنين، وهو أبيض وعليه خطوط حمراء ولديه ستة أصابع لا غير.

ويرسم وجوده "البسمة على أوجه الجميع، وهي وسيلة جيدة كي يتذكر الزبائن فندقنا"، على حسب ما يقول روجيه لانغوت المدير العام للفندق، والذي أكد أيضا، بقوله "إنها مجرد البداية في مسار الروبوت في قطاعنا"، مشيرا إلى أن الروبوت لن يحل محل الموظفين، بل سيوفر لهم المساعدة.

ويتوقع كارل بينيدكت فراي من جامعة أكسفورد من جهته أن "ينتشر الروبوت على نطاق واسع في قطاع السياحة"، فتحل الآلة محل النادل والمرشد السياحي والسائق، ما يقلق العاملين في مجال يوفر فرص عمل متعددة، كما ينبه إلى أنه "في حال لقي روبوت الاستقبال إعجاب الزبائن، فإنه سينتشر بسرعة كبيرة في الفنادق".

وأظهر استطلاع للآراء أجرته مجموعة "ترافلزو" في أوساط ستة آلاف مسافر أن ثلثي المشاركين لا يمانعون من اللجوء إلى الروبوت في قطاع السياحة، والصينيون هم أكثر الجنسيات تحمسا لهذه الظاهرة، في حين أبدى الفرنسيون والألمان تحفظا إزاء انتشارها.

ودعا الأمين العام لمنظمة السياحة العالمية طالب الرفاعي إلى "عدم وضع قيود أمام استخدام التكنولوجيا في الفنادق والمنشآت السياحية"، وقال "قطاعنا يعاني من تأخر، فقد نجحنا في إرسال رجل إلى القمر قبل التوصل إلى فكرة تزويد الحقائب الكبيرة بدواليب".

ويسعى القطاع السياحي إلى الالتحاق بركب تكنولوجيا الواقع، الذي قد يختزن أكبر طاقة في مجال السفر، بحسب الجمعية الألمانية للتكنولوجيا المتقدمة "بيتكوم".

وفي جانب من المعرض الذي يقام حاليا في برلين ينتقل الزائر فجأة إلى طاولة على شرفة ويرى على يساره فيلا وعلى يمينه نادلا يأتي صوبه مع مشروبات لذيذة، حيث تلجأ سلسلة الفنادق "سينامن" في سريلانكا والمالديف – وهي ضيفة الشرف في دورة عام 2016 من معرض "آي تي بي" – إلى خوذة الواقع المعزز وتسمح "بالاقتراب أكثر من منتجها" حسب ما كشفه ديليب موداندينيا مدير التسويق فيها.

وفي الكشك المخصص لبافاريا، تقدم شابات يرتدين اللباس التقليدي هذا النوع من الخوذات أيضا لاكتشاف المشاهد الطبيعية الخلابة في هذه المنطقة الواقعة في جنوب ألمانيا.

وباتت هذه التقنية تعتمد تدريجا في شركات السفر الكبيرة، من قبيل البريطانية "توماس كوك" التي كانت من أولى المجموعات التي عرضت على زبائنها لمحة عن جولة بالمروحية فوق مانهاتن.

ويؤكد أرمين بريش الأستاذ المحاضر في جامعة العلوم التطبيقية في كمبتن (جنوب غرب ألمانيا) بأنه "نوع جديد من التجارب"، في حين شدد طالب الرفاعي على أن هذه التجارب لن تغني "أبدا" عن الرحلة الفعلية.

إل تشابو يثير أزمة بين كايت ديل كاستيو وشون بين

❑ **نيويورك** – انتقدت الممثلة كايت ديل كاستيو في مقابلة مع مجلة "ذي نيويوركر" الممثل الأميركي شون بين الذي التقت معه تاجر المخدرات المكسيكي الشهير "إل تشابو".

وقد أوقف خواكين غوسمان "إل تشابو" مطلع يناير الماضي من قبل السلطات المكسيكية بعد ستة أشهر على فراره من سجن مكسيكي، وقد التقى شون بين وكايت ديل كاستيو تاجر المخدرات سرا مطلع أكتوبر 2015، وأجريا محادثات طويلة معه.

وتأخذ الممثلة المكسيكية الأصل المقيمة في الولايات المتحدة على النجم الهوليودي أنه لم يعلمها قبل اللقاء أنه ينوي كتابة مقال حول لقائهما بـ"إل تشابو" لمجلة "رولينغ ستون"، إلا أن شون بين ينفي ذلك، مؤكدا أنه تصرف بشفافية تامة.

وتقول كايت ديل كاستيو إنها كانت تظن بأن شون بين رافقها إلى المكسيك، لأنه كان يرغب بالمشاركة في مشروع فيلم حول خواكين غوسمان أحد أكبر تجار المخدرات في العالم.

وفي المقال الوارد في نسخة "نيويوركر"، تقول الممثلة إن شون بن لفق معلومات واردة في مقاله.

وكتب الممثل الأميركي أن عسكريين تركوا موكبهم يمر بعدما تعرفوا على ألفريدو نجل "إل تشابو" الذي كان معهم، إلا أن شون بين أصر على أن هذه المعلومات صحيحة رغم ادعاءات الممثلة المكسيكية بالعكس.

وترى الممثلة في المقابلة أنها وصفت بطريقة مختلفة عن شون بين في الإعلام الذي شدد على علاقتها المميزة مع تاجر المخدرات، مع أن سبب لقائها مع "إل تشابو" كان مهنيا في الأساس.

وتؤكد النجمة المكسيكية في المقابلة مع المجلة الأميركية أنه رغم توقيف غوسمان تنوي مواصلة مشروع الفيلم، معربة أن "إل تشابو" بادر للاتصال بها في شأنه، لا أكثر.

الأغنياء الروس يستعرضون ثراءهم على إنستغرام

❑ **موسكو** – في روسيا لا يتردد أبناء الطبقة الثرية في استعراض ثرائهم على إنستغرام، خصوصا على حساب "ريتش روسيان كيدس"، حيث يلتقط الشباب صورا لهم في طائرات خاصة أو أحواض السباحة أو السفن الفاخرة أو في الشواطئ الخلابة، وهذا سلوك قد يكون صادما في ظل الأزمة الاقتصادية الراهنة التي يمر بها البلد.

و يرمي حساب "ريتش روسيان كيدس" على موقع إنستغرام إلى إظهار حياة الشباب بعيدي المنال الذين يعيشون في ترف وثراء، وأنشئ هذا الحساب عام 2015 ويسجل أكثر من مائتين وثمانية وسبعين ألف مشترك إلى حد الآن، وحساب إنستغرام هذا يذكر بحساب "ريتش كيدس أوف إنستغرام" وحساب "ريتش كيدس أوف طهران".

لينا ديمبيكوفا فتاة روسية عمرها 25 سنة من عائلة غنية وهي تعمل في مجال الموضة، وليست من هؤلاء الشباب الذين يظهرون على حساب إنستغرام "ريتش روسيان كيدس"، تقول "في روسيا اعتاد الأثرياء دائما على استعراض ثرائهم وعلى الصرف بإفراط، لكن الجديد في الأمر هو أنهم يستعرضون النعمة على مرأى من الجميع عبر مواقع التواصل الاجتماعي وهذا يثير الانتباه، سابقا هذا لم يكن ممكنا، لأن إنستغرام لم يكن موجودا".

وتضيف لينا "طبعا هناك شباب أغنياء جدا جدا في روسيا ينفقون بلا حساب، لكن حاليا هناك أزمة لذلك هناك فقراء كثيرون، وحتى على الأغنياء صار الوضع أصعب عليهم من قبل، بسبب تغير سعر صرف الروبل الذي لم يعد غير ذي جدوى كما كان".

وتظن لينا ديمبيكوفا أن هؤلاء الشباب ليسوا بالضرورة أذكياء جدا أو عندهم أخلاق، فهي لن تسمح لنفسها بالحكم عليهم، إلا أنها ترى أنهم لا يعملون ولا يدرسون وعندهم أوقات فراغ كبيرة، وهم حتما يلتقطون الصور لكي يشغلوا وقتهم.

يذكر أن الأغنياء الجدد في روسيا ظهروا عند انهيار الاتحاد السوفييتي، وقد اغتنى هؤلاء بفضل خصخصة النفط والغاز التي جرت بروسيا آنذاك.

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

آه يا بلد

❑ قصة غريبة نشرتها الصحف المصرية هذا الأسبوع توضح لنا أن كل شيء في مصر يتم بلا رقابة أو ضمير أو أخلاق.

الحكاية أنه في فجر يوم 13 فبراير الماضي توفي مواطن بمنزله، توجّه شخص لا يمتّ بصلة إلى العائلة لإستخراج شهادة وفاة وتصريح دفن للمتوفى من مكتب صحة مصر الجديدة، الطبيب ملأ استمارة الكشف على المرحوم وكتب ما أملاه عليه المبلّغ من أمراض أدت للوفاة، أصدر الطبيب تصريح الدفن، وهكذا تم استخراج واستيفاء الأوراق الرسمية لدفن المواطن سيد أبو المعاطي.

بدأت بعد كل هذا شكوك وهمسات وتساؤلات تدور في العائلة، توجهوا إلى مكتب الصحة، اطلعوا على أسباب الوفاة، تأكدت الشكوك، وأمام مديرة المكتب د. هبة مصطفى لم ينكر الطبيب المسؤول عدم ذهابه لمنزل المتوفى، وبالتالي عدم الكشف عليه، وأقر أنه اكتفى بالبلاغ وبعض "الروشتات" التي أحضرها المبلّغ، فكتب الطبيب منها أسباب الوفاة. وأشار إلى أنه عادة لا يذهب للكشف على المتوفى، إلا في حالات محدودة يسمح بها وقته، لأنه الطبيب الوحيد المسؤول في مكتب الصحة!

أخطر ما في اعتراف الطبيب غير ثقته في معلومات المبلّغ، هو أن أيّ شخص يقدم بطاقة الرقم القومي للمتوفى من حقه استخراج شهادة وفاة لصاحب البطاقة؟ وهذا معناه أنه لو بطاقتك مع أيّ مجرم وقدمها لمكتب الصحة ليحصل على شهادة بوفاتك فأهلا وسهلا!

بسرقة بطاقتك ممكن يحصل المجرم على شهادة رسمية بأنك ميّت، بالإضافة إلى أنه ربما تكون الوفاة جنائية والجناة هم الأقربون. إن إصدار شهادة وفاة دون الكشف على المتوفى للتأكد ما إذا كان قد مات أم أنه في غيبوبة؟ تضع الطبيب في موقع الشريك في الجريمة.

شهادة وفاة لعدوّك هو حلّ سهل يخرجك كالشعرة من العجين إذا كانت عليك مديونية أو كنت متهما في قضية أو عليك حكم قضائي أو كنت طامعا في ثروته، شهادة رسمية سليمة مختومة بختم الدولة ومزينة بـ"إكليشيهات" ثابتة تعدد أسباب الوفاة، اختر ما تحبه لعدوك أو لنفسك.. هبوط في الدورة الدموية أو جلطة قلبية أو سكتة مخية أو أمراض الشيخوخة أو "غرغرينا" في الساقين، يمكنك إضافة بعض "التحابيش" مثل السكري وضغط الدم وفيروس "سي".

أما إذا كان المرحوم مات فعلا ودفن بشهادة زور، فعلى من يهمه الأمر إبلاغ النيابة لسحب الجثة وتشريحها وفتح باب تحقيقات أشد ألما من آلام الفراق والخيانة، وتتعارض مع طيبتنا وثقافاتنا التي تميل لانتظار العقاب الإلهي.

نهاية الحكاية أن الطبيب بكل هدوء طلب من العائلة التقدم ببلاغ للنيابة لإخراج الجثة وإيداعها مشرحة زينهم لتشريحها، وأبدى ترحيبه بالتحقيق معه لثقته أنه في أمان، وأن شيئا لن يتغير حتى لو وصلت الشكاوى لرئيس الجمهورية، فوزير الصحة يعلم أن طبيبا واحدا لكل مكتب صحة، معناه أن على أيّ مرحوم تأمين نفسه إذا حضرته المنية، والتوجه لأقرب مكتب صحة لإثبات وفاته. هي الدولة "حتعمل إيه ولا إيه"!!.

وسنظل نردد في مصر جملة "آه يا بلد" إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.